د. ثناء منير صادق
المرأة العربية بين الدين والسياسة

# المرأة العربية بين الدين والسياسة

د. ثناء منير صادق

# المرأة العربية بين الدين والسياسة

صادق، ثناء منير

المرأة العربية بين الدين والسياسة/ثناء منير صادق-

القاهرة: داركتابات ٢٠١١، ١٦٠ ص، ٢٣ سم

رقم الإيداع: ٢٠١١/١٦٨٣١

الترقيم الدولي: ٦-٠٥-٥٠٢٣-٩٧٧-٩٧٨

١- المرأة في الإسلام. ٢- المرأة في السياسة.

أ- العنوان: ٢١٠،٤

لوحة الغلاف بريشة الفنان: مكرم حنين.

الإخراج الفني: د. م. طارق جلال عبد الحميد.

الناشر: الشركة الحديثة للدراسات والمعارض والنشر (داركتابات) ش م م

٢١ ش إسماعيل أباظة، لاظوغلي، القاهرة. ت: ٢٧٩٤١١٨٩

info@darkitabat.com

www.darkitabat.com

الطبعة الأولى - أكتوبر ٢٠١١

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

سلسلة أقلام نسائية عربية (١)

# المرأة العربية بين الدين والسياسة

د. ثناء منير صادق

# إهداء

إلى روح أبي

والى كل شهداء ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١

# المحتويات

# تقديم

إن الكتابة عن وضع المرأة العربية بين السياسة والدين ليس بالأمر اليسير. فحقوق المرأة الدينية أحيانا تكون غير واضحة وضوح الواجبات المفروضة وكثيراً ما تكون متغيرة وتسير في طريق أكثر تشدد وانغلاق!! أما عن الحقوق السياسية أو ما يحدث للمرأة بسبب السياسة فهذا أمر معقد جداً لأن مشاكل المرأة في ظل مجتمعاتنا العربية أكثر تعقيداً بين ماضٍ مجيد ووردي كان الاحترام فيه يسود والكلمة لها شرف يعتد بها كأقوى من صك مكتوب برغم من الاحتلال ومن الملكية.

ماضٍ عرفت فيه المرأة حرية الحركة وحرية التعبير عندما أرادت أن تفعل ذلك برغم من أن المجتمعات العربية كانت تعيش ما يُسمى بعصر الحريم الذي فرضه الفكر العثماني على منطقة الشرق الأوسط لفترة طويلة، وبين حاضر غني بقوانينه المحلية والعالمية المدونة والمانحة للحقوق ولكنه حاضر بخيل في جوهر الاعتراف الفعلي بحقوق "الآخر" الذي صار يعيش في نفس الدولة بعد أن كان يعني كل ما هو أوروبي وكل ما هو أجنبي.

صار "الآخر" معبراً عمن هم في وضع إجتماعي أقل مثل المرأة التي على أرض الواقع تعد أقل من الرجل مهما بلغت من مكانة علمية أو اجتماعية أو سياسية. أو قد يكون هذا "الآخر" من الأقليات الدينية المتواجدة على أرض نفس الوطن مثل المسيحين الأرثوذكس في مصر والأكراد في العراق وغيرهم الكثير.

حاضر عربي يمتلئ بالأحاديث عن الحقوق، عن النساء وعن حقوقهن من خلال الندوات والمقالات والمحاضرات ومن خلال انشاء المنظمات والمؤسسات النسائية التي من المفترض أنها تهدف إلى الارتقاء بالمرأة، ولكن ما هي حقوق المرأة وماشكلها؟ وما مدى تعبير هذه الحقوق عن الاحتياجات الحقيقية للمرأة في ظل المتغيرات العالمية الجديدة، وما حدودها؟ وما حصلت عليه المرأة من حقوق ولم يُفعّل وما لم تحصل عليه من أساسه وأسباب ذلك؟ أسئلة بلا حدود وكثيراً بلا ردود!!.

ومما لاشك فيه أن كل من الدين والسياسة يلعبان دوراً قويا في حياة العرب- رجالاً أو نساءً، يكاد أن يتساوى في قوته مع ضرورة الماء والغذاء لحياة الإنسان، ولكن المشكلة الكبرى في

البلدان العربية الآن هي كيف يتم الاستناد على الدين كمرجعية للدولة دون الاخلال بمبدأ احترام الدستور والقانون ودون الاخلال بالمواثيق الدولية؟. فالدول العربية وخاصة مصر توقع على اتفاقيات وعلى مواثيق دولية وتسن القوانين والتشريعات التي تنظم العلاقة بين المواطنين في الشؤون الداخلية، في حين تُشجع أو تتغافل عن نشوء التيارات السلفية بعدم اتخاذ اللازم من القوانين الرادعة التي تضمن تطبيق القوانين والمعاهدات المبرمة محلياً أو ما يتعلق بالمعاملات الخارجية مما لا يضمن تطبيق قواعد الحرية الحقيقية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية ولا يضمن كفالة حقوق الإنسان للجميع، ولذلك ففي بلادنا يكون القانون شيئ وتطبيقه شيئ آخر!!!. وأحياناً يبدو الكلام عن الليبرالية وكأنه معاداة للدين بسبب نظم الحكم التي استلذت أن تنشر هذا الفكر من خلال وسائل الإعلام التي روجت للمرجعية الدينية الواحدة والمتمثلة الآن في الأفكار الإسلامية المتشددة وكأن العالم العربي لا يستند على مرجعيات دينية أخرى مثل المسيحية واليهودية. ونسي البعض أو تناسوا أن التاريخ العربي الإسلامي لا يمكن أن ينكر وجود المرجعيات التاريخية المتنوعة والمتمثلة في الحضارات القديمة التي تميز الشرق الأوسط. وهكذا بدأ يظهر في الوطن الواحد ما يعرف "بالآخر" أو الذي أُريد له أن يكون الأقل تأثيراً في الأحداث المحلية، والأقل قوة، وقد يصل الأمر إلى حد تهميش هذا "الآخر" والاعتداء على حقوقه، وبرزت ظاهرة "الاقصاء" بإسم الدين وكأنها شريعة الله وحكمه[1] كما يدعي البعض!!!!.

وقُدر للمرأة العربية على وجه الخصوص، بحسب الأعراف الإجتماعية أن تحمل على أكتافها مسئولية صيانة ركائز دينها، تلك المسئولية التي تتوارثها جيلاً بعد جيل، لحماية العادات والتقاليد، وفي الأم قال الشاعر: الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيبَ الأعراق. و"طيب الأعراقِ "- هذه سمة أساسية في تركيب الشعوب العربية خاصة في مصر الزراعية ذات التكوين الأسري القديم. الأم هي الأسرة ورمز الأرض والوطن، وعلى أرض الواقع هي التي تربي الأولاد وتضطلع بالقدر الأكبر من المسئولية في التنشئة في البيت وخارجه، وهي الملومة الأولى

---

[1] المقصود بالاخر الاقليات الدينية، ونصف المجتمع المرأة التي تختصر حقوقها الاجتماعية والقانونية والاقتصادية بسبب تلك المرجعية الدينية الواحدة والحجة في ذلك أنها شريعة الله وحكمه وفقاً لما جاء في القرآن والسنة. للمزيد عن الدين والسياسة وما يعرف بالاقصاء وفقاً للدين ارجع إلى: د. عمرو حمزاوي: جريدة الشروق، مصر بعد ٢٥ يناير، الأحد ١ مايو عام ٢٠١١، ص مقالات وأعمدة.

إذا أخطأ الأبناء، فهي حجر الأساس في إلتزام الأولاد بالعادات والتقاليد الحازمة، حتى وإن أُثني على الأب وقيل فيه شعراً في قوته وفي قدرته في السيطرة على أسرته وحزمه في قيادها زوجة وأطفالاً، فتبقى - الأم دائما في خلفية المشهد الأسري متواجدة وفعالة والضامن الوحيد على استقرار الأسرة.

والمرأة العربية هي الزوجة التي ترعى حرمة الزواج وتصونه فمبادئ الصدق والأمانة والصبر من صميم تكوينها. ووفقاً للشرائع فإن الأنثى العربية تربت على أن الإستماع إلى الأب والأخ ومن بعدهما الزوج من طاعة الله، بل وعليها دائما ضمان الوفاء بكل حقوق الرجل، فهي الضامن الوحيد لهذه الحقوق. وإذا حدث وحادت المرأة عن الطريق المرسوم لها فهي عاق وناشز، أما إذا خان الرجل أو حاد عن الطريق المستقيم فله فرصة ثانية وثالثة والكثير من الفرص التي تمنحه عفواً اجتماعياً غير مشروط لأنه وببساطة رجل لا يعيبه شيئ وعلى المرأة أن تتحلى بالصبر والاحتمال!!!!. وإذا حدث أن أصر الرجل على الخطأ فعقابه من قبل المجتمع والقانون وبحسب الشرائع أقل بكثير من العقاب الذي قد يُفرض على المرأة المخطئة بنفس الخطأ!!!!![2]

إن العقاب الذي يُفرض على المرأة العربية له أبعاد وتبعات اجتماعية خطيرة، وقد يصل في كثير من الأحيان إلى تجريد المرأة حتى من انسانيتها أوالإعتراف بضعفاتها مثلها في ذلك مثل الرجل، وقد تُعامل المخطئة بمثل معاملة المنبوذين المرذولين الذين عقابهم غضب الله، والذي معناه ناراً ليس لها حد على الأرض وفي السماء، فطاعة الرجل واجبة بعد طاعة الله.

والمرأة العربية هي الجدة التي تصون وتحفظ تاريخ الأسرة وتروي للأحفاد حكايا الماضي وصولات وجولات أبائهم وأمهاتهم. الأمثلة كثيرة على الإعتراف العربي العام بأهمية دور المرأة العربية في تكوين مجتمعاتها وبنيانها وفي صيانة أسرتها ومبادئ دينها، وقد يرى البعض ظاهرياً أن المرأة العربية في وضع متدني عن الرجل ولكنني أؤكد وبإيمان شديد على قوة مكانة المرأة وأصالة دورها الأساسي في تأسيس المجتمعات العربية ولكن تدني حال المرأة هو فقط على المستوى السياسي والديني الذي يفرضه المشرع وهي قضية إعلامية مصنوعة لسيطرة دول ما

---

[2] عقاب الجرائم سواء القتل أو الزنا مختلف امام القضاء باختلاف النوع ذكر أو انثى، للمزيد اقرأ stop الحملة الدولية: توقفوا عن قتل ورجم النساء،

http://www.stop-stoning.org/node/51, 8/10/2009

نسميهم بالعالم الأول على دول العالم الثالث ومن ثم تأكيد لسيطرة الأفكار الذكورية السلطوية البالية في مجتمعاتنا العربية -المتخلفة عن ركب التطور العالمي- على عقول النساء اللائي يُعتبرن العصب الأساسي في صلب المجتمعات العربية والذي إذا ضعف ضعفت معه قوة المجتمع وإذا قوي بأكثر من المراد له ينتهي معه النظام الذكوري الذي ظاهرياً يعني قوامة الرجل على المرأة ويعني تحكم السلطة في الشعب ويعني الإستماع إلى آراء رجال الدين ولكنه باطنياً يعني الإستمرار في تبعية دول العالم الثالث إلى دول العالم الأول.

ولكن ومما لا شك فيه أن هذا الفكر الدعائي الحديث يُحمِّل المرأة العربية الكثير والكثير ويشغلها بالمزيد من الواجبات الإجتماعية التي تصرفها في الغالب عن المطالبة بحقوقها الكاملة، أو يملي عليها من خلال ما يُبث من أفكار سلفية أن تتقبل ما يُمنح لها. ولذلك فعندما نأتي إلى الحقوق الممنوحة للمرأة العربية والمعترف بها رسمياً نتعثر في الكثير من العوائق ويبدو لنا أن الطريق إلى تلك الحقوق غير معبد!!! تتلعثم الألسنة وتتردد العبارات غير المكتملة ويبدو التردد والحيرة على من يتكلم أو قد يتحول الكلام فجأة إلى السباب والإتهام، فعلى الأقل تسمع " ناقصات عقل ودين" أو" أن المرأة خُلقت من ضلع أعوج"!!! وفي بعض الأحيان يستقطع من يتكلم بدون مقدمات وبدون أسباب بعضاً من الآيات من القرآن الكريم، والتي إذا أُقتطعت من النص الكامل قد تشير إلى ما يدين المرأة ويقلل من شأنها، وكأننا أمام محاكمة عاجلة وفورية وجاهزة دائماً للتأكيد على تدني مكانة المرأة وتسكينها في المرتبة العاشرة بعد الرجل!!!.

وقد أوقعت هذه المسؤلية الكبيرة وهذا التناقض العجيب المرأة العربية فريسة للتصارع الإجتماعي والسياسي والذي يبدو في ظاهره أنه يتأسس على الدين. وبين الدين والسياسة تتأرجح حقوق المرأة صعوداً وهبوطاً ويشتد الجدل حول الحقوق التي شرعها الدين أو الحقوق التي حددها المجتمع المدني أو المجتمع الدولي. كلمات وكلمات مضادة وتصارعات عادة يكون مردها حقوقاً على الورق لكن لا تخلق حقوقاً لها فعاليتها الكاملة على أرض الواقع، ومازالت المرأة العربية تقف بين الشريعة وبين حقوق الإنسان تنتظرا عودة الذاكرة لإحياء أمجاد نساء مسلمات وعربيات عرفن معنى المشاركة بكل ما تعنيه – بدءً من المشاركة في نشر الدعوة الإسلامية في صدر الإسلام ووصولاً إلى المطالبة بالحقوق النيابية طويلاً قبل غيرهن من نساء العالم المتقدم.

عرفت المرأة العربية وفي مصر على وجه الخصوص معنى المشاركة السياسية والمطالبة بالحق في هذه المشاركة منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان ذلك في ظل أحداث عالمية تميزت بتقلبات سياسية مؤثرة وبخلخلات اجتماعية قوية في مناطق عدة من العالم، عملت على احداث تغيرات جذرية في آليات النظم الإقتصادية العالمية، ليس في أوروبا فقط بل أيضا في البلاد المستعمرة في آسيا وأفريقيا. كان ذلك في نفس الوقت الذي بدأت تظهر فيه مدارس فكرية تدعو إلى الليبرالية الجديدة، والتي كان يقودها فكرياً في مصر أحمد لطفي السيد وقاسم أمين ،وشبلي شميل وسعد زغلول وعلى مبارك ، وسلامة موسى . كانت هذه الأفكار الليبرالية هي التي كسرت حواجز الإنعزال وأفسحت المجال للإنفتاح على "الآخر"- أي على الثقافة الأوروبية، وصار الإتصال بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب ضرورة حتمية. ويعني ذلك أن حركات التحرر النسائي العربي زامنت نشوء الليبرالية والإنفتاح الثقافي على العالم وشاركت في الفكر العلمي الحديث ونهلت من كل ما هو جديد ولم تكن أبداً متخلفة عن التطورات العالمية[3].

ويصعب القول بأن الخلخلة والتغير كانا يحدثان في مكان دون الآخر أو اقتصرا على فئة اجتماعية دون الأخرى، وإن تجلى وبوضوح أن المفكرين والمنظرين- طبعاً في العالم المتقدم أو ما يسمى بالعالم الأول- منذ بدايات القرن العشرين قد بدأوا يميلون إلى حصر المتغيرات العالمية وتفسيرها وفقاً لمجموعة من المسميات والتي تتاسس بدورها على تقسيم عنصري جديد في شكله ومسماه، ليبدو تقسيما حضاريا وثقافيا أولاً ثم إنتاجيا للتمييز بين: عالم أول وعالم ثاني بل وثالث، عالم صناعي له أفكاره المعبرة عن ثقافته وحضارته وتاريخه، وعالم زراعي ينتمي إلى الحضارات القديمة والذي مازال يبحث عن الأصالة وعن الذات القومية بعد التحرر من الإستعمار، عالم متأخر وعالم متقدم، عالم إشتراكي وعالم ليبرالي، عالم شيوعي وعالم رأسمالي. إنها نفس المسميات والتقسيمات التي تسود فلسفتها على العقول البشرية حتى اللحظة التي نعيشها، وإن بدت الآن أكثر تعقيدا من النواحي الحضارية والثقافية والفكرية وصولاً إلى مصطلح صدام الحضارات في عالم واحد كبير، أو حضارة متفوقة وحضارة

[3] شخصيات في مسيرة الحركة النسائية العربية؛ نفس المرجع السابق.

متردية، حضارة الشرق وحضارة الغرب، إلى أن وصلنا إلى مصطلح العالمية والعولمة واضاعة الوقت والجهد في تقريرَ منْ له الحق في الإنضمام إلى النظام العالمي الجديد.

إن هذه التقسيمات والمسميات العالمية الجديدة ماهي إلا أدوات أو مسميات أُستحدثت لتسييس العالم وخدمة مصالح فريق من الدول العظمى على حساب فريق آخر من الدول التي تعاني اقتصادياً والتي لا يمكن أن تتم السيطرة عليها فكرياً واقتصادياً إلا باستحداث أدوات للهيمنة، جديدة في شكلها المغلف بالعديد من المعاني والفروق الثقافية والحضارية المصنعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أين المرأة في هذه التقسيمات العالمية الجديدة؟ ولأن هذه الدراسة تهتم بالمرأة العربية فقط فنقول بداية: إن التاريخ يشهد بأن المرأة العربية خرجت سافرة إلى الحياة العامة مبكراً جداً وبفعالية واضحة تركت بصمات مؤثرة مع بدايات القرن العشرين، أي قليلا قبل الحرب العالمية الأولى التي وقعت عام ١٩١٤. تلك الحرب التي كانت بين فريقين من الدول العظمى : فريق الحلفاء وما يتبعه من مستعمرات وفريق المحور ومستعمراته. كانت المستعمرات سواء التابعة للحلفاء أو المحور غير معزولة عن الأحداث العالمية بفعل الصناعة وتطور المواصلات وخروج بعض من أبناء هذه المستعمرات لتلقي التعليم في أوروبا لتلبية احتياجات الإنتاج الجديدة. كان العالم كله في تلك الفترة مهيأ للمشاركة في أحداث الحرب الكبرى بشكل مباشر أو غير مباشر. سواء كدول كبرى ذات سيادة ونفوذ، تسعى إلى تحقيق المزيد من النفوذ والإنتشار في العالم القديم في قارتي أفريقيا وآسيا، أو سواء كدول مستعمَرَة شاركت في الحرب أملاً في تحقيق الإستقلال.

وفي حين انشغلت القوى الكبرى بالحروب وبالتنازع فيما بينها على السلطة وفرض السيطرة على المزيد من الأملاك والأسواق خارج القارة الأوروبية - تلك الأسواق المصدرة للمواد الخام والمستهلكة لإنتاج المصانع الأوروبية وتأمين مصادر الحصول على العمالة الرخيصة - كانت شعوب هذه الأسواق في المستعمرات التابعة خاصة في آسيا وأفريقيا مشغولة بأحلامها الوردية عن تحقيق الإستقلال وتأسيس السيادة الذاتية. كان العالم كله في تلك الفترة مشغولاً وإن اختلفت أسباب الإنشغال من مكان لآخر. أوروبا مشغولة بالتناحر على السيادة الإقتصادية

وفتح أسواق جديدة، بينما الدول العربية على سبيل المثال فكانت مشغولة بحركات التحرر ضد الإستعمار والحلم بالإستقلال [4].

واستطاعت المرأة العربية أن يكون لها دور فعال في حركات النضال ضد الإستعمار فمنذ بدايات القرن العشرين، تمكنت المرأة من أن تنسل من البيت وتخرج من وراء الحجاب وشاركت في الحركة الوطنية وفي المطالبة بالإستقلال. وبدا واضحاً ومنذ البدايات الأولى لخروج المرأة العربية للمشاركة في الحياة العامة سواء على المستوى الفردي أو على مستوى النشاط النسائي الجماعي، إنها أي حواء العربية ماخرجت لتطالب بحقوق خاصة بها فقط، مثلما فعلت المرأة الأوروبية أو الأمريكية في مرحلة التحرر [5]، بل انشغلت بهدف كبير منذ بداية خروجها من البيت وخلعها لحجابها بكامل ارادتها ألا وهو تحرر وطنها وتحقيق الإستقلال.

كانت المرأة العربية مثلها في ذلك مثل الرجل العربي قد وقفا سويا جنباً إلى جنب في كفاحهما ضد الإستعمار وأعوانه، وإن كان الفارق بين المناضلين وبين المنضلات يتركز في العدد أي نسبة المشاركة، فعدد المناضلين من الرجال كان بالطبع أكثر من عدد المناضلات من النساء، إضافة إلى اختلاف نسبة المشاركة في الكفاح الوطني في الريف أو في المدينة. الكل شارك في الكفاح الوطني من كل الفصائل والقطاعات التي يتكون منها أي مجتمع عربي. وقفت المرأة العربية الناشطة بكل قوتها في تلك الفترة المبكرة بجانب الرجل العربي الذي ماعاند وقتها أو قاوم مشاركتها. كان الجميع من النشطاء رجالاً ونساءً يدافعون عن حق أوطانهم في الإستقلال بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين.

---

[4] Leila Ahmed: New Discourse. P 146- 147

[5] د. منى أبو الفضل: خطاب المرأة في عصر النهضة: قراءة بديلة ص ١٥، في عام ١٩٢٠ صدر كتاب في أمريكا تحت مسمى لعنة العام ١٩٢٠ وهو من تاليف المؤلف الأمريكي جاري نيلر المناهض للحركة النسائية، وهو نفس العام الذي نالت فيه المرأة الأمريكية حقها الوطني في التصويت. وفي هذا الكتاب يشير جاري إلى أن المجتمع الأمريكي لم يجن من مشاركة المرأة سوى تاكل القيم الأخلاقية والاجتماعية وفي هذا اعتراف صريح بانه في الوقت الذي كانت تعاني فيه النساء الأمريكيات من الهجوم على حقوقهن كانت المرأة المصرية والعربية في مجد نشاطها وتالقها الاجتماعي والأدبي. للمزيد اقرأ: رأفت صلاح الدين: الليبرالية والمرأة.
http://www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&contentid=920, 9/9/2009.

وفي هذا الكتاب اخترنا دراسة الحركة النسائية ووضع المرأة المصرية على مستوى الدين وعلى مستوى السياسة. وعلى الرغم من أن معظم الدول العربية تأسست دساتيرها على المبادئ الليبرالية ويبدو فيها فصل بين الدين وبين السياسة- بإستثناء المملكة العربية السعودية- إلا أن الواقع يؤكد ما يخالف هذا. ففي الوقت الذي يبدو فيه أن معظم الدول العربية ليبرالية إلا أن الحقيقة التي يعرفها المسلمون جميعاً أن "الإسلام دين ودولة" وهو الحلم الذي يحلم به المسلمون ويغذيه الإسلاميون المتشددون أو دعاة الإسلام السياسي. ويحلم المسلمون جميعاً بكافة فصائلهم في تحقيق العدالة الإجتماعية من خلال الدين الإسلامي ويؤمنون بكونية الإسلام وبقدرته على إستيعاب كافة النظم السياسية والإقتصادية وخلق حالة من التطور الإجتماعي في ظل الشريعة الإسلامية، ولكن كيف يتحقق هذا وعلى حسابَ منْ؟!!!.

في هذا الكتاب- الجزء الأول نستعرض تاريخ المرأة المصرية في خطين متوازيين الأول إعطاء فكرة عامة عن تاريخ الحركة النسائية المصرية ثم الخط الثاني سيكون من خلال إعادة قراءة وتحليل أعمال الكاتبة والأديبة "د. نوال السعداوي" كواحدة من الناشطات النسائيات منذ سبعينيات القرن العشرين حتى الآن، وكنموذج لإمراة كاتبة حوصرت بين المتغيرات السياسية العديدة في مصر وبين التغيرات الدينية التي طرأت على المجتمع مع نشوء الجماعات الدينية المتشددة. وفي الجزء الثاني سنتناول أعمال الكاتبة والأديبة والباحثة د. فاطمة مرنيسي من المغرب.

والأسباب متعددة لإختيار مصر والمغرب لهذا الكتاب، الذي سيظهر في جزئين: أولاً للتاكيد على دور الجغرافيا في إختلاف ردود الأفعال السياسية والإجتماعية والعقائدية من مكان إلى آخر، حتى في الوطن الذي تتكلم شعوبه نفس اللغة، ويدين أغلبهم بنفس الدين ويخضعون للكثير من نفس العادات والتقاليد. أيضاً إن كلا من د. نوال السعداوي (مصر) ود. فاطمة مرنيسي (المغرب) قد عاشتا معظم التحولات العظمى في تاريخ الأمة العربية منذ النصف الثاني من القرن العشرين وحتى الآن. وشاركت كلا من الكاتبتين في أحداث عصريهما بالكتابة وبالتحليل ولهما دور ريادي في الحركة النسائية بشكل عام في العالم العربي كله ودور ريادي خاص في بلديهما مصر والمغرب.

ومن المعروف أن د. نوال ناشطة نسائية علمانية على وعي تام بخطة الإسلاميين المتشددين في إثارة الشبهات حول الحركة النسائية منذ نشأتها وإتهامها بالتبعية للغرب- "الآخر"، و أنها تتحدث بإسمه وتنقل أفكاره إلى الوطن. ودائماً ما تبدو هذه الكاتبة في حالة تحفز في الكتابة ضد أفكار الإنغلاق والتزمت الإجتماعي الذي أُريد به الرجوع بالمرأة إلى الوراء سياسياً وإجتماعياً عن طريق إستغلال الدين لتحقيق هذا الهدف وبث التشكيك حول وطنية وأهداف الفكر النسائي.

أما د. فاطمة مرنيسي والتي تعتز بانها كاتبة إسلامية فإنها تؤمن بكونية الإسلام وبقدرته على ملاحقة التطور العالمي وتؤمن إيماناً قوياً بما يمكن أن يتحقق للمرأة العربية المسلمة من خطوات للأمام إذا تم الإلتفات للإيجابيات الفعلية التي منحها الإسلام للمرأة وما خصصه لها من حقوق وإمتيازات. تلك الحقوق والإمتيازات التي تقلصت على مر العصور ليس بسبب الدين وإنما بسبب تلك التفسيرات التي تستخدم الدين كسلاح للنيل من حرية المرأة ولي ذراع بعض النصوص والتفسيرات لصالح الفكر الذكوري ولتأكيد قوامة الرجل على المرأة[6]. ومع إختلاف ميول وأساليب كل من د. نوال ود. فاطمة في كفاحهما في إطار الحركة النسائية العربية نستعرض الخطوط العامة لنشاط كل حركة نسائية ودور كل من الكاتبتين وموقفهما من مشاكل المرأة في المجتمع العربي عامة وفي مصر والمغرب على وجه الخصوص وردود الأفعال العامة تجاه أعمالهما وأفكارهما التي أعلنتاها من خلال كتاباتهما البحثية أو الأدبية.

د. ثناء منير صادق

أستاذ مساعد للغة العربية وآدابها

بالأكاديمية البحرية الأمريكية

---

[6] عزة خليل: نساء في مواجهة نساء ص ٢٢١، د. حازم خيري: المرأة في الفكر الانسني، رابطة أدباء الشام،
http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=20772.

# الفصل الأول

## الأبعاد السياسية والدينية في الحركة النسائية العربية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢

# الأبعاد السياسية والدينية في الحركة النسائية العربية حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢

يشهد التاريخ بريادة مصر في مجال المطالبة بحقوق المرأة المدنية والبرلمانية من خلال أصوات مجموعة من الصحفيات والكاتبات نشطن وأصدرن العديد من الصحف والمجلات والكتب في النصف الأول من القرن العشرين. وكانت معظم كتابات النساء في هذه الفترة تتويجاً للنضال المصري ضد الإحتلال البريطاني مع المطالبة برفع وعي النساء وزيادة التعليم والمناداة بتحقيق حقوق المرأة المدنية والسياسية وعياً منهن مبكراً جداً بالربط بين التحرر من الإستعمار وضرورة التحرر من التخلف والجهل الذي فُرض على المجتمعات العربية لفترات طويلة. ولا ننسى أن حركة تحرير المرأة قد أخذت شكلها الناضج وشرعيتها بعد إصدار قاسم أمين كتابيه : "تحرير المرأة" في عام ١٨٩٩ وكتاب "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠. وفيهما كتب قاسم أمين عن المرأة المصرية وحقوقها وعن تلك المرأة الجديدة التي يحتاج المجتمع إليها في ظل المتغيرات العالمية الحديثة في ذلك الوقت والإنفتاح على العالم وما يعنيه تعلم البنات في ظل التحرر وزيادة البعثات التعليمية المصرية إلى أوروبا والتعرف على مجتمعات تخطت حواجز الحجاب ومجتمعات الحريم المنغلقة التي صارت لا تصلح للقرن العشرين. وكان قاسم أمين تلميذ الإمام محمد عبده الذي يُعد من أوائل الشيوخ المسلمين المستنيرين والذي ركز على أن الاسلام كفل كافة الحقوق المدنية والسياسية للمرأة من خلال القرآن والسنة، وأن الإسلام بأفكاره المستنيرة قد سبق دعاوى تحرير المرأة وغيرها من الدعاوى التي كان يرى أنها مضرة على المجتمع المصري إذا نُقلت كما هي. وكان الفارق بين الإمام وتلميذه هو أن قاسم أمين قد تاثر كثيراً من سفره وتعلمه في أوروبا ورجوعه بالعديد من الأفكار التقدمية التي كانت غريبة في ذلك الوقت على المجتمع المصري المحافظ. وقد واجه قاسم أمين نقداً كثيراً من قِبل المسلمين المحافظين ومن قادة الحركة الوطنية. وإن لم يكن معظم هؤلاء المعارضين ضد فكرة تعليم البنات في ذلك الوقت، فقد بدأ ينتشر في المجتمع المصري أن تعليم البنات صحوة سيكون لها تاثير كبير على تنشئة الأبناء

وعلى إستقرار الأسرة وعلى تفهم المرأة لزوجها[7] . ربما تكون هذه الدعاوى الذكورية لها نظرة محدودة لما يعنيه تطوير حال المرأة وأنهم جميعا قد هدفوا صالح الأسرة والمجتمع أولاً وتحميل المرأة المسؤولية الكبرى في تنشئة الأسرة وتربية الأبناء ، ولم تختلف تلك الدعاوي كثيراً عما كان سائداً من قبل ، إلا أنه يلاحظ تطور الخطاب واللغة الموجهة للمجتمع في الصحف وفي الكتابات الداعية إلى تحرير المرأة حيث أن إستخدام معنى التحرير يتضمن القبول ضمناً بأن المرأة المصرية في وضع متدني ويحتاج إلى الإصلاح.

كانت كتابة المقالات وإصدار الكتب هي المُعبِّر عن قضية المرأة والمحرك الأساسي لأبعادها وإثارة الجدل حولها وقد أسهم في هذه الحركة مجموعة من المناضلات اللبنانيات والسوريات اللائي وجدن حرية التعبير عن أفكارهن مكفولة في المجتمع المصري ، ويحضرني هنا ما أعلنته الكاتبة والصحفية "هند نوفل" وهي من أصول سورية أن هدف مجلتها "الفتاة" والتي بدأ إصدارها في مصر عام ١٨٩٢ هو المناداة بتقدم المرأة ومتابعة إبداعاتها الأدبية بعيداً عن "الدين والسياسة"[8] . وأعتقد أن هند نوفل أدركت في هذه الفترة المبكرة أهمية متابعة الحركة الفكرية والأدبية النسائية والتاصيل لها وتسجيلها أولاً كشرط أساسي لتقدم المرأة وحصولها على حقوقها أما التعرض لمنطقتي الخطر وهما الدين والسياسة ربما يقضيان على أي أمل في الحصول على هذه الحقوق . وفي هذا الفصل سنركز على الأبعاد الدينية والسياسية في الحركة النسائية منذ بدايات القرن العشرين وحتى قيام ثورة ١٩٥٢ ، والفضل في ذلك لما يتوفر الآن من مادة علمية تجمعت بفضل جهود هؤلاء الناشطين والناشطات .

في عام ١٩٠٧ تاسس الحزب الوطني في مصر وشاركت المرأة المصرية في جهوده وأنشطته ، وإن لم تكن عضوية المرأة حتى ذلك التاريخ رسمية وكانت جريدة "اللواء" هي لسان حال هذا الحزب . وفي عام ١٩٠٨ اشتركت المرأة المصرية في التوقيع على العريضة التي قدمها الحزب الوطني للخديوي للمطالبة بإنشاء مجلس نيابي مستقل يعبر عن دولة مستقلة . وبهذا عرفت المرأة المصرية قبل غيرها من نساء العالم معنى المشاركة السياسية على المستوى المحلي ،

[7] Naomi Sakr: Women and Media in the Middle East. Power Through Self-Expression.London 2004. P 40.

[8] Ibid.P 41

حتى وإن كان ذلك على نطاق محدود في القاهرة كمركز للنشاط السياسي والفكري، وحتى وإن اقتصر الأمر على مشاركة نساء وزوجات الزعماء السياسيين خاصة من حزب الوفد الذي كان يمثل الحركة الليبرالية المصرية في ذلك الوقت. أي أن تمثيل المرأة هنا لا نستطيع أن نقول أنه يمثل كل النساء من كافة الطبقات الشعبية.

أما على مستوى تمثيل المرأة المصرية عالمياً فإنه في عام ١٩١٠ مثلت السيدة "انشراح شوقي" - وهي أيضاً صحفية - المرأة المصرية في المؤتمر الدولي الذي دعا الزعيم الوطني المصري محمد فريد إلى عقده في بروكسل من أجل الدعوة إلى تأييد حصول مصر على إستقلالها[9]. وفي عام ١٩١٤ ومع قيام الحرب العالمية الأولى والتي شاركت فيها مصر بجانب انجلترا أملاً في الحصول على الإستقلال، قامت مجموعة من النساء المصريات بتكوين "الرابطة الفكرية للنساء المصريات" للمطالبة بحقوق المرأة السياسية والمدنية والتي منها إطلاق حرية التعليم للمرأة حتى المرحلة الثانوية، وتشجيع النساء على تعلم الطب والتمريض، وأن تتاح فرص العمل للنساء من كافة الطبقات وتعديل الحجاب بما يمنع فكرة عزل المرأة اجتماعياً أو تخفيها وراء ساتر يمنعها من المشاركة في الانتاج وفي السياسة، والمطالبة بتقييد حق الرجل في الطلاق بدون أسباب مع المطالبة بإعطاء المرأة الحق في مقاضاة زوجها إذا أساء معاملتها، ورفع سن الزواج للبنات إلى ست عشرة سنة، والمطالبة بإعطاء الأم الحق في حضانة أبنائها في حالة الطلاق ومساعدتها في ممارسة النشاط السياسي أسوة بالرجل، وأيضاً المناداة بالقضاء على نظام الدعارة الذي لا يعبر إلا عن الوضع المتدني والنظرة الدونية للمرأة والإقلال من شأنها[10]. وكانت ثورة ١٩١٩ إنطلاقة قوية للمرأة المصرية التي شاركت في هذه الثورة بجانب الرجال. وقدمت بعض النساء حياتهن ثمناً لنجاح هذه الثورة أسوة بما قدمه الرجال، وحتى بعد نفي زعماء الثورة قامت الزوجات والأخوات والنساء القريبات من زعماء الوفد باستكمال مسيرة النضال تحت قيادة "هدى شعراوي" والتي أُنتخبت زعيمة لأول مؤسسة سياسية نسائية وهي "اللجنة

[9] التمكين السياسي للمرأة المصرية: هل الكوتا هي الحل.

ID=1181.http://www.maatpeace.org/Arabic/DetailsPage.aspx?Page

[10] محمد حسن عبد الحافظ: أفق المرأة المصرية.

http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=982
Cynthia Nelson: Doria Shafik, Egyptian Feminist.Third printing, 2004. P 25

المركزية لنساء حزب الوفد". وقد قامت عضوات هذه اللجنة بالدعاية لمقاطعة البضائع الإنجليزية[١١] . وفي عام ١٩٢٢ مثلت السيدة هدى شعراوي المرأة المصرية في مؤتمر "الاتحاد النسائي الدولي" الذي عُقد في روما، وبعد عودتها من هذا المؤتمر بعامين قامت بتأسيس "الإتحاد النسائي المصري"، إيماناً منها بوجود قضية للمرأة المصرية والدعوة إلى الكفاح من أجلها، وبمجرد إنشاء هذا الإتحاد إنضم إلى "الإتحاد الدولي لحقوق المرأة" وكان له فروع في جميع أنحاء العالم لخدمة الأهداف الإنسانية العامة١٢. كان أهم ما يميز هدى شعراوي ونشاطها في مجال الدفاع عن حقوق المرأة إستقلالها المالي وعدم إحتياجها إلى دعم من الآخرين أياً كانوا داخل الوطن أو خارجه. فهي إبنة سلطان باشا أحد أغنياء الملاك المشهورين في مصر، ثم تزوجت من علي شعراوي أحد القادة البارزين في حزب الوفد. وقد هيأت الظروف المادية والإجتماعية لهدى شعراوي كل أسباب النجاح في مساعيها للدفاع عن حقوق المرأة المصرية ومساعدة الحركة النسائية ودعمها من مخصصاتها المالية الخاصة، خاصة إرسال البنات إلى أوروبا لتلقي العلم وللحصول على درجة الدكتوراة[١٣] .

ولا ندعي أن الوعي العام كان ناضجاً بالدرجة الكافية- محلياً وعالمياً- في بدايات القرن العشرين بقضية النساء أو بحقوقهن أو مستعدا للإقرار أو الاعتراف بها كاملة، ففي مصر على سبيل المثال وحتى هذه الفترة كان ما يتعلق بحقوق النساء محصوراً في الربط بين الأصالة الثقافية والإسلام مما يعني أنه كان على النساء في هذا الوقت المبكر التصدي لوجهة النظر الرسمية والتي تمثل الدولة والفكر الذكوري بسلوك أحد الطريقين: إما إنكار أن الممارسات الإسلامية في تفسيرها لحقوق المرأة تأتي قهرية أو التاكيد على أن الممارسات القهرية ليست بالضرورة إسلامية أو ليست من الإسلام، وهي إشكالية عويصة كانت ومازالت حتى يومنا هذا

---

[11] Naomi Sakr: Women and Media. P 44

[12] منتديات الحلم: اول مصرية مسلمة رفعت الحجاب في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة وأسى، التمكين السياسي للمرأة، مرجع سابق ص٢.

http://www.7lem.com/vb/showthread.php?t=34080.

هدى شعراوي كانت حلقة الوصل بين الحركة النسائية العربية ونظيرتها الغربية، اذ شاركت في ١٤ مؤتمراً نسائياً دولياً في انحاء العالم وتعد اماً لمعظم حركات التحرر النسائي في العالم العربي اسست ١٥ جمعية نسائية في مصر وحدها.

[13] Cynthia Nelson: P 25 ، كانت درية شفيق أحد الفتيات المصريات اللائي سافرن للحصول على الدكتوراة من السوربون بمساعدة ونفوذ هدى شعراوي.

لصيقة باي نشاط نسائي وتستنزف كل طاقته مع عدم الوصول إلى حلول دامغة وجذرية لأن الدين هو أحد أركان القضية، ولأنه المصدر الرئيسي في التشريع [14]. وهكذا وبرغم من نشاط النساء المناضلات والمبكر جداً لتأييد الحركة البرلمانية أملا في تاكيد شرعية ممارستهن لحقوقهن السياسية والإجتماعية، وبرغم من أن السيدة هدى شعراوي قد أعدت عريضة رسمية لتقديمها إلى البرلمان المصري الجديد تنادي بتعديل قوانين الأحوال الشخصية[15]، إلا أنه عندما صدر دستور ١٩٢٣ أتى خالياً من أي إشارة صريحة إلى حقوق النساء، على الرغم من أن المادة ٣ من دستور ١٩٢٣ لم تنف وجود المرأة، فقد نصت على أن كل المصريين متساوون أمام القانون. لم يميز في الدستور بين رجل أو إمرأة، وأن الجميع متساوون في التمتع بالحقوق السياسية والمدنية ومتساوون فيما عليهم من الواجبات والتكاليف العامة، لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين[16] . وفي يناير ١٩٢٤ قام حزب الوفد بتشكيل الحكومة الجديدة واستبشرت النساء خيراً بالحصول على حقوقهن وتعديل أوضاعهن السياسية والمدنية لما عُرف عن حزب الوفد من تبني الأفكار التحررية والتقدمية في ذلك الوقت، ولكن كانت النتائج مخيبة لآمال الناشطات. وكان أن قامت الكاتبة والصحفية "منيرة ثابت"[17] بنشر مقال في جريدة الأهرام بعنوان "الحقوق السياسية للمرأة المصرية"، وانتقدت في هذا المقال سياسة الوفد وتجاهله لحقوق النساء بعد أن وصل إلى تشكيل الحكومة، ونتج عن تلك المقالة سماح زعماء الوفد للنساء لأول مرة بحضور جلسات البرلمان في ٢٢ مارس ١٩٢٤. وقامت منيرة ثابت بتأسيس جريدة "الأمل" في عام ١٩٢٥ والتي من خلالها كانت تدعو إلى تعليم المرأة وتمكينها من حقوقها السياسية والمدنية من خلال الدعوة إلى إصدار تشريع بذلك لضمان تنفيذ هذا الحق. وقد قُوبلت هذه المجلة بالمعارضة الشديدة من قبل رجال السياسة والوزراء ورجال الدين البارزين، ولم تستمر حكومة الوفد طويلاً وسقطت بعد أقل من مضي عام على تشكيلها للحكومة. وقامت هدى

---

[14] نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية "الملامح والحصاد"، مركز دراسات المرأة الجديدة.

' 9/7/2009 http://bosla.org/node/70

[15] Cynthia Nelson: Doria Shafik. PP 25-26.

[16] التمكين السياسي للمرأة، نفس المرجع ص ٢.

[17] منيرة ثابت كانت أول إمرأة مصرية تتخرج من كلية الحقوق الفرنسية بالقاهرة. للمزيد ارجع إلى:

Naomi Sakr: Women and Media , P 45

شعراوي بتقديم إستقالتها عام ١٩٢٥ من حزب الوفد وركزت كل جهودها على الاتحاد النسائي المصري الذي كانت ترأسه[١٨]. وتبع هدى شعراوي العديد من النساء اللائي لم يكن رد فعلهن سلبياً، واشتدت مطالبتهن بالحقوق السياسية من خلال العديد من وسائل التعبير ومنها مثلا الصحافة مثل الإعتماد على مجلة الإجبسيان التي أصدرها الإتحاد النسائي المصري عام ١٩٢٧، وكانت ترأس تحريرها "سيزا نبراوي". وكانت هذه المجلة تناقش سياسة حزب الوفد وتنتقدها كما كانت تنشر العديد من المقالات عن الإستقلال وعن المطالب السياسية وكيفية إدارة الدولة الحرة المستقلة وضرورة حصول المرأة على حق التمثيل النيابي وحق التصويت. وكان يعيب هذه المجلة أنها صدرت باللغة الفرنسية لتوزع بين الصفوة والأرستقراط ولتوزع في فرنسا لمتابعة قضية المرأة المصرية والتعريف بها، وقد أثر ذلك إلى حد ما على ردود الأفعال العامة تجاه ما يعرف بقضايا النساء وبدا وكأنها قضية خاصة بفئة صغيرة مرفهة لها إنتماءات فكرية خاصة.

وكانت بعض العاملات في مجال المرأة في هذا الوقت ضد التوسع في المطالبة بالحقوق التي في شكلها غربية أوروبية لا تتناسب مع أخلاقيات المجتمع المصري المحافظ والذي يؤمن ابناءه بالإسلام، وعلى رأسهن "ملك حفني ناصف" أو باحثة البادية التي تلاقت في أفكارها مع أفكار قاسم أمين وأحمد لطفي السيد والتي تدعو إلى تعليم المرأة بما يضمن لها كرامتها الإجتماعية وبما يساعدها في تأسيس أسرة قوية مع معارضة أن تطالب المرأة بحقوق سياسية أو برلمانية. وكانت ملك تؤمن بحدود لحقوق النساء ومن أهم هذه الحدود معارضتها القوية لمسألة الإختلاط بين الرجال وبين النساء في العمل العام ومعارضتها لخلع المرأة لحجابها ليس لأسباب دينية بل لأسباب إجتماعية بحتة. وطبعاً حد الإختلاط سقط طبيعياً بقيام ثورة ١٩١٩ عندما شاركت النساء في هذه الثورة بفعالية ملحوظة بجانب الرجال. إلا أن أمثال ملك من النساء كنّ كثيرات وإن كنّ منخرطات في العمل العام وفي مجال الكتابة وإصدار المجلات[١٩].

---

Naomi Sakr: Women and Media. P 44.[18]

Naomi Sakr: Women and Media. P 45[19].

وخلال الثلاثينات من القرن العشرين بدأ ينتشر في مصر ما يمكن أن نسميه بنزعة محاربة كل ما هو أوروبي [٢٠]، وكان ذلك بتأثير إلى حد ما من نشأة جماعة الأخوان المسلمين في عام ١٩٢٨ على يدي "حسن البنا". وساعدت الظروف الإقتصادية المتردية وفشل القصر في التعامل مع الرعية في فتح المجال لإنتشار أفكار "الأخوان" الذين عبروا عن أنفسهم بروح الأمة والتي هي معرفة الله وتطبيق شريعة كتابه الكريم، واتباع سنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وفي عام ١٩٣٣ تأسس "حزب مصر الفتاة" الذي التقت أفكاره مع أفكار الأخوان في معارضة كل ما هو أجنبي بما فيها مدارس الإرساليات التبشيرية.

وشهدت الحياة السياسية في مصر بشكل عام خلال الثلاثينيات موجة من العنف خاصة في الإنتخابات وإنتشرت موجات الإغتيالات حتى تم عقد معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا والتي تم بمقتضاها الإعتراف بمصر دولة مستقلة مع الإبقاء على تواجد القوات الإنجليزية في منطقة القناة. هذا في نفس الوقت الذي تزايدت فيه هجرة اليهود إلى فلسطين بشكل ملحوظ مما أثار حفيظة كل الوطنيين الشرفاء. وكان أن قامت هدى شعراوي كنسائية نشطة وكزعيمة بتخصيص جلسة الاتحاد النسائي العربي لمناقشة قضية فلسطين في عام ١٩٣٩ [٢١]. وكان هذا جزء من نشاط المرأة المصرية على النطاق العربي العام وشرف المساهمة في مقاومة البذور الأولى لزرع المشروع الصهيوني منذ تفعيل ذلك المشروع بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى على أرض فلسطين، وأيضا مثل هذا النشاط جزء من المشاركة في الدفاع عن حق الوطن في نيل الإستقلال.

وفي عام ١٩٣٩ تضافرت جهود هدى شعراوي وسيزا نبراوي ومنيرة ثابت لتمثيل المرأة المصرية في المؤتمر الدولي للمرأة والذي عُقد في الدانمارك. وقدمت النساء المصريات اقتراح من ثماني نقاط: تضافر جهود كل المجموعات الناشطة في مجال المرأة على مستوى الدول الأعضاء وتبادل الخبرات فيما بينها. ومحاولة فرض رأي النساء في العمل على الحد من الحروب بين

---

[20] في عام ١٩٢٧ تعرض طه حسين لهجوم وتم تكفيره بعد تاليفه لكتابه: "في الشعر الجاهلي" واضطر لكي يتجاوز الأزمة أن يعدل بعضاً من أجزاء الكتاب. للمزيد ارجع إلى: تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان: دفاعاً عن حرية الفكر والابداع: "الضبطية القضائية للأزهر مطرقة على حرية الفكر".

[21] Cynthia Nelson: Doria Shafik. PP 53-69.

الدول ودراسة الأسباب الحقيقية وراء حدوث هذه الحروب، والعمل على إلغاء الحواجز التجارية التي تؤدي إلى الخلل في توزيع الثروات مما يؤدي إلى تقسيم العالم إلى دول غنية ودول فقيرة. وأن يتم الإلتفات لما تعنيه حقوق الإنسان، وأن تتم مراقبة الحكومات لنشاط بعض المصانع والشركات العاملة في مجال انتاج وتصنيع السلاح. وقد كانت هذه المطالب تعبر عن مدى وعي النساء المصريات المشاركات في المؤتمر بقضايا تجاوزت المحلية والأفكار المنغلقة، إلا أن وقوع الحرب العالمية الثانية قد جمد كل هذه الأفكار الإنسانية على المستوى العالمي.

ولكن على المستوى المحلي فإننا نرصد أن الأربعينيات من القرن العشرين شهدت زيادة التوجه السياسي للحركة النسائية وتكوين أول حزب نسائي مصري تحت مسمى: "نساء مصر" في عام ١٩٤٢ برئاسة "فاطمة نعمت راشد"، والذي نص برنامجه على مساواة المرأة بالرجل والنهوض بمستواها الأدبي والإجتماعي وصولاً إلى المطالبة بحصول المرأة العربية على حقوقها السياسية أسوة بالرجل وبحقها في المشاركة في الإنتخابات والتمثيل النيابي.[٢٢]

هذا في حين أنه لم تهدأ بقية رموز الحركة النسائية المصرية والتي كانت كثيرة ومتنوعة من خلال جمعيات وصحف ومجلات ومنظمات، ولم تكف عن العمل فكان أن قامت - وهذا على سبيل المثال لا الحصر- السيدة منيرة ثابت بالتعاون مع حزب "الكتلة" الذي تم انشائه تحت قيادة "مكرم عبيد" عام ١٩٤٤ بفتح ملف المساواة التامة بين الرجل والمرأة وتم الإستعانة بالعريضة القانونية التي كتبتها منيرة بهذا الخصوص لتقديمها إلى رئيس الوزراء أحمد ماهر لمناقشتها أمام البرلمان في عام ١٩٤٥. وجاء في تلك العريضة أن المرأة المصرية ولما أثبتته من القدرة على العمل وتحمل المسؤولية فإنه يحق لها الحصول على حقوق المواطنة الكاملة وحق التساوي بالرجل فهي تدفع الضرائب أسوة بالرجل وهي أيضاً تحاكم أمام القضاء المصري إذا كانت طرفاً في أي نزاع. وذكّرت رجال البرلمان بأن مصر قد وقعت رسميا بالموافقة على بنود "اتفاق سان فرانسيسكو" والذي يتضمن حق المساواة السياسية لكل المواطنين. وقالت منيرة إنه يجب

---

[22] الحركة النسائية في مصر،
http://www.forumtiersmonde.net/arabic/Social_Action_In_Arab_Countries/feminist_move, 5/8/2009.

من الرجال المستنيرين الذين أيدوا المطالب النسائية في هذه الفترة كان سلامة موسى وطه حسين وزكي عبد القادر .

على الحكومة المصرية إما أن تحترم المعاهدات والمواثيق الدولية التي توقعها وإما أن تسحب توقيعها. وقد كتبت منيرة ثابت كتاب "الثورة في البرج العاجي" عام ١٩٤٥ وأهدته إلى نساء مصر الثائرات وأعلنت أن دفاعها عن نساء مصر نبع من ايمانها بعدالة القانون وأنه آن الأوان على الرجال المصريين أن يفكروا بانفسهم في منح المرأة المصرية حقوقها السياسية[٢٣].

وعلى مستوى العلاقات النسائية العربية فإن هذه الحركات وهذه المساعي النشطة في كل الإتجاهات محلياً وعالمياً قد مهدت لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي العربي في عام ١٩٤٤ وقد شاركت فيه مندوبات من البلدان العربية ورحبت كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بهذه المساعي حتى أن زوجة الرئيس الأمريكي روزفلت قد أرسلت برقية تأييد للنساء المشاركات في المؤتمر[٢٤].

ويشهد التاريخ أنه فيما بين ١٩٣٩ و١٩٤٥ أي فترة قيام الحرب العالمية الثانية، ومع توافد الأفكار الغربية الجديدة بفعل الإحتكاك مع العالم من خلال تطور الصناعة وفتح الأسواق والحروب والبعثات التعليمية، أن المرأة العربية عرفت كما عرف الرجل معاني فكرية وسياسية جديدة- نتفق أو نختلف معها ليس هو المهم- مثل الشيوعية والليبرالية وغيرها من الفلسفات الفكرية والسياسية الشائعة عالمياً في ذلك الحين[٢٥]. وكما كان للشيوعية والليبرالية فضل في استقطاب قطاعات عريضة من النخب المثقفة وصفوف المتعلمين من الرجال، والذين تعددت انتماءاتهم الفكرية والثقافية للعديد من المدارس الفلسفية العالمية، فإنه لم يُذكر أن المرأة

[23] Naomi Sakr: Women and Media. P 47.

[24] منتديات الحلم: أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة وأسى، التمكين السياسي للمرأة المصرية.. هل الكوتا هي الحل؟. جريدة الكترونية: السلام للجميع،

منتديات الحلم: مدونة على الانترنت ٢٠٠٩/٥/٨.

http://www.71em.com/vb/showthread.php?t=34080.

وفي عام ١٩٤٥ وصل عدد مدارس البنات إلى ٢٣٢ مدرسة تضم ما لا يقل عن ٤٤٣١٩ طالبة: سناء المصري: خلف الحجاب.

http://www.unlimitedworld.org/index.php?option=com_content&task=view&id=2256&It 5/8/2009.e

[25] د. منى أبو الفضل: خطاب المرأة في عصر النهضة. ص ١٥، سناء المصري: خلف الحجاب.

العربية كانت مستبعدة من هذه الصحوة الفكرية التي بدأت تربط بين الشرق وبين أوروبا أو ما يسمى بدول العالم الأول في ذلك الحين ودول الشرق التي ما زالت تحت سيطرة الإستعمار!!.[٢٦].

ولا يمكننا أيضاً أن نتجاهل تأثير الجهود النسائية في دعم الأحداث السياسية المحلية ودعم الحركات الثورية الممثلة في الحركة الطلابية عام ١٩٤٦، والحركة الشيوعية، والعمليات الفدائية ١٩٥١، والمشاركة في محاولة الإنقاذ واعادة البناء بعد حريق القاهرة ١٩٥٢، وغيرها من الأنشطة الإيجابية النشطة التي تدل على تواجد المرأة المصرية على خريطة العمل العام. هذا في الوقت الذي كان المجتمع المصري مهيأ فيه للتحول من النظام الرأسمالي إلى النظام الإشتراكي، وقد ترك هذا صدى قوياً على وضع المرأة في المجتمع وبدأت تباشير طرح فكرة أن المرأة "نصف المجتمع" وهي فكرة لم تطرح من قبل. وظهرت في هذه الفترة مجموعة من الجمعيات أو اللجان النسائية المستقلة مثل "الحزب النسائي الوطني"، و"لجنة الأبحاث العلمية" و"لجنة نشر الثقافة الحديثة"، وتكوين "اتحاد بنت النيل" برئاسة "درية شفيق"[٢٧]. وقد استمر كفاح المرأة العربية ضد الإستعمار وأعوانه بجانب الرجل العربي حتى قيام ثورة ١٩٥٢ ونجاحها في مصر. هذه الثورة التي كانت نقطة فارقة في تاريخ الحركة النسائية والتي اختلفت معها ملامح وآليات النشاط النسائي المصري بل والعربي أيضاً[٢٨].

ظل نشاط المرأة العربية مستقلاً قوياً قبل ثورة ١٩٥٢ من خلال ظهور المزيد من المنظمات التي تدل على نضج الحركة النسائية وتنوع أساليبها الفكرية والنضالية، وكان من بين الناشطات مَنْ تعارض سياسة حزب ما وتعلن ذلك صراحة من خلال نشر رأيها على صفحات

---

[26] سماح عادل: في ظل تاريخ متشابك للحركة الشيوعية يظل أكثر مما يكشف محاولة للوقوف عند اشكاليات تاريخية البداية، ونضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية"الملامح والحصاد" في عام ١٩٢٤ أعلن قيام جماعة ايسكرا الشيوعية في مصر تحت قيادة هليل شوارتز وفي هذه الحركة خُصصت اقسام للعمال والطلبة والمثقفين والنساء والأجانب والجيش.

[27] النقد النسائي للأدب القصصي.

http://www.alsiyasi.com/?browser=view&EgyxpID=24599,9/7/2009.

[28] للمزيد عن نشاط المرأة المصرية تحديدا في هذه الفترة انظر:

Margot Badran: Egyptian Fiminism in the Nationalist Centuary.

محمد حسن عبد الحافظ: مرجع سابق ص٤.

الجرائد مثلما فعلت "نبوية موسى" في نشرها لآرائها المعادية لسياسة حزب الوفد على صفحات صحيفة "الفتاة"، وشاركها في هذا الاتجاه المعادي للوفد لجنة "السيدات الأحرار" المنتمية لحزب الأحرار الدستوريين. هذا في الوقت الذي كانت فيه السيدة منيرة تمثل السلاح الصحفي لحزب الوفد من خلال مجلتيها "الأمل" و"لسبوار"[٢٩].

وكان من بين الجمعيات النسائية المستقلة أيضاً: جمعية "الأخوات المسلمات" بقيادة "زينب الغزالي حرب"، تلك الجمعية التي تأسست على أن معاني الحرية والحقوق الإقتصادية والسياسية للمرأة وما يتبعهما من حقوق اجتماعية قد كفلها الإسلام بحيث لا تحتاج المرأة المسلمة لأن تطالب بما يخالف شريعة دينها الحنيف وبما لا يضر بحريتها واستقلاليتها. ربما كانت أفكار هذه الجمعية تتشابه مع غيرها من أفكار الذكورية الحديثة التي سبق وتبناها الكثيرون وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده وسبق أن أشرنا إليها من قبل إلا أنه لم يسبق وأن تكونت جمعية نسائية رسمية للمنادة بهذه الأفكار. وهذا ما يعطي لهذه الجمعية أهميتها من خلال الشرعية التي فرضتها على بقية الأطراف. وقد استعان الشيخ حسن البنا بهذه الجمعية بعد التفاوض مع زينب الغزالي حرب لاستمالة المزيد من النساء المسلمات للإنضمام إلى جماعة الأخوان المسلمين وتأسيس لجنة المرأة التابعة للجماعة تحت قيادة زينب الغزالي حرب. ويذكر التاريخ أن "لجنة المرأة" كان لها دور كبير في زيادة شعبية الأخوان بين صفوف المصريين.[٣٠]

كان نشاط المرأة المصرية على وجه الخصوص وتأثيره العام على المرأة العربية ضمن انتعاشة فكرية ووطنية قوية عمت المنطقة فيما بين سنوات١٩١٧ و ١٩٥٢. هذه الإنتعاشة قادها الطلبة والمتعلمون الذين أسسوا نادي المدارس العليا في مصر منذ عام ١٩٠٦ وكان لهم دور قوي ومؤثر في أحداث ثورة ١٩١٩ بداية من جمع التوكيلات والخروج بالمظاهرات من مدرسة الحقوق في ٩ مارس ١٩١٩ [٣١]. وكانت الفروق السياسية والفكرية المنظمة لكل الجماعات والمنظمات الناشطة واضحة وغير متشابكة ويجمعها كلها هدف أساسي وهو التخلص من الإستعمار. وأنه حتى وإن كانت بعض هذه الجمعيات قد ارتبطت بفئة إجتماعية خاصة أو بأواصر صلة وقرابة

---

[29] التمكين السياسي للمرأة: نفس المرجع السابق ص ٢.

[30] نضالات المرأة. مركز دراسات المرأة الجديدة.

[31] أخوان أون لاين: مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر، ٢٠١١/٥/١٠.

بزعماء سياسيين من الرجال إلا أنهم بدورهم قد آمنوا بأن العمل النسائي العام هو عنصر مساعد ومكون أساسي في الحركة السياسية والحزبية[32] .

إنها نفس الفترة التي تشهد بأن المنطقة العربية تعرفت على مجموعة من الإزدواجيات الفكرية بتأثير الإحتكاك العالمي، والتي ربما شكلياً قد تكون متعارضة في تفسيرها ورؤاها للمشروع الوطني وكيفية تحقيق الإستقلال، ومساعي الإفلات من سيطرة التخلف الذي أصاب المنطقة العربية بفعل التواجد الإستعماري الذي فُرض لفترة طويلة من تاريخها. إلا أن هذه الإزدواجيات والتعدديات ما كانت أبداً تخلفا بقدر ماكانت علامات مبكرة للتعايش بل وممارسة الفكر الليبرالي الحر، وما نسميه الآن اختصاراً الديمقراطية والحرية الفكرية والسياسية.[33]

كان من نتاج هذه الأفكار الحرة ميلاد المشروع العلماني بوجهيه الإشتراكي، والرأسمالي الليبرالي في منطقة الشرق الأوسط، والذي وجد مساندات وتأييدات مالية ومعنوية من قبل بعض الدول في الغرب ومناهضة من البعض الآخر، تأييد من قبل المتعلمين المثقفين العرب على المستوى المحلي ومناهضة المحافظين ورجال الدين، مما أفسح المجال أيضاً إلى ميلاد المشروع الإسلامي الجديد كرد فعل محلي عربي مناهض للعلمانية والأفكارالغربية الوافدة.[34]

هذا المشروع الإسلامي الذي تطور فيما بعد وأسماه البعض منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين بالإسلام السياسي لتبنيه أفكاراً سياسية تدعو صراحة إلى تاسيس الدولة الإسلامية. إنه ذلك المشروع الذي أثبت مع مرور الوقت قدرته على الإستفادة من سلبيات وإيجابيات تاسيس المشروع العلماني- الإشتراكي والرأسمالي الليبرالي- خاصة وأن من دعاويه- أي المشروع الإسلامي، والتي تخص النساء كانت على درجة عالية من التوافق مع أفكار الليبرالية الذكورية الحديثة في مصر والتي قادها قاسم أمين والتي تتأسس على أن كافة الحريات التي تطالب بها المرأة كفلها الإسلام، وأن تربية النساء والإرتقاء بشأنهن لهو إرتقاء بشأن رجل المستقبل الذي

---

[32] التمكين السياسي للمرأة: نفس المرجع السابق، ص ٢.

[33] خليل العناني: مركز القاهرة للدراسة حقوق الانسان- انتفاضة نسائية أم حركة نسوية مصرية؟ ١٠/٠٩/٢٠٠٨،
http://www.cihrs.org/Arabic/NewsSystem/Printable/Articles/1481, 9/7/2009

[34] نضالات المرأة المصرية عشية إنطلاق حديث التغيير، مصطفى ماشور: النهضة النسائية العربية، بواكير ورائدات .

يقود المجتمع. وقد نجحت هذه الدعوة أو الصحوة الإسلامية بشكل سريع لأن التكوينات الحزبية الإشتراكية والعمالية والحركات النقابية في العالم العربي في بدايتها كانت أجنبية صرفة أوكانت بعضها في الغالب مغلقة في حدود جنسية مغتربة، أو فئة إجتماعية معينة. فمثلا قام العمال اليونانيون في شركة قناة السويس بأول اضراب عمالي عرفته مصر في أول أكتوبر ١٨٩٤. وكان هؤلاء اليونانيين يمثلون بذرة من بذور الفكر الإشتراكي والحركة العمالية في مصر. وإشترك اليونانيون أيضا مع الأرمن في تاسيس أول نقابة على أرض مصر وكانت لعمال الأحذية. كان هؤلاء نواة الاشتراكية في مصر، وهذا يدل على أن مصر كانت من أوائل الدول العربية التي عرفت ما يعنيه العمل النقابي وما يعنيه الحق في الإضراب. وكان تكوين أول حزب إشتراكي مصري رسمياً عام ١٩٢١ وكان من بين المؤسسين رجل أجنبي إسمه "روزنتال" وشاركت إبنته في أعمال هذا الحزب كعضوة عاملة.[٣٥]

وقد أستفاد الإسلاميون من سلبيات تأسيس المشروع العلماني الإشتراكي والذي تعرض لإنتكاسات عديدة على المستوى العربي المحلي كما مُني بإنتكاسات على المستوى العالمي، بسبب ضغوط قوية من دول ومؤسسات عالمية قوية، مما أعاق وصول فلسفة الفكر العلماني- الإشتراكي على وجه الخصوص إلى القاعدة الجماهيرية العربية العريضة التي أشيع بينها أن هذا المشروع تأسس على المفاهيم الليبرالية الغربية المعادية للإسلام. هذه الأفكار العامة التي زاد انتشارها في مصر منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وكان هذا كافيا للتشكيك في شرعية المشروع العلماني لأنه من وجهة نظر المسلمين المحافظين، لا يعبر عن الأصالة أو الذات العربية الإسلامية وبالطبع أُتخذ الدين الإسلامي وسيلة لتأصيل هذه الأفكار المعادية للعلمانية الرأسمالية والإشتراكية.[٣٦]

ومن جانب آخر كان الشد والجذب بين الإشتراكيين والرأسماليين بل قُل التطاحن، ضمن أسباب نجاح الإسلاميين في توسيع دائرة نشاطهم في المنطقة العربية وتطوير أساليبهم

---

[35] سماح عادل: في ظل تاريخ متشابك للحركة الشيوعية يضل أكثر مما يكشف محاولة للوقوف عند اشكالية تاريخية البداية،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=51174
،نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية"المرمح والحصاد"٢٠٠٩/٧/٩.

[36] عزة خليل: نساء في مواجهة نساء ص ٢٢٢، مصطفى عاشور: النهضة النسائية العربية، بواكير ورائدات، هشام الناصر: الدين بين أحزاب اليسار واليمين.

http://www.alarabnews.com/alshaab/2006/17-20-2006/hesham.htm

الفكرية مستفيدين من أفكار التعددية الحزبية التي نشأت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، واستفادوا من انتشارهم في النقابات المهنية المؤثرة والتي صارت واحدة من أهم القوى الضاغطة لحسابهم على نظام الحكم. وقد استفاد الإسلاميون أيضا من الإنتخابات الحرة وتأسيس المجالس النيابية وصاروا قوة واضحة المعالم والأهداف في مجال الإصلاح السياسي. ورويداً رويداً نجح الأخوان المسلمون تحديداً في إحياء الدور السياسي الوطني والقومي. والأخوان وهم الذين مهدوا الطريق أمام الإسلاميين في الظهور وفي الإنتشار- أي كافة الجماعات السياسية التي ظهرت فيما بعد والتي تتأسس برامجها على الإسلام كمرجعية دينية[٣٧]. هؤلاء استطاعوا الإنتشار بين الطبقات الشعبية البسيطة التي لم تجد تفهماً كاملاً أو تواصلاً كافياً له ثقله مع المتعلمين والمثقفين الذين انشغلوا بالأفكار العلمانية خاصة بين من تأسست ثقافتهم السياسية والفكرية على الأفكار الغربية، والذين كان بعضهم لا يتكلم اللغة العربية بطلاقة أو لا يستخدمها في الكتابة في الجرائد والمجلات. والذين انشغلوا أيضاً بتوجيه خطابهم الفكري والسياسي لأبناء الطبقات العليا وللمتعلمين لإعتقادهم أن هذا يخدم الفكر التقدمي وأنه ضمان لمساعدة هؤلاء في الارتقاء بالوطن، ولم يدرك هؤلاء أنهم بذلك يفقدون أرضهم المشتركة مع الأغلبية من الفقراء وأنصاف المتعلمين الذين منذ ثورة ١٩١٩ أصبحت مشاركتهم في أية حركة عامة واجبة ولازمة لضمان التفوق السياسي، وأصبحت الضرورة تحتم عدم تجاهل تأثيرهم على العمل العام.[٣٨]

وهكذا نجحت دعاوي الإسلاميين ثم من بعدهم السلفيين في نشر الرعب بين شعوب البلاد العربية من الأفكار العلمانية وما يمكن أن تجلبه على الشرق من سلبيات قد تؤثر على خصوصية الشخصية العربية الإسلامية وما يمكن أن يجعل منها تابعاً للغرب فكرياً وسياسياً واقتصادياً. وكان من الطبيعي أن تنعكس تأثيرات هذه التصارعات السياسية والفكرية العقائدية على كل نواحي الحياة في المنطقة العربية بما فيها شخصية الحركة النسائية التي تم

---

[37] أخوان أون لاين: مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[38] إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، محمد حسن عبد الحافظ: مرجع سابق. ص ٥، Cynthia Nelson: Doria Shafik. P 116

تسييسها هي الأخرى وتحجيم نشاطها الحر بعد نجاح ثورة ١٩٥٢ ، [٣٩] ويكفي أن نذكر أن هيئة التحرير التي تأسست بعد نجاح الثورة كانت خالية من تمثيل المرأة على الرغم من أن الثورة لم تكن معادية للمرأة على وجه الخصوص، و لكن بدا واضحاً أن فلسفة رجال الثورة والتي كانت معادية لكل ما هو مستقل وكل ما يمكن أن يكون ضد المشروع الوطني القومي الجديد من منظور رجال الثورة ومفكريها مع الميل إلى عدم إغضاب الإسلاميين حتى وان أتى ذلك على حساب النساء. [٤٠]

فقدت الحركة النسائية إستقلاليتها ودورها الوطني المستقل ونزاهة مقصدها بعد إخضاعها للمشروع الوطني الكبير العروبة والقومية العربية الذي كان قد بدأ كبذرة مع أفكار الزعيم الوطني "مصطفى كامل" وتبلورت فعالياتها وأفكارها بعد نجاح ثورة يوليو عام ١٩٥٢، بل وخضعت رويداً رويداً لما يمكن أن يمليه أي تطور وأي تفاعل بل وأي تصادم بين المشروعين الكبيرين، المشروع العلماني والمشروع الإسلامي [٤١] : المشروع الإسلامي الذي تبنت تدعيمه دول الخليج العربي من أموال النفط والذي بدأ يظهر وبوفرة في أراضيها منذ ثلاثينات القرن العشرين، هذه الدول المستفيد الأول من زرع المشروع الإسلامي في المنطقة وتعطيل أو إبطال فكرة فصل الدين عن الدولة [٤٢] ، ومن جانب آخر المشروع العلماني الذي بدا أن تدعيمه مالياً وفلسفياً يأتي من العالم المتقدم - أوروبا وأمريكا ومن قبلها الإتحاد السوفييتي. ذلك الدعم الذي كان شوكة في جانب أية حركة أو منظمة موالية للفكر العلماني الذي حورب بضراوة على أنه أداة للإستعمار العالمي الجديد، وأن التدعيم المالي أو تلقي الأموال من الخارج ما هو إلا الوسيلة

---

[39] محمد حسن عبد الحافظ: نفس المرجع ص ٦.

[40] مصطفى عاشور: اسلام أون لاين: النهضة النسائية العربية... بواكير ورائدات، سعد الدين ابراهيم: ماذا حدث لحفيدات هدى شعراوي؟ السافرات.. الكسولات الخانقات. ديسمبر ٢٠٠٥ مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية .

[41] د.هالة مصطفى: سياسة من أجل النهوض بالديمقراطية الليبرالية في مصر (الناشر مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية- واشنطن، مايو ٢٠٠٦ ترجمة مجدي خليل).

[42] شريف حتاتة: اليسار في مصر إلى أين،

http://www.nawalsaadawi.net/oldsite/aeticlessherif/07/yasar-jordan.htm

سناء المصري: خلف الحجاب: بلا حدود، واشنطن، سبتمبر ٢٠٠٦ .

http://www.unlimitedworld.org/index.php?option=com_content&task=view&id=2256&Ite...5/8/2009

المؤدية إلى فتح الباب لهيمنة ذلك الإستعمار[٤٣] . كانت الحركة النسائية ومازالت منذ نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ قضية من القضايا التي تستغل إما في إخماد الصراع أو إشعاله بين فصائل المتناحرين على السلطة- علمانيين (رأسماليين واشتراكيين) من جهة أو إسلاميين من جهة أخرى. ولكن وما لا يمكن إنكاره إتساع رقعة المشروع الإسلامي في منطقة الشرق الأوسط، والذي ارتدى أثواباً فكرية جديدة وخاصة به تمثلت في الإتجاهات القومية والتراثية المتعصبة[٤٤] ، التي عملت على تراجع المشروع العلماني وضعف قوة مناصريه رجالاً ونساءً في الدفاع عن أفكارهم التي كثيراً ما وُجهت إليها أصابع الإتهام من قبل الإسلاميين والمحافظين على أنها تابعة وصورة ممسوخة للأفكار الغربية الوافدة[٤٥] .

إن ضعف قوة العلمانيين له العديد من الأسباب المحلية والعالمية والتي يقف على رأسها التمويل المالي- قلته وعدم توفره أحياناً أو التشكيك فيه- وصدمة تفكك الإتحاد السوفييتي معقل ومساند الحركات الإشتراكية في العالم العربي. وربما يكون السبب في ضعف الحركة العلمانية على المستوى الجماهيري العربي وكما أسلفنا، أنها نشأت معزولة عن القاعدة العريضة من أنصاف المتعلمين وغيرهم من البسطاء والكادحين المتطلعين فقط لتوفير قوت يومهم ، وارتكزت فقط على جهود المتعلمين من أبناء الطبقة المتوسطة ومن أبناء الأثرياء من المتطلعين إلى النموذج الغربي كمثل أعلى وارتباطهم بالمدارس الغربية بحكم انتماءاتهم الفكرية. ويضاف إلى ماسبق العديد من الحروب التي أنهكت قوى الشعب المصري على وجه الخصوص وأصابته بالإحباط وعلى رأسها نكسة ١٩٦٧. [٤٦]

وكما ارتبكت الحياة السياسية والمدارس الفكرية في منطقة الشرق الأوسط ، ارتبكت الحركة النسائية ، ولا يعني هذا أنها توقفت ، لكن تأثرت بالحالة النفسية العامة التي بدأت تستشري في المنطقة العربية عن تكوين الذات العربية، والتي صارت هدفاً ومسعى للأنظمة العربية، هدفاً أكبر في مجمله عن أية مصالح محدودة لفئة صغيرة. ومن هنا بدأت بوادر انعدام

---

[43] ماريز تاودروس : الناشطات النسائيات من دون حركة .

[44] مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر، خليل العناني : انتفاضة نسائية أم حركة نسوية مصرية .

[45] خالد قطب وآخرون : الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية، المجتمع المصري نموذجا ص ١ .

[46] سناء المصري : خلف الحجاب، بلا حدود.

الرؤية لإتباع خط وطني واضح أو موحد في الفترة التي واكبت نهاية الحرب الباردة، وإنهيار المعسكر الشرقي- الإتحاد السوفيتي. كانت هي تلك الفترة التي فقدت فيها الحركة النسائية العربية إستقلاليتها أمام قوة الدولة.[٤٧] وهي ذات الفترة التي دخلت فيها الكثير من مؤسسات العمل الأهلي دوائر التبعية للتوجهات الحضارية والثقافية العالمية دون أن يعي معظمها أنها لا تقف على أرض صلبة على المستوى الوطني المحلي ودون حسابات دقيقة لقيمة المساندة الشعبية.[٤٨]

لقد كانت التوجهات الجديدة التي فرضت نفسها على المنطقة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، تعود في خلفيتها الأساسية إلى مفاهيم الليبرالية الغربية الجديدة بعد أن تبنتها وروجت لها المؤسسات الدولية من خلال الكثير من البرامج والمؤتمرات التي تم زرعها في كل مكان في العالم للتمهيد لتحقيق المزيد من الإختراق الثقافي وتهميش أي دور لأية مقاومة محلية قد تقف في طريق تحقيق المصالح الإقتصادية العالمية بدعوى نشر الديمقراطية وكما كان التمويل المالي هو المرتكز الأساسي الذي أضعف الحركات الشعبية بما فيها الحركات النسائية في كثير من الأحيان، فإنه أيضا كان الأساس الذي وقفت عليه حركات المسير نحو النظام العالمي الجديد والمسير في ركاب الغرب وعدم الالتفات أو التقدير الدقيق لخطورة فكر الأسلمة الذي بدأ يستشري في كل نواحي الشأن الداخلي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. وفي الوقت الذي كان يتم به المناداة بالتحرر الإقتصادي وتطبيق آليات السوق المفتوح كانت الأفكار والعقول تتراجع إلى الوراء دفاعاً عن الأصالة والذات الإسلامية[٤٩]، وقد أُستغل الدين وإحداث الصراعات بين الطوائف المختلفة في إضعاف الشرق المستنزف والمجهد بصراعات وحروب محلية وعالمية وعلى رأسها بالطبع الصراع العربي الإسرائيلي.[٥٠]

---

[47] مصطفى عاشور: اسلام أون لاين: النهضة النسائية العربية.. بواكير ورائدات،
http://www.aljazeera.net/archive/archive?ArchiveId=91571

[48] ماريز تادروس: الناشطات النسائيات من دون حركة.

[49] هشام الناصر: الدين بين أحزاب اليسار واليمين. مرجع سابق. ص ٨، عزة عبد المحسن خليل: الحركات الاجتماعية في العالم العربي.

[50] مصطفى عاشور: النهضة النسائية. بواكير ورائدات،
http://www.islamonline.net/Arabic/history/woman/article01.shtml,5/8/2009

ونضيف إلى ما سبق: أن الأنظمة السياسية العربية المحلية لعبت دائماً على تزكية روح التصارع بين الإسلاميين- متشددين ومعتدلين، وبين العلمانيين- المنتمين فكرياً وفلسفياً إما للمعسكر الغربي- أمريكا وغرب أوروبا والذين غالباً ما ويوازنون بدورهم بين مساندة الإسلاميين أو مقاومتهم وفقاً لصراعهم مع المعسكر الشرقي- الإتحاد السوفييتي وشرق أوروبا والذين يؤيدون بدورهم فصيل من العلمانيين العرب لخلق توازن بينهم وبين الإسلاميين من جهة وبينهم وبين الرأسماليين من جهة أخرى. والهدف المباشر من تزكية أنظمة الحكم العربية لإنتشار الأفكار الإسلامية المتحفظة هو بالطبع فرض السيطرة على مجريات الأمور والتحكم في نتائج الإنتخابات المحلية وتفتيت الجهود الشعبية لإضعاف المعارضة. ومما يؤسف له، أنه في ظل الدعوة إلى نشر الديمقراطية وحرية مؤسسات المجتمع المدني كان تفكك كثير من الجهود الشعبية والوطنية وعلى رأسها الحركة النسائية العربية التي تشتت في توجهاتها وانعدمت فرصة توحيد جهودها وقُمعت أنشطتها لصالح قوة الدولة.[٥١]

إن كفاح النساء قبل ثورة ١٩٥٢ كان كفاحاً ضد الإستعمار بالدرجة الأولى قبل المطالبة بحقوق المواطنة والمساواة، أما بعد قيام الثورة فصار كفاحاً في ظل حكومات دول عربية مستقلة ومن المفترض أنها تحمل معاني العدل والمساواة والعدالة الإجتماعية. بعد عام ١٩٥٢ صارت مشاكل المرأة العربية في إطار الحكومات العربية وليس ضد القوى الأجنبية، وصار على الحركات النسائية عبء جديد وهو إثبات الوطنية والولاء وتقديم ما يبرهن على أن ما يدعون إليه وما ينادين به ليست أفكاراً تابعة وليست عميلة للقوى الأجنبية القديمة أو الحديثة كما زعم الكثيرون ممن يقفون وبقوة ضد كل ما هو نسائي في الماضي والحاضر، وكأنه كان على المرأة أن تعيد النظر من جديد في وسائل كفاحها أو أن تبدأ من جديد.[٥٢]

وإذا كان الكثيرون يرون أن حركة حقوق المرأة في مصر كانت الرائدة في العالم العربي، وأنه على مدى عقود سعت الجهود المصرية إلى إلغاء قوانين التمييز بين الجنسين الرجل والمرأة،

---

د. خالد قطب وآخرون: الحركة النسوية، ص ١.

[51] يسري الأيوبي: دراسات في ادب المرأة في العالم العربي، Syrianstory.com/comment13-6.htm ود. خالد قطب وآخرون: الحركة النسوية، ص ٢.

[52] أزمة الحركة النسوية العربية في ظل التحولات الدولية. الفضائية- الأرشيف/٢٠٠٩/٥/٨.

والإرتقاء بمكانة المرأة في كل قطاعات المجتمع [٥٣] ، وأنه - وهذا هام جدا- حتى ١٩ فبراير- ١٩٥١ عرفت المرأة المصرية وبشكل مستقل الدفاع عن حقوقها البرلمانية حتى وإن لم تحصل عليها لكن كانت تعرف كيف تطالب بها ، وأنها لم تستند حتى ذلك التاريخ على أية مساعدات مالية حكومية ، وذلك منذ أن بدأ تاريخ مطالبة المرأة المصرية بحقوقها السياسية ، وإن كنا لا ننكر تلقي المساعدات من قبل بعد النساء في العائلة المالكة أو من بعض الأغنياء إلا أنه ومن المؤكد أن الناشطات من الكاتبات والصحفيات لم يعتمدن مطلقاً على أية مخصصات مالية من الحكومات المصرية المتعاقبة ، بل في غالب الأحيان كن يعتمدن على دخولهن الخاصة من عملهن أو ممن ورثنه عن عائلاتهن.

ولذلك فإنه حينما نقول أن الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ وكما يقر الجميع قد مثلت نقطة فاصلة في تاريخ الحركة النسائية المصرية فإننا لا نبالغ ، وأن هذه الثورة قد غيرت خريطة العمل العام في مصر سواء في الداخل أو ما يتعلق بالشئون الخارجية والمعاملات الدولية .

ونختتم هذا الفصل بالتوقف عند آخر محطة مستقلة وجماعية موحدة حول أحد أهم الحركات النسائية وما قدمته قبل الثورة ثم صدامها مع رجال وفكر ثورة ١٩٥٢ ، ذلك النشاط وتلك التجربة التي عاشتها الناشطة "درية شفيق" التي سارت في الطريق حتى منتهاه مع فكر السياسة وفكر رجال الدين وانتهت بأن ألقت بنفسها من شرفة منزلها لتنتهي حياتها .

بدأت درية شفيق الناشطة النسائية والكاتبة الصحفية نشاطها في مجال الدفاع عن حقوق المرأة عام ١٩٤٥ بإنشاء مجلة "بنت النيل". وكانت قد حصلت على درجة الدكتوراة من السوربون في الفلسفة عام ١٩٤٠ ، وكانت أول إمرأة مصرية تحصل على الدكتوراة في موضوع "المرأة المصرية والقوانين الدينية المنظمة للزواج في مصر المعاصرة". وبرغم من كافة الكفاءات والمواهب التي كانت لدى درية شفيق وبرغم من علاقتها القوية بهدى شعراوي التي سبق وساعدتها على السفر إلى باريس وحصلت لها على كافة الموافقات من وزارة المعارف لتحقيق هدفها ، إلا أن تعيينها للتدريس في جامعة القاهرة قد تم رفضه للعديد من الأسباب وعلى رأسها

---

[53] human rights : بمعزل عن العدالة : حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر .

بالطبع أنها إمرأة !! وكان لحدوث الوقيعة بينها وبين هدى شعراوي وسيزا نبراوي أثره في محاربتها وفي الوقوف ضد طموحها، وكان عليها أن تكمل مسيرتها بنفسها.

وكانت درية شفيق إحدى الشخصيات النسائية النشطة في مجال الدفاع عن حقوق المرأة المدنية والسياسية، وقد لجأت إلى تأسيس مجلة بنت النيل لتصدر باللغة العربية بعد أن كانت تكتب باللغة الفرنسية فقط. ولكنها أدركت من المعارضة الشديدة ضدها ومن خلال بث الأفكار المعادية لها ولنشاطها واعتبارها غير مصرية أو مفرنسة أي أن انتمائها الأساسي للثقافة الغربية، فإنه يجب عليها أن تقترب من الأرض المصرية وفكرت في ممارسة نشاطها في الكتابة أو في عقد المؤتمرات باللغة العربية. ونجحت درية في أن تصدر مجلة بنت النيل باللغة العربية واستطاعت أن تضم المجلة مواضيعاً متنوعة تهتم بشؤون النساء في كافة المجالات. وكان أهم ما نجحت فيه درية شفيق من خلال هذه المجلة أن تتعرف عن قرب على معظم مشاكل المرأة الإجتماعية من خلال رسائل القارئات اللائي بدأن يطلعنها على مشاكل الزواج والطلاق في حيواتهن الخاصة[٥٤]. وقامت درية شفيق بتأسيس "اتحاد بنت النيل" عام ١٩٤٨، ثم قامت بتأسيس حزب سياسي أسمته أيضاً "حزب بنت النيل" في عام ١٩٥١. وكان هدفها من تأسيس الحزب السياسي هو فرض مطالب المرأة للمناقشة بشكل دستوري فلقد أدركت أن حلول مشاكل المرأة لن تتحقق إلا من خلال حزب سياسي نسائي. وكانت تنادي بأن القضاء على حق الرجل في تعدد الزواج بالقانون لهو من صميم الإسلام ولايتنافى مع الشريعة كما أنه سوف يحسن صورة المسلم في عيون الغرب. وانتقدت أيضاً قانون الطاعة وما يفرضه القانون على المرأة أن تلتزم بالبقاء في البيت الذي يختاره لها زوجها حتى لا تكون عاق وناشز أمام المجتمع وأمام القانون. وكانت دائما تؤكد على أن فكرة بيت الطاعة ليست من الإسلام وإنما ظهرت في المجتمع المصري بسبب الإحتلال العثماني للمنطقة العربية لفترة طويلة فرضت التخلف والتراجع إلى الوراء وفرضت على المجتمعات العربية قبول التقسيم بين طرفي المجتمع على أساس عبودي وتفوق جنس الرجل على جنس المرأة بما يتنافى مع ما أقره الإسلام من المساواة بين الجميع رجال ونساء أمام الله[٥٥].

54 Cynthia Nelson: Doria Shafik. P 126

55 Naomi Sakr: Women and Media. PP 48-49

كانت درية شفيق إمرأة قوية إستطاعت برغم من المعارضة الشديدة التي لاقتها من قبل سياسيين ورجال دين محافظين ومن قبل بعض الناشطات النسائيات أن تقترب من نساء من طبقات مختلفة ولذلك زاد عدد العضوات المنضمات إلى اتحاد بنت النيل، والذي قدم شيئاً هاماً للنساء في ذلك الوقت وهو توفير خدمة التعليم ومحو الأمية فلقد أدركت درية ومن يعاونها في العمل العام أنه كيف تطالب النساء بحقوق مدنية أو سياسية دون أن يعرفن على الأقل الكتابة والقراءة؟. وفي ١٩ فبراير ١٩٥١ قامت درية شفيق بقيادة مظاهرة لإقتحام البرلمان المصري بلغ عدد المشاركات والمشاركين فيها أكثر من ١٥٠٠ إمرأة ورجل، وكانت هذه المظاهرة مفاجأة شديدة لرجال البوليس المصري ولرجال البرلمان. وقامت درية مع زميلتين لها في القيادة بالتحدث إلى "عليّ زكي عرابي" رئيس البرلمان في ذلك الوقت للمطالبة بالحقوق السياسية الكاملة والمطالبة بإصلاح قوانين الأحوال الشخصية والمساواة في الأجر إذا تساوى العمل بين الرجل والمرأة، وأعلنته بأن المتظاهرين لن ينصرفوا حتى تحصل النساء على حق التصويت. واضطر زكي عرابي أن يعد بالعمل على تسوية هذا الأمر[٥٦]. وفي سبتمبر من نفس العام قامت درية شفيق بقيادة مظاهرة أخرى تحت رعاية اتحاد بنت النيل تهدف إستقلال الأمة من الإحتلال الإنجليزي بخروج القوات الإنجليزية من منطقة قناة السويس. وفي يناير عام ١٩٥٢ وكجزء من مقاطعة التعامل تجارياً ومالياً مع الإنجليز قامت درية أيضاً بالدعوة للتظاهر أمام بنك باركليز في القاهرة، وهو من أكبر البنوك التابعة للمعاملات المالية الإنجليزية، وبرغم من أنه تم القبض على بعض المتظاهرات إلا أنها تركت صدى قوي في الجرائد والمجلات المحلية والعالمية. وكانت هذه المظاهرة وكما أوضحت درية شفيق فيما بعد محاولة لإعطاء فكرة رمزية على أن النساء قادرات على الدفاع عن الأمة مثلهن في ذلك مثل الرجال.[٥٧] وفي ١٢ مارس ١٩٥٤ وذلك بعد قيام الثورة بعامين وفي نقابة الصحفيين أعلنت درية شفيق امتناعها عن الأكل والشرب حتى الموت حتى تحصل النساء على حق التصويت وكان ذلك بسبب أن لجنة مناقشة تاسيس الدستور الجديد لم تضم

---

[56] بمعزل عن العدالة : حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر

5/8/2009.....،http://www.hrw.org/en/node/11889/section/3

للمزيد عن درية شفيق ارجع إلى :

Cynthia, Nelson: Doria Shafik. P 169; Lisa Suhair Majaj: Gender, Nation, and Community in Arab Women's Novels, 2002. P 15.

[57] Naomi sakr: Women and Media. P 50-51.

بين أعضائها أية إمراة. وقد أعلنت درية شفيق أن امتناعها عن الطعام وعن الشراب سببه أنها ترفض أن يمثلها كإمرأة مناضلة مشرع دستور لا تعرف حتى أي شيئ عن مسودته الأولية. وعلى أثر هذا الإعلان قامت مجموعة من النساء بالمشاركة في هذا الإضراب وكان من بينهن منيرة ثابت. وبعد ثمانية أيام من الإمتناع عن الطعام وإنتشار أخبار الإضراب بين صفوف المتعلمين والبارزين أعلن كل من "محمد حسنين هيكل وفكري أباظة وعلي زكي عرابي" تاييدهم لمطالب المضربات عن الطعام وإقرار حق المرأة في حصولها على حق التصويت، وقد أعلنت تاييدات مماثلة من قبل النساء في الإسكندرية. هذا في الوقت الذي كانت فيه حكومة الثورة مشغولة بالتعامل مع جماعة الأخوان المسلمين الذين وضح تاثيرهم القوي على الشارع المصري من كافة طبقاته وفصائله وتغلغل تاثيرهم حتى بين صفوف الجيش المصري. وبعد صدام بين رجال الأخوان وبين المؤيدين للثورة قامت الحكومة بالقبض على زعماء الأخوان وحل الجماعة رسمياً، وقام بعض الأخوان بتكوين جماعة سرية.[58] هذا في حين أن مجلس قيادة الثورة نفسه كان منقسماً إلى فريقين أحدهما كان مع جمال عبد الناصر والثاني كان تابعاً لمحمد نجيب ولذلك كانت قيادة الثورة تمر بفترة حرجة جداً وتخشى من الديمقراطية التي قد تؤدي إلى ضياع نجاحات الثورة من أيدي القيادات الذين كان أقواهم باساً وتاثيراً هو جمال عبد الناصر والذي حسم الصراع مع محمد نجيب بان حدد اقامته في بيته في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤. وقام بحل كل الأحزاب السياسية والقضاء على المؤسسات الخاصة والتي قد تضر بالمصلحة العامة. أما ما يخص المرأة فإنه بالفعل تم اعطائها حق التصويت بموجب دستور ١٩٥٦. ولكن بعد المواجهة بين استقلالية درية شفيق وقيامها بجولاتها الحرة في الدعاية إلى قضية المرأة المصرية داخلياً وعالمياً قام جمال عبد الناصر في عام ١٩٥٧ بإغلاق مجلة بنت النيل وحزب بنت النيل وتحديد إقامة درية شفيق في بيتها لا تغادره حتى قامت ياساً بالقاء نفسها من شرفة بيتها في عام ١٩٧٥.[59]

ولأن درية اختارت أن تدافع عن الحقوق السياسية للمرأة المصرية فإنها اصطدمت بالذكورية السياسية المصرية التي لم تتركها تهنا بتصدير أفكارها من خلال الكتابة أو العمل العام، ولم تتركها تهنأ بحرية الحركة والسفر داخل الوطن وخارجه للدعاية لقضية المرأة. لم

---

58 Cynthia Nelson: Doria shafik.P 195-196.

59 Naomi Sakr: Women and Media. P 51.

تسلم درية شفيق أيضاً من محاربة رجال الدين الذين اتهموها صراحة بأنها أداة للإستعمار الثقافي، وأنها غير مسلمة لأنها تجرأت وكتبت في قوانين الأحوال الشخصية وكتبت أنه آن الأوان أن يفكر المسلمون في تحسين صورتهم أمام العالم بإعادة النظر في تلك القوانين التي تظهر المرأة في مكانة متدنية عن الرجل. وعلى الرغم من أن درية شفيق من أسرة مسلمة من أبناء الطبقة المتوسطة ولكن أُتيحت لها فرص التعليم العالي في مصر وفي فرنسا، فقد أُستغل أنها متعلمة وأنها تتكلم وتكتب بالفرنسية بطلاقة سلبياً ضدها بدلاً من أن يكون ذلك في صالحها وكما تقول نوال السعداوي أن الأسباب وراء الإحباطات والضربات المتوالية التي واجهتها درية شفيق كانت بالأساس لأنها دخلت عالم السياسة الذي لا يرحم والذي يعتقد الرجال أنه حكر عليهم. واضيف أيضاً أنه لم تكن السياسة فقط وراء احباطات ومحاربة درية شفيق بل أيضاً الدين الذي يمثل تأثيره على النفوس حائلاً قوياً أمام العمل العام للمرأة خاصة إذا كان تحت سيطرة رجال اختاروا أن يؤازروا السلطة وينظروا لها بتطويع التفاسير لصالحها، وبالتالي لصالح قوامة الرجال وتفوقهم على النساء لأنهم هم أنفسهم القادة السياسيون والذين يريدون التحكم في مقدرات الأمور. لقد عاشت درية شفيق سنوات حياتها من ١٩٥٧ إلى ١٩٧٥محكوم عليها بعدم مغادرة بيتها لأنها تجرأت وناضلت في منطقتين من أخطر المناطق في حياة المرأة المصرية ألا وهما السياسة والدين.

وبشكل عام في النصف الثاني من الخمسينات- بعد نجاح ثورة يوليو- وفي الستينيات أيضاً لم تكن هناك حركة نسائية مستقلة بل يمكننا أن نقول: كانت هناك محاولات للإستمرار في العمل النسائي، من خلال مؤسسات الدولة أو محاولات مجهضة نادرة للإستقلالية. وكان ذلك نتيجة منطقية لمصادرة الدولة لكل منابر العمل السياسي والإجتماعي المستقل، ومنها المنظمات النسائية واحتكار الدولة لتمثيل جميع المصريين، وممارسة ما يعرف بـ "النسائية الفوقية"[60] والتي هي تحقيق مطالب النساء بما لا يخل بالتوافق مع مسار المشروع الوطني، وهي المطالب المتصلة بالمجال العام وتغليبها على المطالب المرتبطة بالمجال الخاص، حيث تُرك أمر شئون الأسرة والأحوال الشخصية تحت سيطرة رجال الدين الرسميين الذين

---

[60] Kristina Nordwall: Egyptian Feminism: The Effects of the states, Popular Trends and Islamism on the Women's Movement in Egypt, P 4.

يمثلهم الأزهر الشريف في مصر.[٦١] تلك المؤسسة الدينية التي اشتهرت في أوائل القرن العشرين بمواقفها السياسية في مجال الكفاح الوطني ضد الإستعمار البريطاني في مصر واعلان المساندة والتأييد للمواقف الوطنية للمؤسسات الدينية في بقية البلاد العربية، ولكن وبعد الثورة صارت سياسة الأزهر جزء من السياسة العامة للدولة المصرية.

كانت هذه السياسة التي تبنتها الدولة بدعوى الحفاظ على التوافق مع المشروع الوطني وأيديولوجيته، حيث تضمن هدف الإستقلال الحفاظ على الهوية الوطنية، على حساب أية حركة شعبية مستقلة ومنها بالطبع الحركة النسائية التي تحولت منذ هذه الحقبة إلى جمعيات خيرية ينظم عملها القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٤٥ كما هو والذي برغم من تعديلاته واستبدالاته صار يعطي لوزارة الشئون الإجتماعية حقوقاً رقابية في التشكيل والإشراف المالي والتفتيش وإعطاء التراخيص أوطلب حل الجمعيات.[٦٢]

شكلت هذه السياسة أو هذا النهج ما يمكن أن نعتبره نوعاً من التسييس الذي أصاب الأسرة المصرية بعد قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢. منحت المرأة المصرية وفقاً للمادة ٧٣ لدستور ١٩٥٦ حرية المشاركة في الإستفتاء الذي يجرى لرئاسة الجمهورية والمشاركة في إنتخاب أعضاء مجلس الأمة كجزء معبر عن فلسفة الثورة لا تعبيراً عن أصالة الكفاح النسوي. وعلى الرغم من إصدار الدولة لقانون حق المرأة في التصويت رسمياً أسوة بالرجل في عام ١٩٥٦ والتوقيع على الاتفاقية الدولية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة والتي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة[٦٣]، إلا أنها في نفس العام قامت بحل الإتحاد النسائي المصري وبوقف نشاطه نهائياً بإعتباره حزبا سياسيا مستقلا يتعارض مع سياسة الدولة ومؤسساتها. وكانت هذه خطوة سلبية أستغلت لتقليم أظافر المرأة المصرية سياسياً واجتماعياً "وقت الحاجة"[٦٤] والتي ستظهر جلية في

---

[61] نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية"الملامح والحصاد"حين توجهت بعض الشخصيات النسائية إلى عبد الناصر عام ١٩٦٧ تطالبنه ببعض التعديلات في قوانين الأحوال الشخصية اقترح عليهن التوجه إلى المؤسسة الدينية الأزهر وقد رسخ هذا المسلك التاكيد على أن الأحوال الشخصية أو ما يخص العلاقات الأسرية هي من اختصاص المؤسسات الدينية.

[62] نضالات المرأة المصرية: نفس المرجع.

[63] اسلام أون لاين: حواء وآدم،

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2005/11/article02.shtml

[64] سيتم شرح ما أعنيه بوقت الحاجة بالتفصيل في الفصل الثاني.

في فترة السبعينات. وكانت أيضاً فرصة رسمية وبالقانون للسير على نفس نهج الأفكار الذكورية التقليدية ووضع نشاط المرأة تحت عين الدولة واشرافها من خلال التنظيم النسائي بالإتحاد القومي، ثم من خلال التنظيم النسائي بالإتحاد الإشتراكي [٦٥]. ولكن من الإيجابيات التي أحاطت بالمرأة المصرية فيما بين ١٩٥٢ وحتى عام ١٩٧٠، أي أثناء السنوات التي حكم فيها جمال عبد الناصر مصر، كان تشجيع تعليم البنات من كافة طبقات المجتمع المصري في الريف والمدينة على السواء وتشجيع خروج المرأة للعمل خاصة في المدينة من بين بنات الطبقة المتوسطة وعمل على نشر معاني الحرية الإجتماعية والضمان الإجتماعي، ونشر الحرية الثقافية من خلال الإهتمام بالارتقاء بالفنون الجميلة والرفيعة مثل السينما والمسرح والباليه والأوبرا وغيرها والحلم ببناء مصر المستقبل من خلال بناء السد العالي وإنشاء كلية الإقتصاد والعلوم السياسية والكلية الفنية العسكرية، ولكنها كانت مجموعة من الإصلاحات الأفقية التي اهتمت بالعدد أكثر من النوع وظهرت آثاره السلبية جلية في السبعينات. [٦٦]

بعد قيام ثورة يوليو كان على البنات الملتحقات بمراحل التعليم الإلزامي المشاركة في الفتوة العسكرية وفي جماعات الكشافة المدرسية وتلقي تدريبات عسكرية تؤهل الفتيات للمشاركة في حماية الوطن إذا لزم الأمر. وفي فترة العداء القوي مع العدو الأكبر للأمة العربية– إسرائيل وتوقع الحرب ضدها في أي وقت، شاركت الفتيات في ما عرف بالتعبئة العامة أي الاستعداد للمواجهة مع إسرائيل في أي وقت ولحماية الجبهة الداخلية، بالإضافة إلى فتح المجال للبنات لتلقي تدريبات في التمريض أسوة بالشباب. [٦٧] ومن المعروف أيضاً أن المرأة المصرية ابتداء من عام ١٩٥٧ قد شاركت في تنظيمات الإتحاد القومي وشاركت أيضاً عند إنتخاب القاعدة الشعبية عام ١٩٥٩ ومجلس البنادر وبرزت المرأة في تنظيمات الإتحاد الإشتراكي، وفي نوفمبر ١٩٦٢ صدر قانون بتشكيل اللجنة التحضيرية للمؤتمر القومي للقوى الشعبية وأوصي بأن يكون

---

[65] انظر:

Kristina Nordwall: Egyptian Feminism: The effect of the State, Popular Trends and Islamism on the Women's Movement in Egypt, The search for Islamic order, Block 1-2 .
Margot Badran: Egyptian Fiminism in a nationalist Century; نضالات المرأة: مركز دراسات المرأة الجديدة.

[66] محمد حسن عبد الحافظ: نفس المرجع السابق، وهشام الناصر: الدين بين أحزاب اليسار واليمين. مرجع سابق، ص ٧ .

[67] الفضائية– الأرشيف قناة الجزيرة ٢٠٠٩/٥/٨.

أعضاء المؤتمر ١٥٠٠ عضواً تمثل المرأة ٥٪ من إجمالي عددهم.[68] ومع إعلان الإتحاد الإشتراكي كمنظمة سياسية دخلت هيئاته العديد من السيدات، وفي عام ١٩٦٢ صارت السيدة حكمت أبو زيد أول وزيرة للشؤون الإجتماعية.[69]

وإذا كان تاريخ الأمة العربية يشهد بأن قدر المرأة العربية قد أوقعها بين السياسة من ناحية وبين الدين والشريعة من ناحية أخرى لتحديد مكانتها وحقوقها فإنه يكفيها شرفاً أن سلاحها في المقاومة كان دائماً بالقلم- بالأدب وبالفكر، لا بالقيادة الدينية أو السياسية. وأنه كلما ازداد التعصب الديني والتعصب الإجتماعي في عدد من الدول العربية فإن حساً مرهفاً وله ثقله في العلاقة بالوعي وبنشر نور الثقافة كان ينمو بدوره في اتجاه آخر ويشتد كلما اشتدت الأزمة كرد فعل مضاد من النساء العربيات المبدعات يساندهن أصحاب الفكر المستنير من الرجال يكافحون جميعا للتأكيد على أن صوت المرأة ليس عورة.

إن التناقض الكبير بين ما جاء عن المرأة من معاني إيجابية كثيرة في القرآن الكريم وبين النصوص التشريعية التي تنظم شئون المرأة العربية المسلمة وتتحكم في هامش حريتها هو الأساس وراء ضبابية صورة المرأة الحقيقية فكما ذُكر في موسوعة "سرينتي" عن المرأة والدين[70] نقرأ :" يفوق حضور المرأة في القرآن حضورها في أي نص مقدس آخر، ويرتبط هذا الحضور بالتركيز على مساواتها بالرجل، وتمضي الموسوعة في ذكر حقوق المرأة في القرآن متوقفة عند آيات: وللرجال عليهن درجة (صورة البقرة: آية ٢٢٨)، و الرجال قوامون على النساء.. (صورة النساء آية ٣٤) ونساءكم حرث لكم.. (صورة البقرة: آية ٢٢٤) وغيرها من الآيات ولكن يأتي التعليق كالتالي: بينما ميز القرآن بين الدور والوضع الإجتماعي للرجل والمرأة، إلا أنه لم يفرق بينهما فيما يتعلق بالمسئولية الأخلاقية. وليسمح لي القارئ أن أضيف هذه الآية من صورة النساء- آية ١٢٣ قال تعالى:" ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجز به ولا

---

68 التمكين السياسي للمرأة المصرية، هل الكوتا هي الحل؟
http://www.maatpeace.org/Arabic/DetailsPage.aspx?PageID=1181

69 محمد حسن عبد الحافظك أفق المرأة المصرية، مركز الدراسات أمان،
http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=982,9/7/2009

70 Sirinity Yong(ed) Encyclopedia of Women and World Religion (New York: Macmillan, 1999)

يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً. ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً". إن في هذه الآية تأكيد صريح على المساواة التامة بين الرجل والمرأة في المسئولية الأخلاقية أمام الله وشرائعه ولكن أين هذا على أرض الواقع؟!!!![71]، وقد قدم القرآن نماذجاً للخضوع من الجنسين، وأنه في حالة المرأة فإن نماذج الخضوع تكون لإرادة الله وليس للعبد أو الرجل. وتعود الموسوعة لتقول بأن القرآن كمصدر أساسي للتشريع الإسلامي قد إرتبط بالأحاديث النبوية الشريفة التي تتأسس بدورها على مواقف للنبي محمد والصحابة وأنه في هذه الأحاديث برز الفارق بين الصالح والطالح على أساس التمايز الأخلاقي وليس النوعي. ولا تنكر الموسوعة مجموعة من الحقائق التي تتعلق بالتناقض بين شفافية النصوص القرآنية وعدالتها وبين ما جاء في بعض الأحاديث التي تم جمعها في القرن الثالث الهجري والتي تساوي بين المرأة والشيطان وتدعو أيضاً إلى أن المرأة هي المصدر الأساسي للفتنة. إنه ذلك التناقض بين ماذهب إليه النص القرآني من مساواة بين البشر، وبين مكانة المرأة في التشريع الإسلامي والذي قد أفرز مجالاً واسعاً من النقد الإصلاحي على مدار القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.[72]

[71] Qantara.de, 5/6//2009 "خطاب الجندر" الجديد وممارسته في العالم الإسلامي .

[72] Sirinity Yong.Ibid.

# الفصل الثاني

# نساء مصر بين المد الإسلامي وفكر العولمة

# نساء مصر بين المد الإسلامي وفكر العولمة

تمتعت المرأة المصرية ظاهريا في فترة السبعينات بمجموعة كبيرة من الحقوق القانونية التي امتلأت بها الآلاف من الأوراق. ولكن الواقع يشهد بأن فترة السبعينات كانت أكثر الفترات التي عانت فيها المرأة المصرية من انتقاص حقوقها المدنية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية بل والأدبية أيضاً. إنه ذلك التناقض الذي فرضته العلاقة المتوترة بين الإسلاميين والعلمانيين وتزكية نظام الحكم لنيران الخلاف ونشر التشكك بين فصائل المجتمع لإضعاف روح المقاومة الموحدة وصرف الجهود الشعبية إلى قضايا جانبية خاصة بعد أزمات النظام التي واجهها بعد نكسة ١٩٦٧ داخلياً وخارجياً، واهتزاز صورة مصر أمام العالم وبعد بروز قوة أمريكا على السطح ومناصرتها لإسرائيل وتقهقر الإتحاد السوفييتي إلى الوراء وجنوحه عن مناصرته للكتلة العربية وعلى رأسها مصر.

كانت المرأة خلال السبعينيات من القرن الماضي الفريسة والورقة التي تُستغل من حين لآخر في إزكاء روح التصارع بين الإسلاميين والمعارضين من المتعلمين ومن اليساريين المناصرين للعلمانية والمنادين بفصل الدين عن السياسة والذين كانت آمالهم كبيرة في تحقيق الديمقراطية التي تقف بأرجل قوية على القانون بعيداً عن عشوائيات التعليلات والتفسيرات التي تتخذ من الشريعة فرصة لبث مجموعة من الأفكار المتخلفة والتي صارت تقود المجتمع المصري، وكانت عادة ما تخضع لرغبات الساسة ورجال النظام الذين أحيانا يتم الضغط عليهم من الجانب الأوروبي والأمريكي وجمعيات حقوق الإنسان، وإحراج النظام بسبب قضايا النساء واتهامه بالتراخي في اتخاذ خطوات حاسمة لحلها. وكانت مشاكل المرأة وحلولها تخضع لرؤى جديدة أكثر تشدداً عن ذي قبل لبعض رجال الدين من المحافظين المتشددين الذين صاروا أكثر من فصيل ومنتمين للعديد من الجهات والدول المجاورة وعلى رأسهم جماعة الأخوان المسلمين التي دبت فيها الحياة من جديد، ورؤاهم الشخصية، هؤلاء كانوا من جهة، ومن جهة أخرى كانت في يد رجال الأزهر مجموعة من الصلاحيات وهم الذين صاروا الجهة الدينية الرسمية للدولة التي صارت محاصرة بتأثير العديد من القوى: قوة الإسلاميين المتشددين والقوى العالمية من الخارج ومنظمات حقوق الإنسان بالإضافة إلى قوة المعارضة حتى ولو كانت ضعيفة ومنهكة في ذلك الوقت. وهكذا باتت قضية المرأة لعبة مضمونة تُستغل سياسياً تارة لإرضاء الإسلاميين وتارة

لمحاربتهم والحد من سيطرتهم الفكرية على الأسر المصرية وتارة للتأكيد على سلطة الأزهر كجهة رسمية وتارة للدعاية والإعلام بليبرالية نظام الحكم في مصر.[٧٣]

ومع ثورة التصحيح في مايو ١٩٧١ وإعادة بناء الإتحاد الاشتراكي- وبرغم من إشتراك ١٣٠٩ سيدة في العمل العام بنسبة ٢٪ من مجموع أعضاء الوحدات الأساسية بالمحافظات و١٦ سيدة بنسبة ١٪ من مجموع الأعضاء في مؤتمر المحافظة- إلا أنه تبدت جلياً مجموعة من الحقائق على رأسها : أنه وعلى مدار مايقرب من عشرين عام منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ وحتى قيام ما عُرف بثورة التصحيح يتجلى أن حال النساء لم يتطور بل تراجعت الحقوق الفعلية والمجتمعية- ولا نقصد هنا الكلام عن الحقوق على الورق- ويؤكد على ذلك تراجع أرقام مشاركات النساء في العمل العام، وأنه وعلى المستوى الإجتماعي بات من الملحوظ أن ظروف النساء صارت أكثر تحفظاً من خلال النظام الأسري الذي يتضح فيه وبقوة تزايد تحكم الأفكار الذكورية في الطبقة المتوسطة والتي ضعفت بضعف قوة الدولة وبتزايد سيطرة الأخوان والإسلاميين على قوة العمل النقابي ومعظم الجمعيات الأهلية[٧٤]. صارت قوة الإسلاميين غالبة وظاهرة في تلك الأفكار التي تنظم العلاقة بين الأب وأبنائه وبين الأخ الذكر وأخواته من الإناث، وعلى الأم أن تقبل بأن تكون تابعة للأب ليس لها إستقلال في قيادة أسرتها، وصار واضحاً التخلي عن ضرورة خروج البنت من الطبقة المتوسطة للعمل وأنه من الأفضل لها أن تبقى في البيت.[٧٥]

وكان استمرار وضع نشاط المرأة تحت الإشراف المباشر للدولة عملاً بنفس منهج سياسة الثورة في معالجة قضية النساء وتجميدها في إطار محدد إنما يدل على أنه لم يتغير شيئ في ملامح قضية المرأة منذ الثورة وحتى قيام ثورة التصحيح بل يمكننا أيضاً أن نرصد أن المرأة المصرية خسرت فعلياً الكثير من بعد قيام الثورة وأهم ماخسرته هو إستقلاليتها وحرية حركتها التي تمتعت بها أي ناشطة نسائية سبق وإختارت العمل في مجال الدفاع عن حقوق المرأة. وقد

---

[73] جمهورية مصر العربية- مصر الآن- الأسرة والطفل- المرأة المصرية- مدونة على الإنترنت ، والتمكين السياسي للمرأة. مرجع سابق ص ٤.

[74] أخوان أون لاين : مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[75] بمعزل عن العدالة.

نتج عن هذه السياسة وبالتدريج إلى أن يتحول نشاط المرأة في المدينة بالذات إلى حركة موظفات[76] ، يندر أن نجد بينهن عضوات ناشطات حقيقيات لهم قوة تأثير يعتد بها. بات من النادر الشعور بأن عضوات هذه المؤسسات التي تعمل في مجال المرأة محتاجات فعلياً أو يشعرن أنهن محتاجات لهذا النشاط لرفع مستواهن الإجتماعي والإقتصادي والدفاع عن قضية تخصهن. وفي كثير من الأحيان لا نبالغ إذا قلنا أن الإتصال بين القائمين على النشاط وبين مستحقي النشاط لم يكن موجوداً أصلاً في ظل مجتمع غير مبالٍ وشديد التحفظ والإنغلاق ولا يتقبل حتى أن يثار في البيت مشاركة البنت في عمل عام أو نشاط نسائي. يضاف إلى ماسبق تفريغ العمل النسائي من الفكر السياسي مما حول نشاط هؤلاء إلى مجرد عمل ووظيفة وحصول على مرتب آخر كل شهر!!!! هذا في الوقت الذي أصبح فيه "الإسلام" ملمحاً مركزياً في كل خطاب يدور حول التغيير السياسي والإجتماعي والثقافي والإقتصادي[77] .

أما المرأة المصرية في الريف فبدأ يتجلى وبوضوح أنها لم تستفد كثيراً من إنجازات الثورة. فهي نفس المرأة التي سبق لها أن عرفت العمل في الحقل بجانب الرجل منذ فجر التاريخ وما كان هذا الأمر مثار نقاش أو إعتراض من أية جهةٍ كانت مع الإحتفاظ بحق الرجل في قيادته للأسرة وتصدره لإتخاذ ما يلزم من قرارات مصيرية دون الحاجة إلى التاكيد على ذلك من خلال مناقشات مجوفة ليس لها معنى. فالمرأة المصرية في الريف عرفت حرية الحركة بلا قيود في إطار نمط الإنتاج الذي كان يسود، والذي كان لها نصيب كبير فيه. فقد كان للمرأة الريفية نصيبها من العمل الخاص في بيتها لتوفير إحتياجات أسرتها ولخلق عائد مادي ولو بسيط من بيع الفائض يسهم في إعالة أسرتها. هذا إلى جانب عملها الأساسي بجانب زوجها في الحقل. ولا نبالغ إذا قلنا أنه عُرف عن المرأة الريفية قدرتها على العمل أكثر من الرجل في الحقل وفي البيت وفي

[76] سناء المصري: خلف الحجاب،

وفي دراسة أعدها عمرو هاشم عن المرأة في البرلمان اتضح أن عضوات البرلمان المصري منذ عام ١٩٥٧ حتى ١٩٩٥ لم يتقدمن باي استجواب للوزراء مما يؤكد على ديكورية التمثيل النسائي في البرلمان وتفضيل النساء الاكتفاء بالسكوت على أن يظهرن على شاشات التليفزيون كعضوات حاضرات فقط، ربما لان أغلبهن يمثلن الحزب الحاكم أو ربما وهذا رأيي الخاص بعيداً عن بحث الأستاذ عمرو- نوعاً من الدفاع عن انفسهن ضد ألسنة بعض الرجال الجارحة في المجلس. اقرأ المصري: تمثيل المرأة ونظام الحصة،

http://egyption1-egyption1.blogspot.com/2009/07/blog-post_30.html,9/7/2009

[77] عزة كرم: نساء في مواجهة النساء، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص ٢٧.

تربية أولادها.[78] لقد تم إختزال دور المرأة الريفية كثيراً بفعل إرتفاع إيجارات الأراضي الزراعية وبدأ بعض الفلاحين يبيع ما ملكه بعد الثورة من أرض، والإعتماد على الإستيراد أكثر من الإعتماد على الإكتفاء الذاتي الذي كانت المرأة الريفية أحد دعائمه. وبدأ يستشري بين الفلاحين أن زراعة الأرض لا تؤتي ثماراً مشجعة، خاصة مع سياسة الانفتاح الإقتصادي التي فتحت الأسواق المحلية لبيع منتجات وسلع مستوردة بأقل من أسعار المنتجات المحلية وتغيرت قيّم الفلاحين الذين كان من الممكن أن يبعوا أي شئ إلا الأرض التي هي عرضهم وكرامتهم. وقد أدت سياسة الإنفتاح الإقتصادي والإقتصاد الحر- التي لم يكن المجتمع المصري مهيأ لها- إلى تزايد الهجرة من الريف إلى المدينة والعيش على هامش المدن في منشآت عشوائية وفقيرة[79]، بعد أن بدأت الدولة تسحب يدها عن التوسع في إنشاء المساكن الشعبية التي تخدم وتستوعب سكان المدن الصناعية التي أرادت حكومة الثورة إنتشارها كعامل محفز لتأسيس قوة الطبقة المتوسطة. وقد جاء ذلك التحول على حساب المرأة الريفية التي إشتد بها الفقر على عكس المتوقع بعد قوانين الإصلاح الزراعي وبدأ إنتاج المرأة الريفية في التراجع ويفقد قيمته، مع جنوح الريفية للبقاء في المنزل لأنه وبعد إنتشار التعليم تغيرت نظرة الفلاحات إلى المستقبل وأملهن في الحصول على وظيفة مناسبة بعد أن دخلن المدارس وتعلمن وبدأن يأخذن دورهن في طابور الإنتظار حتى تأتي تلك الوظيفة[80].

بعد رحيل الرئيس جمال عبد الناصر وبمجئ أنور السادات إلى الحكم دعا إلى فتح الباب للحرية السياسية وتطبيق الديمقراطية وفتح الباب لكل الجماعات التي عانت في ظل حكم جمال عبد الناصر من قلة فرص التعبير عن نفسها. ويبدو أنه أراد بهذا الطرح المبكر أن يكسب ثقة الناس ويمهد لنجاح حكمه في مصر، وفي الغالب كان السادات يريد أن يلم بنفسه وبفتح الباب للديمقراطية بكل المعلومات المتاحة عن القوى المؤثرة في المجتمع. ففيما يختص بشكل العمل النسائي العام وتجميله ومحاولة إظهارأنه يريد إضافة خطوة للأمام، وبعد حرب

---

[78] فصل من تاريخ المرأة المصرية

http://lasto-blogspot.com/2009/03/blog-spot_7324.html , , 5/8/2009

[79] Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. Culture, the State and Islamism.NY 1988.PP 87- 98

[80] عزة عبد المحسن خليل: الحركات الاجتماعية في العالم العربي.

أكتوبر أصدر أنور السادات في عام ١٩٧٥ قراراً بتكوين "التنظيم النسائي للإتحاد الاشتراكي" والذي أقر لأعضائه وعضواته حق الإنتخاب والترشيح لمستويات التنظيم المختلفة وكان الهدف من ذلك رفع قدرة المرأة ثقافياً وإجتماعياً وإقتصادياً وسياسياً وتمكين هذا الإتحاد من التعرف على قضايا المرأة والعمل على حلها وبالفعل في نفس العام شغلت سيدتان المقعد البرلماني هما راوية عطية وأمينة شكري. وأُعتبر هذا خطوة غير مسبوقة في إعطاء الشرعية للمرأة في ممارسة الحق البرلماني [٨١]. وفي عام ١٩٧٩ صدر قانون ٤١ الذي أقر بجعل قيد المرأة المصرية في جداول الإنتخابات إجبارياً كما هو إجباري للرجل وفي نفس العام صدر قانون ٢١ والذي نص على تخصيص ٣٠ مقعداً للمرأة في مجلس الشعب [٨٢]، ولكن ولأنها قرارات فوقية، فلم تهنأ المرأة طويلاً بهذه الإمتيازات نتيجة للتخبط السياسي المحلي والعالمي، خاصة مع التدخل السوفييتي في أفغانستان مما أثار حفيظة المسلمين الذين إشتد نشاطهم تجاه الذات الإسلامية وتشجيع تاسيس الدولة الإسلامية. ومع إلغاء بعض القوانين التي كانت تمثل متنفساً حقوقياً للمرأة أو بسبب تنامي التيار الإسلامي وإشتداده في كل أرجاء مصر في أواخر فترة السبعينات وضح جلياً أنه يقف لأية حركة نسائية بالمرصاد [٨٣].

وبرغم من تزايد عدد المتعلمين والمتعلمات في مصر فيما بين ١٩٥٢ وحتى أواخر السبعينيات من القرن الماضي، ومشاركة عدد كبير منهم في الأنشطة الطلابية وغيرها بشكل أوسع عن ذي قبل فإنه بدا تراجع الخطاب السياسي وصار الكلام في الندوات واللقاءات عن القيم والأخلاق يشغل مساحة أكبر من الحياة العامة فزاد الكلام عن جسد المرأة على وجه التحديد وزاد الكلام في الإختلاف الجسدي بين الرجل والمرأة وما يتبع ذلك من دعاوي الفصل بين عنصري الأمة والعودة إلى الكلام في المحرم والمدنس وما يصح وما لا يصح في ممارسة الشعائر الدينية. وطبعاً النصيب الأكبر من هذا الحديث انصب على المرأة بحكم بنيانها الطبيعي، وبحكم الحمل والولادة وغير ذلك من الأشياء التي لها علاقة بالصلاة، وبات الكلام فيها مكثف على

[81] اسلام أون لاين: حواء وآدم – صوت النساء .

[82] التمكين السياسي للمرأة هل الكوتا هي الحل .

[83] *، سناء المصري: خلف الحجاب، نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب، ص ٦،
Leila Ahmed: Veil of Ignorance. Foreign Policy Magazine. April, 27, 2011

المستوى العام وفي وسائل الإعلام بحجة الثقافة والوعي بالقضايا على الرغم من أن هذا الكلام كان يدور خلف الأبواب المغلقة وأن المرأة المسلمة تعرف ما عليها من واجبات تجاه دينها بغير الوقوع في الحلال والحرام[٨٤]. مجموعة كبيرة من المتغيرات الشكلية بات لها تأثير قوي على التوجه العام للمجتمع المصري مع فتح الباب لإستيراد المزيد من الأفكار الجديدة والغريبة والسطحية، دون تطوير الخطاب السياسي والثقافي الذي يرتقي بالمجتمع على نفس القدر من الإهتمام بالكلام في القيم وفي الحلال وفي الحرام. وكان هذا مقدمة ومثل الهدوء الذي يسبق العواصف! فبعد أن كان كل من الرجل والمرأة في المنطقة العربية كلها ليس في مصر فقط، مشغولان بالأهداف العامة للقومية العربية[٨٥]، صارا مشغولان بإيجاد حلول للأزمات النفسية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية التي إجتاحت المنطقة كلها بعد نكسة ١٩٦٧[٨٦]، والتي بعدها بدأ انتشار ما عُرف بأخلاق النكسة والتي كان وراءها الإحساس بالهزيمة وبالتشكك في النظام الذي طالما أطلق الشعارات الإشتراكية[٨٧]. ذلك التحول السريع في حال المنطقة والذي بات معه ملاحقة وفهم كل ما يدور صعب جداً مع سياسة الباب الذي فُتح فجأة بعد انغلاقه لسنين طويلة. وكان من أهم ما استشرى بين الشباب الإحساس بعقاب الله بسبب الإشتراكية والأفكار العلمانية[٨٨]، وبدأت الدعوة إلى محاربة "مجتمع الجاهلية" والذي صار معناه الجهل بأمور الدين والشريعة الإسلامية لا الجهل الثقافي أو المعرفي. صار الجهل هنا المقصود به زرع المرجعية الواحدة في المجتمع المصري- أي المرجعية الدينية الإسلامية. هذا الشعور غزاه بعض من رجال الدين الذين لهم انتماءات دينية محافظة وفدت مع سياسة الباب المفتوح وكان لها مرجعيات ما بدول الخليج، ويروج لها إعلامياً مجموعة من الشيوخ الجدد الذين بدأوا يظهرون على الساحة وكان على رأسهم الشيخ متولي الشعراوي الذي شرح كثيراً وأسهب في أسباب النكسة[٨٩]، وأنها

[84] Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. P 46.

[85] Lisa Suhair Majaj: Intersections, Gender, Nation, and Community in Arab Women's Novels, first edition 2002, PP15-21.

[86] نضالات المرأة المصرية، مرجع سابق.

[87] أخوان أون لاين: مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[88] مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[89] Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. P45.

محنة من الله أنزلها على مصر التي ابتعدت كثيراً عن التعاليم الإسلامية القويمة وتخلي النساء عن الحجاب. ولم يتحرج الشيخ الشعراوي أن يعلن أنه كان يصلي إلى الله ويطلب منه أن تحدث مثل هذه النكسة حتى يفيق الناس ويرجعوا إلى أصول دينهم ويطبقوا شريعته [٩٠]. واستغل بعض رجال الدين فرصة المساحة الممنوحة لهم للإفتاء ومتابعة تطبيق أصول الدين وحساسية منع أي رجل دين من ممارسته لبث أفكاره، أو محاسبته إذا أخطأ فقد كانت التقاليد المصرية والعربية مصانة من خلال النظام المحكم الذي فرضته القيم الدينية المتحفظة في ظل أنظمة الحكم العربية المنغلقة على ذاتها والتي كانت مشغولة بالدرجة الأولى بقضايا القومية العربية وبقضية زرع إسرائيل على أرض فلسطين الهم الأكبر للبلدان العربية في ذلك الحين، ولم يقدروا الدعوة لميلاد مشروع إسلامي جديد حق قدرها خاصة وأنه كانت تتبناه دول الخليج أو بمعنى آخر دول البترول- أو ما أُطلق عليها دول البترو دولار Petro- dollars [٩١].

كانت مصر حتى قبيل النكسة، تحظى بالقيادة والإحترام بإعتبارها الأخت الكبرى والرائدة في مجال الإرتقاء بالمنطقة كلها وذلك بفضل شخصية جمال عبد الناصر الذي إستطاع أن يجد إستحسانا عربياً عاما من خلال ما تمتع به من طلاقة الخطاب بلغة بسيطة إستطاعت أن تصل إلى وجدان الجماهير العريضة قبل آذانهم. هذا في الوقت الذي كان العرب جميعاً يحلمون بخلق كيان عربي له إستقلاليته وتأثيره على المجتمع الدولي. كانت القضايا كبيرة لم يلتفت فيها إلى أمور أُعتبرت ثانوية أو جانبية من قبل الساسة مثل قضية المرأة أو قوانين الأحوال الشخصية التي كانت وقتها من صميم عمل رجال الدين سواء رجال الدين الإسلامي لتفسير أمور الشريعة والإفتاء أو متروك لرجال الدين المسيحي الذين هم أعلم بشئون دينهم وبتنظيم الحياة بين أفراد الأسرة المسيحية. كان هذا النهج أو هذه السياسة أحد التناقضات التي شهدتها فترة السبعينات. ففي حين إزداد خروج المرأة سواء للعمل أو للتعليم، إلا أنه لم تزد مساحة حرية التعبير أو إفساح المجال للمرأة للمساهمة بشكل إيجابي في بناء مجتمعها من خلال حصولها على حقوق فعلية تؤهلها لهذا، وحتى وإن فعلت تقابلها العديد من العقبات، خاصة

---

[90] نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب ص ٦. سيتم شرح الحجاب وتطور فكرته بالتفصيل في الفصيل الأخير من الكتاب.

[91] Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. PP 29-31.

وأنه في هذا الوقت تزايدت الأصوات المؤيدة لعودة المرأة إلى البيت وإرتداء الحجاب. وتذكر المؤرخة والكاتبة ليلى أحمد والتي تركت مصر في الستينيات أنه حتى ذلك الحين كان من النادر أن تشاهد أمرأة محجبة في القاهرة وفي الإسكندرية، بعكس إنتشار الحجاب بشكل لافت للنظر في كل مكان في العالم خاصة في العواصم الأوروبية والجامعات الكبرى[٩٢] .

ومن التناقض أيضا أنه في خلال السبعينات زاد عدد المنظمات النسائية غير الحكومية التي كان من المفترض عند إنشائها أن تعمل رسمياً في شتى القطاعات والإتجاهات الرامية إلى تمكين المرأة من حقوقها كجزء أساسي من الأهداف الوطنية، وهي نفس الفترة التي سمح فيها النظام بتزايد نشاط الجمعيات الإسلامية التي انتشرت بين صفوف طلاب الجامعات المصرية وبمباركة من الرئيس السادات نفسه لإضعاف قوة الحركات الطلابية الماركسية والناصرية[٩٣]، وهي أيضا تلك الفترة التي أضيرت فيها المرأة أدبياً، والتي تم فيها تجاهل إبداعاتها وإعراض النقاد الرجال عن الكتابة أو التنظير في أدب النساء. تارة مدعين أن أدب النساء لا يرقى إلى مستوى الأدب وتارة مدعين أنه لا فصل بين ما هو نسائي وماهو ذكوري وإثارة التساؤل هل هناك أدب نسائي أم لا؟ وهو نفس التساؤل الذي كان يطرحه النقاد والمنظرون الغربيون: هل يمكن للتابع أن يبدع؟ أو أن يرفع صوتاً؟ وبالطبع التابع الصامت كان المعني به المرأة!!!!!!![٩٤]

أضيرت المرأة العربية تماما خلال فترة السبعينات على المستوى المحلي وانعكس ذلك على صورتها العامة أمام العالم كله، على عكس المتوقع بعد الإنتصار المصري على إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣. وكان الإتصال التاريخي بين اليوم وبين الأمس قد إنقطع ونسي الجميع أن هناك تاريخاً طويلاً للمرأة المصرية المناضلة بدأ مبكراً جداً منذ أواخر القرن التاسع عشر[٩٥]، ولكن ومن

[92] Kristina Nordwall: Egyptian Feminism: The effect of the State, Popular Trends and Islamism on the Women's Movement in Egypt, The search for Islamic order, Block 1-2

[93] نضالات المرأة المصرية: مركز دراسات المرأة الجديدة.

[94] . Lisa Suhair: Ibid P 38

[95] بمعزل عن العدالة: حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر، فاطمة ناعوم: مختارات: الشعر النسائي في مصر ألا يستحق جهداً نقدياً،

http://darlhayat.com/culture/04-2007/Item-20070414-f11c39fe-c0a8-10ed-015f-5add , 5/8/2009

ومن جهة أخرى وعلى مستوى العلاقات الشخصية بين النساء أنفسهن خاصة العاملات في مجال الصحافة والأدب والنساء اليساريات، فإنه يُحسب لهن في هذه الفترة نشوء فكرة تضامن النساء الكاتبات والناشطات في مجال المطالبة بحقوق المرأة ومؤازرتهن لبعضهن البعض بالكتابة مع بعضهن كتباً مشتركة، أوكتابة مقدمات الكتب لبعضهن البعض، أو محاولة بعضهن الخروج بأعمالهن خارج حدود الوطن، مما خلق حالة من التقارب حول معنى واحد على الأقل ألا وهو رفض العودة بالمرأة العربية والمسلمة إلى الوراء حتى وإن كان هذا يعني الدخول في حرب ضروس مع السياسيين والكتاب ورجال الدين الذين يتبنون الدفاع عن كل ما يتعلق بالأفكار الذكورية.[٩٦]

وبرغم من هذه المساعي الحثيثة والقليلة في مجال المطالبة بحقوق المرأة من قبل بعض الناشطات فإنها لم تترك أثراً فعالاً مقابل حركة الأسلمة داخل الجامعات المصرية والتي إتخذت بُعداً أوسع وإستطاعت الجماعة الإسلامية قيادة الحركة الطلابية، والفوز بثقة الأغلبية الصامتة من جماهير الطلاب في إنتخابات الإتحادات الطلابية الذين إنخفضت مشاركتهم الحزبية من ٨٪ إلى ٥٪ وصار حوالي ٢٠ ٪ من الطلاب لا يمارسون العمل السياسي وأن حوالي ٧٨٪ من الطلاب لا يحملون بطاقات انتخابية. وفي الوقت الذي حظرت فيه الدولة ممارسة النشاط السياسي أو عقد ندوات التوعية العامة على أية جماعة سياسية داخل الجامعات، فإنه بات من الملاحظ أنها تركت الباب مفتوحاً أمام الجماعات الإسلامية لتفعل ما تريد وبدأ الكلام في الإسلام السياسي وفي تأسيس الدولة الإسلامية داخل أسوار الجامعة وخارجها وفي وسائل الإعلام المختلفة[٩٧]. وزادت وتعددت أنشطة الجماعات السرية والجديدة على المجتمع المصري وعلى رأسها بالطبع الجماعات الإسلامية العنفية والتي اتسعت أنشطتها الثقافية والتربوية من اللقاءات والندوات والمعسكرات بل وزاد إهتمام الإسلاميين بشكل عام بحلول المشاكل الإجتماعية للطلاب وتعدى الأمر أسوار الجامعات فزاد إهتمامهم بمشاكل المجتمع اليومية وإستطاع أعضاء هذه الجماعات توفير بعض الخدمات للطلاب ولعائلاتهم بدءً من الزي المدعوم وتوفير وسائل المواصلات الخاصة للبنات على وجه التحديد. وهكذا بدأ زرع بذور الأجندة النسائية الإسلامية في الجامعات المصرية من خلال العمل العام والتكافل الإجتماعي ومن خلال

[96] Margot Badran and Miriam Cooke: Openning the Gate. P xxxii.

[97] مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

البنية التحتية وليس من المستوى الأعلى أو بقرارات سياسية. وتجلى في هذه الفترة أن الأجندة الإسلامية أتت متوافقة مع الظروف الإقتصادية وصعوبات إيجاد العمل وإزدياد البطالة بين المصريين خاصة من المتعلمين وأنصاف المتعلمين من الرجال والنساء على السواء.[٩٨]

كما أنه وفي نفس الفترة، فترة السبعينات مالت مؤسسة الأزهر إلى تأييد سياسات الحكومة ومجموعة القوانين الإصلاحية التي تبناها نظام حكم السادات وصار شيخ الأزهر يصدر الفتاوى التي تدعم سياسات ومواقف الدولة وكأنه بذلك إرتضى أن يكون اللسان الديني الرسمي للدولة وكان أصعب شيئ على الناس جميعاً مجموعة الفتاوى التي صدرت على لسان شيخ الأزهر لتأييد مبادرة السلام مع إسرائيل[٩٩] . والعجيب أن الأزهر الذي كان يصدر فتاوى التأييد لإسرائيل وتهيئة عقول العامة في مصر لتقبل التفاوض معها بعد تاريخ طويل وحافل بالصراعات والحروب، كان وراء سلسلة طويلة من تكفير الأفكار والمؤلفين ومنهم على سبيل المثال تكفير لويس عوض والمطالبة بمصادرة كتابه "مقدمة في فقه اللغة العربية" والدعوة ضد كتاب عبد الرحمن الشرقاوي " الحسين ثائراً وشهيداً" والوقوف ضد كتاب الدكتور محمود اسماعيل "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي". ووصل الأمر برجال الأزهر وتأثيرهم الفكري أن تنتقل عدوى التكفير التي بدأوا نشرها إلى أروقة مجلس الشعب ففي عام ١٩٧٨ نودي بحرق كتابي "ألف ليلة وليلة" و"الفتوحات المكية" للصوفي الكبير محي الدين بن عربي[١٠٠] . وتخلى الأزهر بسياسته الجديدة عن تاريخه المجيد في مناصرة الحركة الوطنية في اوائل القرن العشرين وأثناء ثورة ١٩١٩، وإرتضى بتمثيل الدولة رسمياً وأن يكون لسان حالها الديني وتخلى عن إستقلاليته[١٠١] .

وتجلى واضحاً ومنذ الإنتهاء من حرب ١٩٧٣ وكأن الدولة تشجع تيارين إسلاميين أولهما بالطبع تيار الإسلام الرسمي- المؤسسي الذي يمثله رجال الأزهر والذي يقال عنه التيار المعتدل والذي زادت إختصاصاته ومراقباته القانونية والتي إتسعت قليلاً لتشمل بعض الممارسات العرفية دون اعتراض من أية جهة رقابية. وبالقانون وبغير القانون اتسعت

98 إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، نضالات المرأة المصرية، ونضالات المرأة: مركز دراسات المرأة الجديدة.

99 عزة كرم: نساء في مواجهة نساء، الفصل الثاني والثالث.

100 تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان: دفاعاً عن حرية الفكر والابداع: الضبطية القضائية للأزهر مطرقة على حرية الفكر.

101 Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. P47

إختصاصات الأزهر لتشمل مراقبة نشر وإعادة طبع الكتب، وتقييم الأعمال الفنية وأحيانا يستطيع الأزهر منع عمل فني أو أدبي من التداول بين الناس. وفي نفس الوقت كانت الدولة تعمل على إفساح المجال لنمو الحركات الإسلامية المتشددة وفقا لما تمليه حاجة الإعتماد عليهم وبدا وكأن الدولة بهذه الممارسات تحاول شكلياً إفساح المجال لإبداء حرية الرأي ولكن الواقع كان يكشف ما يخالف هذا فاي رأي كانت تشجع؟ فتارة نجد الدولة تؤيد ما يسمح ضمنا بنمو الحركات المتشددة والمتزمتة وتارة تتخذ إجراءات العنف والقمع ضدها، إذا ما تعارضت مصالح النظام مع أجندة هؤلاء المتشددين. ويؤكد على ذلك ما يشير إليه الشيخ محمد الغزالي وكان عضواً قيادياً بجماعة الأخوان المسلمين- إلى وجود مجموعتين إسلاميتين في مصر: المجموعة الرسمية والمكونة من رجال الأزهر ومجموعة " الجمعيات الإسلامية ويقول عنهما :"هما قوتان لا تلتقيان".[١٠٢]

أما فيما يختص بالعلاقات بين الجماعات الإسلامية في مصروتطورها فإنه في عام ١٩٧٧ انشق بعض قيادات الجماعة الإسلامية عن جماعة الإخوان المسلمين التي بدأت تعاود نشاطها وكانوا يمارسون نشاطهم الدعوي من خلالها، مما أدى إلى وجود تيار للجماعة الإسلامية يمثله الإخوان وذلك في بعض كليات جامعتي القاهرة والإسكندرية ولكنه صارقليل العدد محدود التاثير. بينما التيار الآخر التابع للجماعة الإسلامية الاكثر عنفاً وتشدداً والاكثر عدداً وتاثيراً يمثله التيار السلفي وكان مستحوذاً على كل الجامعات تقريباً وإستطاع تحجيم نفوذ العلمانيين والمسيحيين في الصعيد بوجه خاص. والعجيب أنُ يقال عن جماعة الأخوان المسلمين أنهم يمثلون التيار الإسلامي المعتدل مقارنة بالجماعات الدينية الأخرى مثل جماعة الجهاد والتكفير والهجرة والناجون من النار وغيرها[١٠٣] .

وفي السبعينات اشتدت دينامية الجماعات الإسلامية وزادت قدرتها على تحدي سلطة الدولة والأزهر على السواء. وقد صدرعن الأزهر مجموعة من الفتاوى ضد نشاط هذه الجماعات خاصة العنفية والتي منها توجيه الضربات والقتل والعنف ضد المسيحيين وضد حركة السياحة.

---

[102] عزة كرم: نساء في مواجهة نساء: النساء والحركات الإسلامية والدولة. ترجمة د. شهرت العالم، تقديم د. محمد نور فرحات، ماكميلان بريس ١٩٩٨، ص٣٩ .

[103] Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. PP 58-59

وبدا للعيان ولكن بعد فوات أوان السيطرة على أن قوة الإسلاميين العنفيين لا يستهان بها وبدأت تطرح بديلاً سياسياً بالإضافة إلى نجاح أعضائها في توفير الخدمات الإجتماعية خاصة بين الفقراء. وأصبح الإسلاميون لهم ثقل في قيادات النقابات المهنية ولهم قدرتهم على التحالف مع الأحزاب السياسية الهامة في ذلك الوقت مثلما حدث في تحالفهم مع حزب العمل اليساري[١٠٤]. صار هؤلاء الإسلاميين رمز المعارضة للسياسات القمعية للدولة مع تبنيهم لقضايا المرأة المسلمة في مواجهة خطر العولمة.[١٠٥] خاصة بعد توسع مصر في علاقاتها مع أمريكا ويكفي أن نقول أنه منذ عام ١٩٧٤ والإدارة الأمريكية كانت تعمل على التأصيل لتزكية وتقوية أواصر العلاقة بمصر وربط مصر بالعجلة الأمريكية على المستوى السياسي والإقتصادي والعسكري والإستراتيجي والبحثي بل والثقافي أيضاً. وفي خلال النصف الثاني من السبعينيات وخلال الثمانينات من القرن العشرين يُقال أنه صار ما تجمع لدى أمريكا من معلومات عن مصر قد يفوق في حجمه ما تجمع لدى أي جهة مصرية عن أحوال مصر.[١٠٦]

وتمثل رد فعل الدولة المصرية العنيف في أواخر السبعينات من القرن العشرين ضد مَنْ أسمتهم بالخارجين على القانون في إصدار مجموعة من القوانين القمعية عرفت بالقوانين سيئة السمعة حيث أُعلن رسميا إقرار الحكم بعقوبة السجن المؤبد في القضايا السياسية والإستمرار بالعمل بقوانين الطوارئ مما ضيق حتى الهامش الضئيل من الحريات أمام المضارين والمقهورين لصالح رفاهية القلة من المستثمرين في ظل سياسة الإنفتاح الإقتصادي- الذين يتمتعون بكل ثمار لأي تغيير يحمي مصالحهم على حساب الاكثرية من المقهورين وعلى رأسهم بالطبع النساء. ومن جراء ذلك بدأ جنوح النساء للبقاء في البيت أو العمل نصف الوقت، ووجد البسطاء وعلى رأسهم النساء في الإسلاميين وأفكارهم المولى والنصير.[١٠٧] فحتى المرأة العاملة قد تأثرت أيضا بالأوضاع السائدة، خاصة وأن معظم الشركات قد أخذت في إبعاد النساء عن إعلانات التوظيف

[104] أخوان أون لاين : مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[105] عزة كرم الفصل الأول.

[106] الهيثم زعفان : الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الاسلامية في مصرص ٩.

[107] محمد حسن عبد الحافظ : نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية الملامح والحصاد ص ٦.

التي تصدرها وصار معلوماً تفضيل الرجل للوظيفة عن المرأة. أثر ذلك بدوره على المستوى الإجتماعي حيث إنتشرت الدعارة غير المباشرة- أو المستترة، تحت إسم الزواج العرفي أو المسيار وبيع البنات لأغنياء دول البترول. ويُذكر أيضا أن الكثير من الأسر أصبحت تعولها نساء دون الإعتراف بحقهن في ذلك، أو حتى التصدي لدراسة ظروف حياتهن بما يمكن أن يساهم في تطوير مستواهن العلمي والإجتماعي والإقتصادي، أو محاولة وضع خطط تنموية حقيقية للنهوض بشئون هؤلاء النساء.[١٠٨]

وقد حدد الإسلاميون مشروعهم الذي صار معلناً في مجموعة من المفاهيم أتت تماما معارضة لكل ماكتبه ونظر له العلمانيون فهم يرون أن المرأة بشكل عام قد تدهور حالها من النقاب إلى الحجاب ثم إلى التبرج بدرجات متفاوتة ثم العودة إلى الحجاب مرة أخرى وأخيرا النقاب مرة أخرى وهي علامات الهداية التي يفتخرون بها وأنهم استطاعوا العودة بالمرأة إلى الطريق المستقيم.[١٠٩] ويضيف الإسلاميون المتشددون أنه ومثلما خرجت في القاهرة تظاهرة إنتهت بخلع الحجاب منذ أكثر من مائة عام "زمن هدى شعراوي" هاهي تظاهرات التمسك بالحجاب اليوم تخرج في باريس أشهر عواصم العلمانية. ومن جانبهم يهاجمون دعاوي التحرر وتعليم البنات ويقفون ضد المطالبة بالسفور.[١١٠]

[108] يسري الأيوبي: دراسات في أدب المرأة العربية ص ٢ ، human rights : بمعزل عن العدالة: حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر ٢٠٠٩/٥/٨.

*المرأة المصرية في واقع متغير: جمهورية مصر العربية- مصر الآن _ الأسرة والطفل _ المرأة المصرية. مدونة على الانترنت .

[109] اسماعيل أحمد: الأسرة المسلمة: أسرار الحركة النسائية في مصر،
http://www.egyig.com/public/articles/family/11/21299659.shtml, 5/8/2009

[110] إن حسن البنا هو الذي سمى المناضلات في المظاهرات بالسافرات وأطلق على المدافعين عن حق المرأة في الإنتخاب بدعاة التفرنج وأصحاب الهوى، وحارب حق الفتاة في التعليم حتى المراحل العليا أسوة بالفتى، كما نادى بوجوب التفريق بين مناهج تعليم البنات ومناهج تعليم الأولاد الذكور في المراحل الأولى. وعبر حسن البنا بوضوح عن رأيه في أن واجب النساء هو القيام بالأعمال التقليدية في تلبية رغبات الزوج ورعاية الأبناء وإذا حدث وتعلمت المرأة يجب أن يكون هذا في حدود، وأن المرأة لا يجب أن تخرج إلى العمل إلا تحت ضغط الحاجة والفقر وبشروط تتحكم في مظهرها العام وسلوكها الإجتماعي. وبسبب طبيعة دعوة البنا فإنه لم يفلح في تكوين فرع نسائي للإخوان خلال السنوات الأولى وظل الوضع هكذا حتى عام ١٩٣٣ . ويكشف محمود عبد الحليم – مؤرخ الأخوان – في نصه التالي ماكانت تعاني منه الجماعة النسوية التابعة لحركة الأخوان في البداية من تخلف إذ يقول: " ولما كانت فرص الإجتماعيات أمام الأخوات غير متاحة بالقدر الذي اتيحت به للأخوان فإن الأستاذ رحمه الله –يقصد حسن البنا –كان حريصا على أن يجعل هذه الإجتماعيات خالصة للتثقيف

ويرون أن دعاوى سفور المرأة هي تلبية للأفكار الإستعمارية الغربية ويستشهدون بإصرار البنات أنفسهن على التمسك بالحجاب في الجامعة وفي العمل حتى في الغرب وفي كل مكان كعلامة تحرر إسلامية نابعة من صميم الحضارة الإسلامية، وأنه لم تكن مصيبة المرأة في حجابها بل المصيبة في خلعه وكانت هذه الآراء الإسلامية على قدر من القوة وكانها رد ديني سياسي إجتماعي على نشر الأفكار المدنية التي يرون أنها "متغربة" والتي أرجعوا نجاح نشرها إلى زعيمات الحركة النسائية الأوائل واللائي يتهموهن بأنهن نشأن في حضن الإستعمار وبمباركة منه، وأنها ما كانت تهدف صالح الوطن العربي الإسلامي بل الغرب وحده. وهكذا حُملت النساء العربيات المسلمات منذ سبعينيات القرن العشرين عبء الدفاع عن الإسلام وصون مبادئه وعبء الدفاع عن الذات الاسلامية، خاصة بعد أن صارت معظم النساء المسلمات يصدقن أنهن بالتمسك بالحجاب يصن الإسلام ويعلين الذات الإسلامية.[١١١] وتلاقت هذه الأفكار مع الميل العام في البلاد التي يُطلق عليها بلاد العالم الأول إلى تقسيم النساء أيضاً إلى نساء العالم الأول ونساء العالم المتخلف واللائي أُطلق عليهن "الأخريات"، واللائي أُستغلت قضاياهن في النيل من الإسلام والتشكيك في عدالته وإهدار حقوق النساء لصالح الرجال في ظل شريعته[١١٢] . منذ السبعينيات بدا وكأن المرأة العربية المسلمة في حاجة إلى منقذ وبالطبع كان هذا المنقذ هو الجمعيات الخيرية والمساندات المالية الأجنبية التي تمنح للأنظمة الضعيفة والصديقة في نفس

---

والتربية دون أن يقتطع من وقتها قليلا أو كثيرا في الإنشغال بالشئون الإدارية، كما كان حريصا على ألا يضع جزء من جهود الاخوات في الالتفات إلى المناصب الإدارية والإعداد لها والتطلع إليها مما قد لا يتناسب مع طبيعة المجتمعات النسائية".

وتروي زينب الغزالي رئيسة جمعية السيدات المسلمات في مذكراتها كيفية الإنضمام إلى جماعة الأخوان المسلمين: " حاولت في آخر لقاء لنا أنا والبنا في دار السيدات المسلمات أن أخفف من غضبه بعهد أخذه عليّ أن تكون "جمعية السيدات المسلمات" -التي كانت تراسها- لبنة من لبنات الأخوان المسلمين على ان تظل بإسمها واستقلالها بما يعود على الدعوة بفائدة أكبر على أن هذا أيضا لم يرضه عن الاندماج بديلا. ( سناء المصري: خلف الحجاب. مدونة سلسلة بلا حدود . واشنطن سبتمبر ٢٠٠٦ ).

[111] هشام الناصر: الدين بين احزاب اليسار واليمين. مرجع سابق ص ٢، نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب.
http://www.tabeback.com/veil.htm. , P 6

[112] Gila svirsky: Apersonal Website Feminist solidarity in Women's Anti-War Activism.
http://www.gilasvirsky.com/femsolidarity.html. 9/30/2009, P 8

د. منى أبو الفضل، وهند مصطفى: خطاب المرأة في عصر النهضة: قراءة بديلة، القاهرة، أكتوبر ٢٠٠١، سماح عادل: الحركة النسائية العالميـــة.. محاولـــة للاستيلاب وتفريـــغ المضمون السياسي والنضالي لصالح حيادية الجندر، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=59565

الوقت والتي تحقق أهداف الدول المانحة في المنطقة. وتؤكد التقارير أن الجهات الأجنبية المانحة دائماً ما تفضل التعامل من خلال القنوات الشرعية للحكومة أو من خلال التعامل مع الجمعيات الأهلية الكبرى والمشهود لها بالشفافية والنزاهة . ففي حالة مصر كان مقدار التعامل بين الجهات الأجنبية المانحة مع الجمعيات الخيرية مباشرة لا يتعدى ٢١,٩٪ من قيمة مساعداتها المالية التي تنفقها من خلال التعامل مع الحكومة في مجالات متعددة منها الطفولة والأمومة وتنظيم النسل ورعاية أطفال الشوارع وغيرها من الأنشطة ، أي أن الدعم المالي وتوزيعه والتحكم فيه كان يجري تحت مرأى وسمع النظام المصري[١١٣] . وبرغم من ذلك ولأن هناك العديد من الأنشطة والممارسات على أرض الواقع لا تحترم القانون أو تطبيقه فإنه يسهل نشر التشكك والإتهام في نزاهة أي نشاط ، وهكذا أُستغل هذا الفكر وإشتدت عداوة المسلمين لكل ما هو غربي مع القناعة التامة وهذا ما تم التاصيل له إعلامياً عبر التليفزيون والجرائد المقروءة ، بأن الغرب هو المسئول عن إفساد المرأة[١١٤] .

ومن الناحية الفكرية والكتابة في قضايا النساء فإن الإسلاميين لم يقفوا مكتوفي الأيدي ولم يكتفوا بكتابة المقالات بل عمدوا إلى دراسة أمور المرأة وكتابة الأبحاث التي تحمل وجهات نظرهم وتؤصل لها ، فمثلا بدأوا يركزون على تاريخ الصلة الخفية بين الإستعمار وبين زعيمات الحركة النسائية في بدايات القرن العشرين وبدأوا يشككون في نزاهة الناشطات النسائيات مثل درية شفيق وهدى شعراوي ومي زيادة وغيرهن مدعين أن هؤلاء الناشطات كن يتلقين دعماً مباشراً من جهات أجنبية مغفلين الجانب الثقافي والتنويري وحركة النشر والصحافة التي أسهمت بها هذه النخبة من أوائل الناشطات في العمل النسائي[١١٥] . في الوقت

---

[113] مشكلات المجتمع المدني ومؤسساته في مصر.

[114] Laila Abou Lahoud: New Discourses: Discourse of the Veil, p149-150.

[115] Margot Badran and Miriam Cooke: Openning the Gate,1990. P xvi- xvii ، يسري الأيوبي: دراسات في أدب المراة العربية ص ٣ ، تناسى الاسلاميون أو هكذا قرروا أن لا يتذكروا الناس بأن درية شفيق على سبيل المثال أضربت عن الطعام في عام ١٩٥٤ من أجل حصول المرأة المصرية على حقوقها وخسرت الكثير في سبيل القضية النسائية للمزيد ارجع إلى:

Lisa Suhair Majaj: Gender, Nation, and community in Arab Novels. P 15- 16

عن درية شفيق كتبت نوال السعداوي " ان درية شفيق خرجت من التاريخ لأنها اصطدمت بالسلطة" : توأم السلطة والجنس، ص ١٩٩؛

تقرير مسجل: واقع الحركة النسوية العربية. تاريخ الحلقة ٢٠٠٤/٤/١٩ ، ماريز تادروس: الناشطات النسائيات من دون حراك .

ArabReformBulletin, http://carnegieendowment.org/arb/?fa=show&article= 20687&lang=ar

الذي كانت تتجاهل أو تتغافل فيه بعض الأقلام أن المرأة المسلمة على وجه التحديد قد شاركت في نشر الإسلام والدفاع عنه أسوة بالرجل منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية بل في كثير من الأحيان كانت سباقة عن الرجل في المساندة والتأييد للدعوة وبدلاً من أن يُروج لأمجاد نساء المسلمين في فترة التنوير كان الكلام في الحلال والحرام هو الذي يحتل المساحة الذهنية والفكرية الأكبر. صار الكلام عن جهاد أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد ومساندتها للنبي محمد وقت أن تخلى عنه الجميع من أهل عشيرته، كأنه كلام موسمي، وكأنه من الصعب أن تظهر نساء جديدات مثل هذه السيدة العظيمة على الرغم من أن الإسلام ضد التقديس. ولا نسطيع تجاهل أسماء نساء كثيرات قدمن الكثير للدعوة الإسلامية مثل ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر وكفاحها من أجل الدعوة الإسلامية. لم يقف عطاء المرأة المسلمة في بداية الدعوة الإسلامية عند حد المؤازرة والتأييد بل أيضاً كان للمرأة المسلمة في الفترة المستنيرة مشاركة في السياسة وفي صنع القرار. إن التاريخ الإسلامي لا ينكر ولا يخفي إنتقاد النساء المسلمات للخلفاء الراشدين، وتوسطهن لتحقيق مطالب للناس، والقيام بأعمال البر والتبرع من أموالهن الخاصة لخدمة العامة والمحتاجين. إن الأمثلة كثيرة على هؤلاء النساء اللائي لهن فضل كبير في أن يكون للإسلام وجهه المشرق. صارت هذه الكتابات موسمية أُريد - وكأنه مخطط تشويه صورة المناضلات الأوائل اللائي عملن في مجال المطالبة بحقوق المرأة في الدولة المدنية مع العمل على تجنب التركيز على إبراز دور المرأة المسلمة في صدر الإسلام في مساندة الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي اللهم إلا الكتابة وإعطاء الأمثلة التي تدعم الكلام في الأخلاق الإسلامية وما هو حلال وما هو حرام. ومرة أخرى يُثقل كاهل المرأة المسلمة بالدفاع على أقل تقدير عن الدور السياسي والقيادي الذي لعبته نساء الرسول ونساء المسلمين في حماية الدعوة الإسلامية وبدلاً من الكلام في الأمجاد صار الكلام في الحجاب والإختفاء وخفض الصوت وصارت مقولة ان صوت المرأة عورة أعلى بكثير حتى عنه أيام الجاهلية[116].

[116] يسري الأيوبي: مشاركة المرأة في اتخاذ القرار. دراسات في أدب المرأة في العالم العربي ص ٢ ،

http://www.syrlanstory.com/comment13-6.htm7; Nawal:The reader, PP 73-85.

أُستنزفت طاقة الناشطات العلمانيات في الحركة النسائية المصرية منذ السبعينات في الهجوم والهجوم المضاد بين فكر العلمانيين وفكر الإسلاميين، ففي الوقت الذي كان يهاجم فيه الإسلاميون هدى شعراوي وتاريخها المجيد كانت ناشطات الحركة النسائية يناضلن لتصحيح المعلومات التاريخية، التي يدسها الإسلاميون خطأ ومعتمدين على مصادر غير صحيحة يساندهم بعض منابر الإعلام الرسمي مما يسر بث هذه الأفكار المغلوطة بين الناس فيتهمون هدى شعراوي مثلاً بالكفر والإلحاد ويروجون إلى أن مي زيادة ودرية شفيق ماتتا كافرتين وأن الله عاقبهما على عملهما في النشاط النسائي. ظهر جلياً في تلك الفترة النزوع إلى تشويه تاريخ ناشطات الحركة النسائية في بدايات القرن العشرين أو محوه إذا تيسر الأمر!! لكنها إتهامات وإتهامات مضادة أُستغلت في تشتيت طاقة شباب وشابات بين العلمانية والأفكار الدينية. صراع طويل ومرير من أجل تصحيح الصورة العامة التي طُبعت في أذهان الناس محلياً وفي أوروبا وفي أمريكا عن المرأة المسلمة التي تتعرض للجلد والرجم بسبب الشريعة الإسلامية١١٧، ولحدٍّ ما تاهت الفروق بين ما يعنيه المرأة العربية المسلمة والتي تعيش في منطقة الشرق الأوسط والتي تتكلم اللغة العربية، وبين ما يعنيه المرأة المسلمة التي تعيش في بلدان متفرقة في آسيا وفي أفريقيا وليست بالضرورة تتكلم اللغة العربية، مثل المرأة المسلمة في إيران وفي نيجيريا وغيرها من البلدان الإسلامية. تاهت الفروق بين المرأة العربية المسلمة والتي تتكلم اللغة العربية وتعيش في دولة عربية إسلامية متحفظة، أي تطبق الشريعة الإسلامية مثل السعودية، وبين إمرأة عربية مسلمة تتكلم اللغة العربية وتعيش في دولة عربية دينها الرسمي الإسلام ولكنها تطبق وتتبع النظم العلمانية، أو تمزج بين العلمانية والشريعة الإسلامية في قوانينها مثل مصر والمغرب على سبيل المثال. كلنا نساء الشرق صرنا أمام الغرب مسلمات مضارات بسبب الشريعة الإسلامية[١١٨].

ولكن هذه الفروق وهذا الجو الفكري الملتهب وجو الإتهامات والمؤامرات الفكرية قد أتاح الفرصة لنشوء جمعيات إسلامية نسائية هدفت إلى الدعوة إلى الأصالة الإسلامية ونشرها

---

[117] النخلة: The Fletcher School-al nakhlah- Tufts University.

[118] النخلة: مرجع سابق ص ٢، نضالات المرأة: مركز دراسات المرأة الجديدة.

بما يدعو إلى إصلاح حال المرأة المسلمة. هذه الجمعيات مع الوقت طورت خطابها وبرامجها ولكنها جميعاً تشترك في المناداة ب:

*بث التعاليم الدينية التي تساعد على تنشئة الأخت الصالحة وإعانتها على القيام بواجباتها وأعمالها.

*تعليم الأخت المسلمة حقوقها وواجباتها في البيت وأسس تربيتها لأولادها.

*محاربة الجهل والبدع والخرافات المنتشرة عموما في الأحياء الشعبية والقرى.

*المساهمة في دعم الأسرة إجتماعيا وإقتصاديا.

ويعتبر الإسلاميون بشكل عام أن أقوى حركة إصلاح للمجتمع بما فيها حقوق المرأة لن تكون بمأمن إلا من خلال الإسلام ومبادئه، ذلك الدين الذي أمن للمرأة نفقة على الزوج والوالد وحث على إكرامها بنتا وزوجا وأما.[١١٩]

ولخص هؤلاء آرائهم في حركة تحرير المرأة وهذا هو الوجه الآخر والمعادي للعلمانيين فيما يلي:[١٢٠]

أنها حركة تدعو إلى تحرير المرأة المسلمة من كل الآداب والشرائع الإسلامية وذلك عن طريق:

١- الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب

[119] عزة خليل: الحركة النسوية في مصر ما بين الهوية الوطنية والهوية النسوية،
Margot Badran: Islam's other and media limited 2011.

[٧٣] منتديات الحلم: أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة وأسى،

٢- الدعوة إلى إختلاط الرجال مع النساء في كل المجالات في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية والأسواق

٣- تقييد حق الطلاق للرجل والإكتفاء بزوجة واحدة (يرون أن هذا مخالف لما شرعه الله)

٤- المساواة في الميراث مع الرجل

٥- تبني الدعوة العلمانية الغربية أو اللادينية بحيث لا يتحكم الدين في أنشطة الدولة

٦- الحياة الإجتماعية حرية خاصة. (يرى الإسلاميون أنه ليس من حق المرأة أن يكون لها حياة خاصة)

٧- المطالبة بمساواة المرأة والرجل في الحقوق الاجتماعية والسياسية

٨- أوروبا والغرب عامة هم القدوة في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الإجتماعية للمرأة: كالعمل والحرية الجنسية ومجالات الأنشطة الرياضية والثقافية

وهكذا ترك هذا التحول المتطرف والأفكار السلفية في السبعينيات تأثيرا قويا على المرأة المصرية خاصة من الطبقتين المتوسطة والعليا، فبينما يشهد التاريخ بخلع المرأة المصرية من الطبقتين العليا والمتوسطة لحجابها في أوائل القرن العشرين أصبحت في ظل السبعينيات من نفس القرن هي السباقة لارتداء الحجاب وللتراجع عن الأفكار العلمانية والتشكك فيها، [١٢١] وتبني العودة إلى الأفكار الدينية الحميدة التي تعيد تصحيح مسار المجتمع وتصلح من شئونه. وهكذا نجح الإسلاميون في نشر أفكارهم التي وجدت آذاناً صاغية في المجتمع العربي من تبني الحجاب إلى إبعاد المرأة عن السياسة، وباتت كثير من النساء يؤمنّ بأن إشتراك المرأة في الحكم في أي صورة من الصور مخالف للشريعة الإسلامية وأن دعاوي مشاركة المرأة في الحكم لهي بدعة

121 Kristina Nordwall: Egyptian Fiminism

مستوردة من الخارج وأن على المسلمين إتباع السنة الحميدة والعودة إلى السلف الصالح وإتباع مقولة " أنه لن يفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة". [١٢٢]

وكما أشرنا سابقاً في المقدمة إلى نشطاء من النساء يحاولن التصدي للكتابات الظالمة والمشوهة لصورة المرأة العربية والمطالبة بحقهن في الإجتهاد في تفسير النصوص الدينية كما دعا الإسلام، فإنه ومن إفراز السبعينات كان هناك أيضا ميلاد الناشطات المسلمات المحافظات وبعضهن كن من المغتربات في أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا، ومنهن على سبيل المثال لا الحصر جماعة "المرأة ضد الأصولية" ومقرها لندن. وتنادي هذه الجماعة بشرعية كفاح الجماعات الإسلامية ليس بإعتبارها جماعات أصولية تستخدم الدين والعنف في نشر الأفكار الإسلامية، بل بإعتبارها جماعات معارضة لنظم الحكم القمعية السائدة في المنطقة العربية. ومن أهم الجماعات النسائية العالمية والتي تكوّن شبكة لها ثقلها وتاثيرها على أفكار أكثر من سبعين دولة هي "شبكة النساء في ظل قوانين المسلمين" Women Living Under Muslim Laws، ويمتد نشاط هذه الجماعة من جنوب إفريقيا إلى أوزبكستان ومن السنغال إلى أندونيسيا ومن البرازيل إلى فرنسا. وأهمية هذه الشبكة في أنها تركز بالدرجة الأولى على تقديم المعلومات والدعم لنساء حُكم عليهن أن يعشن تحت مجموعة من القوانين والأعراف التي أشيع أنها مستقاة من الإسلام. [١٢٣]

يبدو الأمر وكأن المرأة العربية المسلمة عموما منذ السبعينيات بات عليها أن تدافع عن شرف دينها الذي تهدده متحديات عالمية جديدة في حين أن المرأة العربية نفسها على أرض الواقع وفي المنطقة العربية والبلاد الإسلامية تعاني من الكثير من المشاكل الحقيقية والتي تواجدت وتنامت بشكل أو بآخر بإسم الدين. وإنقسمت النساء العربيات على وجه الخصوص بين معانيات مضارات بسبب الإنتقاص فعلياً من حقوقهن، وبين مدافعات عن الإسلام وعن الأصالة الإسلامية وعن التمسك بالحجاب رمزاً وجهاداً لقناعتهن بأن الإسلام في خطر. [١٢٤]

---

[122] Kristina Nordwall: Egyptian Fiminism, P7، سناء المصري: خلف الحجاب، بمعزل عن العدالة: حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر.

[123] Women Living Under Muslim Laws, http://www.Wluml.org/arabic/

[124] أنظر:

ويبدو واضحاً أن قدر المرأة العربية عامة والمصرية على وجه الخصوص يخنقها بين إحتياجاتها الإنسانية - الإجتماعية البسيطة، وبين الأهداف السياسية الكبيرة والتي هي الآن ليست الوقوف ضد الإستعمار وأعوانه وغض البصر عن الخاص لصالح العام كما حدث في النصف الأول من القرن العشرين، بل إنحرف العمل النسائي عن مساره الوطني ليتبنى مشكلة المرأة العربية في الدفاع عن شرف ونزاهة الدين الإسلامي رمز الدولة الإسلامية. وبالطبع يُستثنى من هذا جهاد النساء اليساريات والعلمانيات اللائي بقين على تمسكهن بالدفاع عن حق المرأة العام وفي المطالبة بالمساواة التامة مع الرجل والمشاركة في صنع القرار بعيداً عن الدين، فهن يؤمن بأن الدين لله والوطن للجميع. ويلعب إعلام وأنظمة الحكم في المنطقة العربية دوراً كبيراً في الترويج إلى أن الحرب الكونية الآنية هي بين الغرب وبين الإسلام الذي يُعتبر القوة السياسية العالمية الجديدة بعد تفكك الإتحاد السوفييتي.[١٢٥] ومنذ توقيع مصر لمعاهدة السلام وتبنيها لسياسة الإنفتاح بدا واضحاً أن أكبر دولة في المنطقة من حيث عدد السكان يحكمها نظام حدد هدفه للدفاع عن شرعيته بتبنيه سياسة العمل على تقسيم الناس أو وضعهم تحت تقسيمات تهدف إلى التفكيك على المستوى المحلي أو التشجيع على الهجرة إلى الخارج.[١٢٦]

بدأ يظهر في المجتمع المصري وبفجاجة ثنائيات لغوية تدل على الفكر السائد أو بتعبير آخر الذي أُريد له أن يسود بين المصريين والهدف من ورائه بث الفصل بالدرجة الأولى: رجل وإمرأة مؤمن وغير مؤمن ومسلمون حقيقيون ضد غير المسلمين أو من أُطلق عليهم غير المؤمنين من المسلمين أنفسهم والكفار من الأعداء الذين أصبحوا في داخل نفس الوطن الواحد ومن أبنائه، وجريرتهم التي يراها المتشددون أنهم يدينون بدين آخر غير الدين الإسلامي.[١٢٧]

وكان الرئيس السادات في كثير من خطاباته العامة وفي مقابلاته الصحفية يحاول

---

Mona Eltahawy: Muslim Women Caught Between Would be- Liberators and Would- Be Saviours, November 23, 2008. http://www.monaeltahawy.com/blog/?p=86.

[125] عزة كرم ص ٤٤.

[126] محمد حسن عبد الحافظ: أفق المرأة المصرية، اسلام أون لاين، ٢٠٠٩.

[127] أحمد أبو زيد: التنصير في بلد الأزهر ومخطط الإساءة للإسلام وازدرائه، محمد البورسعيدي وزوجته نموذجاً، أخبار التحرك التنصيري في بلاد المسلمين،

http://fadaknews.shiaunion.com/preaching%20Salibi/2008/Salibi0065.htm

تصوير عهد عبد الناصر بإعتباره عصر المادية وعدم الإيمان، أما عصره فهو عصر التقوى والإيمان. وفي منتصف السبعينات بدأت وسائل الإعلام المصرية بإطلاق مسمى الرئيس المؤمن على الرئيس السادات. وقام السادات بالإفراج عن المعتقلين من الإخوان المسلمين[١٢٨] ، ورد لهم إعتبارهم الشخصي والمهني. وسمح السادات للإخوان بإعادة إصدار مجلتهم "الدعوة" عام ١٩٧٦. وفي عام ١٩٧٦ نفسه قام السادات بالدعوة إلى تعدد الأحزاب وبالطبع كان الهدف التخلص من سيطرة الحزب الواحد والتبعية للمعسكر الشرقي تمهيداً لمسايرة الغرب والولايات المتحدة الأمريكية في سبيل ما دعى إليه من تحقيق الديمقراطية وإطلاق حرية الرأي والتعبير وبهذا ، كان من المفترض أن السادات بهذه السياسة قد فتح السبيل إلى أن تتنوع سبل التعبير السياسية في مصر والتي ظاهرياً بدا أنها تتراوح بين الإشتراكية المعتدلة والإقتصاد الحر والأفكار العلمانية والدفاع عن نظام إسلامي للمجتمع المصري[١٢٩] . وهي نفس الفترة التي كانت فيها حرم الرئيس المؤمن تقود أكبر حركة نسائية رسمية عرفتها مصر بعد الثورة وتحت إشراف الدولة، وإستطاعت عن طريق سلطة الرئيس أن تنتزع بعضا من الحقوق النسائية من خلال مجموعة من القوانين عُرفت بقوانين "جيهان" وهكذا كان الرئيس يُغازل الإسلاميين من جهة ويسمح لزوجته بقيادة حركة نسائية علمانية من جهة أخرى[١٣٠] . وبرغم من مغازلة السادات للجماعات الإسلامية علنا إلا أن سياسته الإنفتاحية وتأييده لإسرائيل قد أثارا ضده تحفظات الإسلاميين الذين كانوا وراء إغتياله في أكتوبر ١٩٨١. [١٣١]

[128] تم اعتقال العديد من رجال الاخوان المسلمين بعد صدامهم مع نظام الحكم بعد حادث المنشية في عام ١٩٥٦ ، هشام الناصر: الدين بين أحزاب اليسار واليمين. مرجع سابق ص ٢ .

[129] محمد حسن عبد الحافظ: أفق المرأة المصرية، مركز الدراسات –أمان.

[130] Lisa Suhair Majaj: Gender, Nation, and community in Arab Women's Novels.first edition 2002, P 54.

[131] عزة كرم: الفصل الثالث ص ٩٧، ص ٩٨.

ومنذ أواخر عصر السادات تجلى وبوضوح أن الإسلاميين نجحوا في فرض أيدولوجيتهم على المجتمع المصري برغم أن المادة ٥ من الدستور المصري تحظر تأسس أي نشاط سياسي على أي أساس ديني. [١٣٢] ومنذ هذه الفترة فُتح الباب فعلياً لأن يكون القانون شيئ والعمل به شيئ آخر.

ومع بداية حكم محمد حسني مبارك أعلن وبوضوح أن مصر سوف تستمر بالعمل على تطبيق بنود إتفاقية السلام مع إسرائيل مع السعي إلى فتح الباب لإعادة العلاقات الدبلوماسية والسياسية والإقتصادية مع الدول العربية وغير العربية التي تأثرت علاقاتها مع مصر بسبب معاهدة السلام مع إسرائيل. بدا جلياً منذ بداية حكم مبارك إلتزامه بسياسة وفاقية حذرة فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية، ولكن فيما يتعلق بموقفه من التطرف الديني الذي كان يرى أنه وراء مقتل الرئيس السادات فقد أعلن رسمياً إعتزام حكومته إخماد جميع أشكال التطرف الديني والوقوف وبصرامة ضد من يهددون أمن النظام العام. ومن الطريف أن عنف الجماعات الإسلامية الراديكالية قد نما بشكل يصعب السيطرة عليه في عصر مبارك أكثر من ذي قبل، حتى إنتشرت عدوى العنف والإعتداءات بين صفوف العامة وحتى بين الذين ليست لهم أية علاقات من بعيد أو قريب بالتنظيمات الإسلامية التي زاد عددها بشكل مخيف في عهد هذا الرئيس. [١٣٣]

وكما ذكرت الأنثروبولوجية عزة كرم في كتابها نساء في مواجهة النساء فإن كثيراً من المحللين إتفقوا على أن سياسة مبارك إتسمت بالحذر والميل إلى لعب دور الوسيط بين القوى الإجتماعية والسياسية المصرية المتنافسة [١٣٤]، والحيلولة بين الواقع المعاش بكل مشاكله وبين الوصول بالصدام إلى حالة من الإنقلاب أو التغيير، إلا فيما يختص بحذره من الجماعات الإسلامية التي كان يحسب حسابها بدقة منذ أن خبر بنفسه خطورتها بمقتل الرئيس الراحل السادات.

---

[132] عزت اندراوس :موسوعة تاريخ أقباط مصر: تقرير الحريات الدينية لعام ٢٠٠٧ والكنيسة . القبطية.
http://www.coptichistory.org/new_page_4451.htmlK 5/19/2009

[133] سعد الدين إبراهيم: المرأة في مصر والعراق، الأخوات المسلمات وانتخابات ٢٠٠٥، مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية.
http://www.eicds.org/Arabic/publicationsAR/reports/series5/_5_marra5.htm

[134] عزة كرم: الفصل الثالث ص ٩٩ .

وإذا حسبنا لمبارك نجاحه في إعادة معظم العلاقات الحسنة مع الدول العربية والإتحاد السوفييتي إلا أنه تبنى وبوضوح عدم إغضاب السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط.[١٣٥] وبذلك إستطاع حماية نظامه لفترة طويلة على المستوى العالمي بتحييد القوة الأمريكية إلى حد ما وعدم الصدام المسلح مع إسرائيل مهما كانت القضايا المشترك فيها أطراف عربية.

منذ بداية عصر مبارك كانت مصر تلعب دوراً إستشارياً في قضايا المنطقة بدون مساندة عسكرية لأية حركة تحررية عربية، كما كان الأمر في الفترة التي حكم فيها عبد الناصر، بل وصارت مصر تلعب دور الوسيط في تهدئة الخلافات أو دور المتفرج إذا اشتدت الأزمة. ولأن السياسة الداخلية والخارجية التي إلتزم بها مبارك هي السياسة التوفيقية فإن نظام الحكم تحت رئاسته سمح بقيام مؤسسات إقتصادية دينية- إسلامية من السهل أن تتطور أنشطتها لأن تدعو إلى تاسيس أحزاب على أسس دينية متشددة برغم من مخالفة هذه الممارسات للدستوركما أسلفنا. وبهذا سمحت سياسة مبارك بموارية الباب للاخوان المسلمين و بإبرام تحالفات مع الأحزاب السياسية الأخرى خلال إنتخابات ١٩٨٤ و١٩٨٧ البرلمانية ولنمو غيرهم من الجماعات الإسلامية لكن مع المراقبة الشديدة لأنشطتهم التي باتت أخطر من أنشطة الأخوان.[١٣٦]

[135] يبدو جلياً كثافة الخطاب داخل الولايات المتحدة الامريكية عن المرأة المسلمة تحديداً منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين خاصة بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وأزمة الرهائن الامريكيين وبروز المد الاصولي.، Mona Eltahawy: Muslim Women Caught Between، من الطريف أن الدعاوي المناصرة للمرأة المسلمة في الغرب تنقسم إلى مجموعة تدعو إلى مساعدة المرأة المسلمة في خلع حجابها، ومجموعة أخرى تظهر تضامنها مع المرأة المسلمة بارتداء الحجاب، وبين الارتداء والخلع نلحظ أن قضية حجاب المرأة تاخذ منحى شكلاني أكثر من التعمق في أشياء أكثر أهمية في حياة المرأة وقد عمق هذا الإهتمام الهوة بين الشرق الأوسط وبين الولايات المتحدة على المستوى الفكري والعقائدي تحديداً والنظر إليها على أنها العدو الأول للإسلام وللمسلمين وأنها أكبر مخرب للثقافة الإسلامية بالسعي إلى تخريب عقل المرأة المسلمة وتحفيزها ضد مجتمعاتها.

al Nakhlah, the Fletcher school on line journal on southwest Asia and Islamic Civilization, Spring 2009; Cybele Cochran: Women and the Law in Islamic Societies: Legal Responses to Domestic Violence in Saudi Arabia and Morocco;

د. منى أبو الفضل: خطاب المرأة في عصر النهضة: قراءة بديلة ص ٢٨.

[136] عزة كرم نفس المرجع ص ١٠٠، Salwa Ismail: Rethinking Islamist. P 55.

إن أكثر نسبة تزوير حدثت في الإنتخابات البرلمانية المصرية برغم من التباهي بمبادئ الديمقراطية كانت في عهد مبارك والذي إمتد على التواصل من عام ١٩٨١ حتى يناير ٢٠١١.[١٣٧]

ويهمني هنا أن أتوقف عند حالة اللامبالاة التي أصابت معظم فصائل الشعب المصري في فترة حكم مبارك بالإضافة إلى إزدياد العنف والتحرش في الشارع كما أشرنا سابقاً واللذان وجها بالدرجة الأولى ضد المرأة[١٣٨]، ولم تسلم من العنف أو التحرش متعلمة، أو غير متعلمة، سافرة أو محجبة وتتركز الأسباب في الحالة النفسية السائدة وفي الكبت الذي أصاب الناس من عدم قدرتهم على التعبير عن أنفسهم بشكل صحي من خلال النقابات المهنية أو الجمعيات الأهلية أو الأحزاب السياسية التي بات معظمها تحت تأثير الجماعات الدينية وتخشى من بطشها أكثر مما تخشى من قوة الدولة ; وقد تطور الأمر إلى فقد المصداقية في النظام الذي ثبت أقدامه بتاييد إسرائيل وأمريكا ودول الخليج العربي من الخارج بدون القدرة على خلق شرعية حقيقية لتقبل هذه السياسة على أرض الواقع وبدون رسم شخصية قيادية واضحة المعالم لسياسة مصر الخارجية والتي تزعزعت مكانتها وقيادتها تماما في المنطقة دعمتها الظروف الإقتصادية المتردية التي تعيشها مصر وتراكم الديون الخارجية عليها. فبعد أن عاشت المنطقة العربية ولفترة تاريخية طويلة على إتباع خطى ؟ مصر في كره إسرائيل وأمريكا وجدت الفرصة للإفلات من تلك السيطرة. أما نظام الحكم داخلياً فقد ثبت أقدامه وفرض سيطرته على المجتمع غالباً بتزوير الإنتخابات والتحايل على القانون والتستر به لإتخاذ إجراءات قمعية من خلال الإستمرار في العمل بقانون الطوارئ مما رسخ حالة اللامبالاة. ومن الأمثلة لا الحصر ما حدث في إنتخابات ١٩٨٤ من تزوير. هذه الإنتخابات التي وضح فيها تفوق الإسلاميين وسيطرتهم على الغالبية من الأصوات وعندما أقرت إحدي المحاكم بهذا التزوير وأصدرت أحكاماً

---

[137] ترجمة للجزء الخاص بمصر من تقرير حقوق الإنسان الدولي لعام ٢٠٠٧ ; أصدره مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل، سفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة.
http://www.usembassy.egnet.net/pa/ar_hrr08.htm

[138] النساء في ظل قوانين المسلمين
Women living under muslim laws, http://www.wluml.org/arabic/8/10/2009
تشير التقارير إلى أن نصف الذين يقومون بالتحرش هم من زملاء العمل و٢٧٪ منهم من رؤساء العمل و٢٣٪ من زبائن العمل.

بشأن مخالفات بعينها تحرك مبارك سريعاً ودعا إلى إجراء إنتخابات جديدة في أبريل ١٩٨٧.[١٣٩]

وكان واضحاً للعامة وحتى لمن لا يفهم في السياسة أن نظام الحكم يعي تماماً قوة وخطورة الإسلاميين الذين بات التحالف معهم من قِبل بقية الأحزاب سنداً وقوة قد تُستغل ضد النظام ذاته. وبدا أن نظام الحكم يركز جاهداً على تفتيت قوة الإسلاميين- الذين أعلنوا بدورهم شعار"الإسلام هو الحل" وهو شعار سياسي يرتكز على مبادئ دينية- وكان أن أُعيدت الإنتخابات لتفتيت قوة الإسلاميين السياسية ولكن بالحيلة وبعيداً عن الصدام المباشر. في هذه الفترة بدأ التحايل على القانون وإستغلاله في فرض ما يمليه نظام الحكم الذي لم يختلف كثيراً عن جوهر الأنظمة القمعية السابقة منذ عهد الثورة بل يكاد أن يكون أسوأها، ويكفي أن نذكر إستمرار نظام الحكم العمل بقانون الطوارئ حتى قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ والتي مازالت نتائجها في طور النمو.[١٤٠]

وفي نفس الوقت الذي إستمرت فيه الحكومة المصرية العمل بنفس الطرق التقليدية فيما يخص قضايا المرأة كانت الأمم المتحدة تتبنى طرح موضوع المرأة كأولوية على جدول أعمالها منذ منتصف الثمانينيات. وباتت المرأة المصرية على وجه الخصوص محصورة بين تقليدية الرؤية لقضاياها وحقوقها داخل المجتمع المصري وتحكم المؤسسة الدينية في كافة الحقوق الخاصة بالأسرة المصرية والتي تعوق المرأة وتحد من مساهمتها الفعالة في المجتمع وفي رسم سياسته العامة، في مقابل تبني الدولة موقف التصديق على كافة المواثيق الدولية التي تدعو تحت إشراف الأمم المتحدة إلى فرض الحقوق الكاملة للنساء أسوة بالرجال، وهكذا وصل التناقض في التعامل مع قضية المرأة إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه مما أدى إلى تكريس العشوائية الإجتماعية والسياسية.[١٤١]

[139] عزة كرم نفس المرجع ص ١٠٠.

[140] تقرير حقوق الإنسان الدولي لعام ٢٠٠٧.

[141] نضالات المرأة-مركز دراسات المرأة الجديدة.

وفي الإنتخابات التي أجريت في عام ١٩٨٧ بدا جليا إزدياد نسبة اللامبالاة إذ شارك ربع عدد المسجلين والمؤهلين للتصويت ولم تُمثَّل المعارضة في البرلمان لعدم كفاية الأصوات التي قيل أن ممثلي المعارضة حصلوا علي القليل منها وأعلنت المحاكم بطلان إنتخابات ١٩٨٧ لعدم قانونيتها فيما يتعلق بالمرشحين من المستقلين والنساء. وبالقانون وبغير القانون كان النجاح دائماً حليف الحزب الوطني ومرشحيه والذي يرأسه رئيس الجمهورية نفسه، مما عمق شعور الناس خاصة الشباب بعدم جدوى المقاومة أو عدم جدوى الإدلاء بالأصوات ما دامت النتائج محددة مسبقا". [١٤٢]

ويضاف إلى ماسبق ذكره عن تنامي قوة الجماعات الإسلامية وإستقلالها المادي والتخبط السياسي الذي تحياه مصر في ظل نظام يزاوج بين مجموعة من المتناقضات غير المسبوقة ومنها ممارسات الدولة غير المدروسة في كثير من الأحيان كسباً للمزيد من الإمتيازات لصالح الفكر الإسلامي المتشدد بشكل عام في الوقت الذي يقوم فيه نفس النظام بمجموعة الإعتقالات الواسعة للإسلاميين والتي تتم تحت مسمى الحفاظ على الأمن العام، ومصادرة الكتب والمؤلفات التي قيل فيها أنها تخدش الحياء الإسلامي وبعضها سبق طبعه وتوزيعه لعشرات من السنين مثل مصادرة كتاب "الله الواحد في الثالوث" والذي كان متداولاً منذ عام ١٩٦٥، ومصادرة كتاب "الإنتخابات الطلابية في الجامعات المصرية" والذي من إسمه نستطيع أن نلمس أنه ليس له علاقة من قريب أو بعيد بالدين ولكنها سياسة الدولة التي تحاول محو الإحساس الوطني العام ومحاربة أي تاريخ مجيد عن جماعة الأخوان المسلمين. هذا بالإضافة إلى تأييد دعاوي تطليق قيل فيها أن أحد الزوجين كافراً خرج على أصول الدين الإسلامي الحنيف مهما كانت مكانته أو مكانتها العلمية والعملية ودون حتى الإستماع إلى مَنْ أتهم بالخروج على أصول الدين، وهو الأمر الذي تعرضت له الكاتبة د. نوال السعداوي وأقيم ضدها دعوة لتطليقها من زوجها دون أخذ رأيها في الإعتبار وتعرض الدكتور نصر حامد أبو زيد لنفس المصير ونفس الدعوة لأنه أشيع ضده أنه عصي الإسلام وخرج على أصوله. وطبعاً من الطريف أن يتم المساواة بين الرجل والمرأة، الكاتب والكاتبة في العصيان الديني فقط دون الإعتراف بالمساواة في الأمور الإيجابية التي من شانها أو ترفع مستوى الوعي العام. ولا ننسى أيضا تقييد الحرية

---

[142] تقرير حقوق الإنسان الدولي لعام ٢٠٠٧.

الدينية على المسلمين الذين يريدون ممارسة أو دخول دين آخر وفي هذه الحالة يطبق عليهم قانون الردة ويباح دم الشخص الذي ترك الإسلام،[١٤٣] في حين أن الدولة أي المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية الإسلامية الرسمية تؤيدان وتشجعان سياسة إعتناق غير المسلمين الإسلام دون تطبيق أية عقوبات أو فرض غرامات وفي حالة إختيار أحد الذين أسلموا الرجوع إلى دينه الأصلي مرة أخرى، يصبح في نظر القانون مرتداً ويصبح مطارداً من المتشددين ومن رجال الشرطة على حد سواء حتى وإن لم يكن لهم حق قانوني في تطبيق العقوبة.[١٤٤]

ومما لا شك فيه أن سياسة مبارك تغيرت تغيراً كبيراً منذ أوائل التسعينات فقد مالت صراحة لمغازلة الإسلاميين، سواء من المعتدلين الذين يمثلون الدولة والممثلين في رجال الأزهر والمعينين في الأوقاف، أوفصائل المتشددين ما داموا لا يهاجمون نظام الحكم ومناصريه. إن مؤيدي الإتجاهات الإسلامية، وخاصة أعضاء الأخوان المسلمين يعملون اليوم في كل قطاعات الدولة ويحتلون المناصب في الوزارات والإتحادات والنقابات ووسائل الإعلام ويخلقون شبكات قوية تعمل على نشر الإسلام السياسي بشتى الطرق تمهيدا وأملاً من جانبهم إلى إعلان مصر دولة إسلامية نهائيا.[١٤٥]

ومرة أخرى يطرح السؤال نفسه أين نضع المرأة وقضاياها الملحة في الصراع أو المغازلة بين الحكومة المصرية والإسلاميين؟ من أهم الظواهر التي برزت في حياة نساء مصر خلال ثمانينات القرن العشرين، تحمل النساء لعبء النضال ومقاومة مجموعة من الضغوط الدينية والسياسية التي تهدف إلى بث وزرع بذور سلفية تدعو إلى إبقاء المرأة في البيت بحجة صون الأسرة المصرية من التفسخ والضياع والحفاظ على الأصول الإسلامية الصحيحة في المعاملات بين أفراد المجتمع والتي يشار عمداً إلى أنها تعرضت للعديد من الإنفلات كما زُعم بسبب خروج المرأة

---

[143] تقرير حقوق الإنسان الدولي لعام ٢٠٠٧.

[144] عزت أندراوس: تقرير الحريات الدينية لعام ٢٠٠٧ م والكنيسة القبطية: انسكلوبيديا، موسوعة تاريخ أقباط مصر، http://www.coptichistory.org/new_page_4451.htm،

أحمد أبو زيد: أخبار التحرك التنصيري في بلاد المسلمين، التنصير في بلد الأزهر ومخطط الإساءة للإسلام وازدرائه: محمد البورسعيدي وزوجته نموذجاً،

http://fadaknews.shiaunion.com/Preaching%20Salibi/2008/Salibi0065.htm

[145] عزة كرم: مرجع سابق ص ١٠٣، ١٠٤.

للعمل على الرغم من أن عمل المرأة لم يكن رفاهية بل احتياج وضرورة ملحة للبعض.[١٤٦] ومرة أخرى نستثني هنا دور العلمانيات واليساريات كما حدث وفعلنا في الكتابة عن النشاط النسائي خلال السبعينيات. هؤلاء اللائي من جانبهن حاولن أن يظهرن إحترامهن للدين بإعتباره أمراً عقائدياً شخصياً يخص كل فرد ولكنهن رفضن علانية إتخاذ الدين أساساً لصياغة أي برامج تخص تحرير المرأة وحاولن جاهدات تجنب الوقوع في أحابيل المناقشات البيزنطية التي لا نهاية لها حول وضعية المرأة في إطار الدين. كما حاولن تجنب الردود على إتهامات المحافظين لهن بعدم الإيمان وبأنهن صنيعة الغرب وغير ذلك من الإتهامات. حاولت اليساريات والعلمانيات تطوير خطابهن لكن بتحفظ شديد يشوبه الحذر- إلا قلة منهن وعلى رأسهن د. نوال السعداوي. حاولت العلمانيات واليساريات الحفاظ على فكرة الحوار المجتمعي حول قضايا المرأة، وإن كن لا يؤمن بأن الإسلاميات سوف يناصرن أو يدافعن عن نضال قد يسمى نسائي. وهكذا وقف الخلاف الأيديولوجي الديني والسياسي حائلا لقيام حوار صحي حول قضايا المرأة بين النساء أنفسهن.

ومرة أخرى يُثقل كاهل المرأة المصرية والتي شاركت في بناء وطنها بحمل جديد وخصها منفردة بشرف صيانة والدفاع عن الترابط الأسري مهما كان الثمن أو مهما كانت ضعف الإمكانيات المتاحة للمرأة في ظل مجتمع غير مبال، وينتشر فيه العنف والتحرش وتبرير الإغتصاب في كل مكان حتى داخل البيت وبين أفراد الأسرة الواحدة، والحجة كما ذكرت قبلاً أن المرأة كانت المتهمة بأنها المسؤلة عن هذه الممارسات المتخلفة. باتت الدعوة إلى أن تتحجب المرأة أو تنقب حتى تصون نفسها من العقاب الفوري والتطاول عليها وعلى جسدها أمراً واقعاً ومفروضا على المسلمة وغير المسلمة وعلى المتضررات إما السكوت أو ترك البلاد[١٤٧].

إن الكلام عن جسد المرأة وملابسها الشرعية أو غير الشرعية قد تزايد في السنوات العشرين الماضية في مصر بشكل مستفز بين الناس، وتعدى الأمر إلى إباحة مجموعة من

---

[146] اسلام أون لاين/ حواء وآدم- صوت النساء، عمت حالة من الاستياء بين صفوف النساء خاصة في المجلس القومي للمرأة الذين أعدوا أنفسهن بشكل جيد للإنتخابات البرلمانية في عام ٢٠٠٥ ولكن الأحزاب كالعادة فاجأت الكل بالعدد المخصص للنساء وفقاً للحصة التي حددتها ليكون الإجمالي ٢٦ سيدة فقط، ٦ سيدات عن الحزب الوطني و٢ عن حزب التجمع و٢ عن حزب الجيل وسيدة واحدة عن حزب مصر العربي وسيدة عن حزب الأمة وبقية النساء كن مستقلات ولكن فرصتهن في الفوز أقل.

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2005/11/article02.shtml,9/7/2009

[147] سببت قرارات احدى مدارس البنات استياء بين المواطنين المسيحيين لإجبار البنات على ارتداء الحجاب كزي موحد.

الأحاديث العامة خاصة في التليفزيون المصري والتي أراها أشد ضرراً من مناقشة التحجب أو عدمه[١٤٨].

وعلى سبيل المثال لا الحصر كثر الحديث والكتابة والبث في الإذاعة والتليفزيون وفي الجرائد اليومية عن كيفية إمتاع الزوجة لزوجها، وما هو المباح وغير المباح في العلاقات الزوجية. ولا أريد أن أطيل الكلام هنا عن أمثلة لتفاسير ومحاورات على شاشات التليفزيونات يقشعر لها شعر البدن، من حيث إشتمالها على قدر عال من الكلام في الجنس الصريح، تحت مسمى لا حياء في الدين.

ومسمى لا حياء في الدين أصبح حملاً ثقيلاً آخراً على كاهل المرأة المصرية، لأن مصطلح لا حياء في الدين صار محلل ما دام يخدم الرجل والسلطة الذكورية، ولكنه محرم ومكروه إذا حدث وطالبت النساء من خلاله بمجموعة من المطالب والحقوق التي نصت عليها الشريعة الإسلامية صراحة ولا تحتاج إلى شرح أو تفسير.[١٤٩]

صارت الأراء المؤيدة للإسلاميين متعددة ومتنوعة وتأخذ إتجاهات بدورها متعددة ومتنوعة تناهض وبشدة كل دعاوي العلمانيين ونشطاء الحركة النسائية وتنتشر بكثرة على صفحات الإنترنت والذي صار متنفسا لكل الشُعب الفكرية الجماعية والفردية ومن الصفحات والمدونات التي تدافع وتعبر عن الإسلاميين: "منتديات الحلم، والبشاير، والأسرة المسلمة، والجماعة الإسلامية، وأسرار الحركة النسائية في مصر".[١٥٠]

## جمعية تضامن المرأة العربية

في منتصف عام ١٩٨٠ عُقد في مدينة كوبنهاجن منتدى منتصف عِقد المرأة Mid Decade Forum والذي حرك المياة الراكدة وكان دفعة قوية للعمل النسائي العربي، ففي مصر تبعه في عام ١٩٨٢ تأسيس جمعية تضامن المرأة العربية Solidarity Association Arab Women (AWSA) تحت قيادة د. نوال السعداوي. وهي من المحطات التي تستدعي

---

[148] محمد حسن عبد الحافظ: نفس المرجع السابق، ص ٦٠.

[149] محمد حسن عبد الحافظ: أفق المرأة المصرية، مركز الدراسات أمان، ٢٠٠٩.

[150] Islam House, http://www.islamhouse.com/tp/40898

الضرورة التوقف عندها لما لهذه الجمعية من أهمية في تعريفنا بجانب من شخصية نوال السعداوي القيادية، وإعطاء صورة عامة على نشاط نسائي تأسس على العلم وعلى المطالبة بحقوق المرأة في كافة المجالات بعيداً عن الدين، وإعطاء مثل حي على سياسة الحكومة المصرية التي كانت تتخذ من لي ذراع القانون وثغراته سلاحاً لتفعيل نشاطٍ ما أو تفنيده خاصة في مجال العمل النسائي.

كانت جمعية تضامن المرأة العربية من أشهر الجمعيات النسائية العربية في النصف الأخير من القرن العشرين على الرغم من أن حوال ٣٠٪ من أعضائها كانوا من الرجال، بل وربما يكون ذلك من أسباب قوتها. [١٥١] وقد تأسست بإعتراف من الحكومة المصرية ومباركتها وفقاً لقانون إنشاء الجمعيات الأهلية. بدأت هذه الجمعية قوية منذ نشأتها، وإستقطبت مجموعة من النساء العربيات المؤمنات بعدالة الدفاع عن الحقوق السياسية الكاملة للمرأة العربية مع تبني دراسة مشاكل النساء وبحث أسباب الفقر والتصدي لها من منظور نسوي سياسي وطني بحث فيه فصل وفهم واضح وصريح لحقوق المرأة وفقاً لمواثيق حقوق الإنسان العالمية وبين تلك الحقوق التي يتم التلاعب بها باسم الدين [١٥٢]. وكان أول عمل جماعي قام به أعضاء هذه الجمعية هو تنظيم معارضة شعبية في مدينة المنصورة إحتجاجاً على الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان وإنبثق من هذه المعارضة ميلاد مجلة "بنت الأرض" التي مثلت لسان حال هذه المعارضة، وغيرها من القضايا التي تهم المرأة الريفية في القرى المجاورة [١٥٣].

بدأت هذه الجمعية بمائة وعشرين عضواً ولكن في أقل من ثلاث سنوات تحديداً في عام ١٩٨٥ بلغ عدد أعضاء هذه الجمعية ثلاثة آلاف عضو ورحبت بهم الأمم المتحدة كأعضاء في منظمة نسوية عربية غير حكومية، وأعلنت تاييدها وإعترافها بنشاط هذه الجمعية وبتخصيص الدعم الذي يساعد في أنشطتها.

---

[151] Nawal: The reader. P 24

[152] عزة كرم: نساء في مواجهة نساء، ص ٢٧، ص ٣٧، شخصيات في مسيرة الحركة النسائية العربية، الغالبية من أصحاب الفكر العلماني والإسلاميات لم يأخذن حقهن من الشهرة،

http://forum.hawahome.com.t11696.html

[153] Margot Badran: Egyptian Feminism. P 5

وفيما بين ١٩٨٢ وحتى ١٩٩١ نظمت هذه الجمعية أربعة مؤتمرات عالمية في مدينة القاهرة تناقش أمور المرأة في العالم العربي على وجه الخصوص وكيفية الإرتقاء بها لمسايرة حركة التطور العالمية. وفي عام ١٩٨٦ قام مجموعة من أعضاء هذه الجمعية بإنشاء مجلة جديدة تحت إسم "مجلة المرأة الجديدة" وقد إختصت بمتابعة الأحوال الصحية للمرأة ومحاولة مساعدتها على الإرتقاء بنفسها وبدخلها المالي حتى تساعد أسرتها. وفي عام ١٩٨٧ قامت مجموعة من أعضاء الجمعية بتأسيس "رابطة المرأة العربية" والتي إستهدفت العمل على تطوير الوعي السياسي لدى النساء وتنظيم المطالبة بالحقوق القانونية المشروعة. وبالفعل قامت هذه المجموعة في عام ١٩٨٨ بنشر كتيب صغير بعنوان "الحقوق القانونية للمرأة المصرية بين النظرية والتطبيق"[١٥٤].

وتذكر د. نوال السعداوي أنها لجأت إلى طلب المعونة المالية من أفراد ومن حكومات على حد سواء، وكانت البداية بطلب المعونة من البلدان العربية الغنية أي المنتجة للبترول والتي وضعت شروطاً مقيدة للعمل الحر في هذه الجمعية مما إستحال معه فرصة التعاون بين أعضائها وبين وممثلو هذه الدول. وتذكر أيضاً أن أهداف جمعية التضامن النسوي ولأنها تتطلع إلى رفع مستوى الوعي والإدراك فإن أنشطتها أيضاً قوبلت بالصمت من قبل بعض المؤسسات العالمية التي كانت لها "أجندات" خاصة في مجال العمل النسائي والتي يأتي على رأسها تنظيم النسل ومراقبة المواليد خاصة في قارة أفريقيا، لأنها أجندات تأسست على تقسيم النساء إلى نساء العالم الأول ونساء العالم الثاني ونساء العالم الثالث[١٥٥].

تنوعت أنشطة هذه الجمعية لتشمل كافة المجالات التي ترفع من وعي النساء بأمور حياتهن ومن هنا بدأ الصدام مع الحكومة المصرية ومع الجماعات الإسلامية ومع الأزهر حينما بدأت مناقشات تطوير ومراجعة قانون الأسرة والأحوال الشخصية الذي إستمر العمل به بلا

---

[154] Margot Badran: Egyptian Feminism. P 5

[155] El Saadawi: The reader. P 27، الحركة النسائية في مصر تهرب من الشارع إلى الإنترنت- مركز الأخبار والدراسات- أمان، فبراير ٢٠٠٩ .

مراجعة أو تطوير منذ عام ١٩٢٩[156]. وكان من أهم الأنشطة الموازية لحقوق المرأة، إنتاج مجموعة من الأفلام التسجيلية أو الروائية القصيرة حول بعض من نماذج النساء العربيات وأهم المشاكل التي يتعرضن لها، وقد استغل هذا للدعاية المضادة ضد نشاط الجمعية التي أشيع أنها تريد نشر الأخبار الداخلية على الملأ.

أما على الصعيد السياسي فقد قامت هذه الجمعية بتنظيم معارضة قوية ضد حرب الخليج في عام ١٩٩١، وضد التدخل الأمريكي في المنطقة، ومن هنا بدأ الخلاف مع سياسة الحكومة المصرية التي ارتأت أن الجمعية قد خرجت عن الخط المرسوم لها كأي جمعية نُظمت وأُنشئت وفقاً لقانون الجمعيات الأهلية، وفوراً صدرت الأوامر بوقف أنشطتها وإغلاق مقارها في مصر بدون سابق إنذار أو حتى إعطاء أعضائها فرصة تصحيح الأخطاء أو مراجعة سياستها وطبعاً من الواضح أن الحكومة كانت تتحين الفرصة للنيل من هذه الجمعية ومصادرة عملها النشط الذي مثل خطراً على نظام الحكم ذاته.[157]

أقيمت دعوى قضائية أمام المحكمة المصرية للتحقيق في أمر إغلاق هذه الجمعية وحتى يومنا هذا لم يبت في أمرها أو يصدر شيئاً رسمياً بشأنها. وتم نقل مقر عمل هذه الجمعية إلى الجزائر ثم عادت إلى مصر مرة أخرى في عام ١٩٩٦. عادت على الورق وبدون نشاط فعلي!!!!!

كان لهذه الجمعية مجموعة من المقار في الدول العربية في شمال أفريقيا بالإضافة إلى مقرها أُنشئ في سياتل في عام ١٩٩٤ بأمريكا وآخر في واشنطن.

كان من مبررات الحكومة المصرية التي أعلنتها عقب إغلاق هذه الجمعية كثيرة منها أن حظر العمل في هذه الجمعية هو لسوء الإدارة المالية، وأيضاً أنها تهدد الأمن القومي لأن أعضائها وعضواتها قد تجاوزوا حدود قضايا المرأة وحدود القانون المنظم لإنشاء الجمعيات الأهلية الخيرية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وتأكيدا على العقاب فإن الحكومة المصرية قد قامت

---

[156] وفقاً للحكومة المصرية اعترفت بهذه الجمعية باعتبارها جمعية أهلية إلا أن هذه الجمعية اتسع نشاطها ليمتد إلى كافة البلاد العربية ولذلك فاعتبرها منظمة خاصة بعد الاعتراف بها من قبل الأمم المتحدة.

[157] Nawal El saadawi: The Reader, Zed Books,1997, PP 18-19

بمصادرة أصول هذه الجمعية وحولتها لصالح "جمعية نساء الإسلام" وهي جمعية خيرية إسلامية لم يسمع بها أحد من قبل[158] !!!!! وقد تكون أوجدت عن عمد لترث أملاك جمعية التضامن النسائي العربي . ومن هنا تعود بنا الذاكرة إلى ما سبق وأشرنا إليه عن إلتجاء الحكومة إلى التستر بالقانون ولي ذراع الحقائق للتأكيد ليس فقط على تقليم الأظافر النسوية بل قطعها إذا حدث وأن رفعت المرأة رأسها وعلا صوتها بما يمكن أن يقود لأية إستقلالية قد تهدد أمن وسلامة النظام أولاً والذي إتخذ من الإسلاميين نصيراً، مما يؤكد مرة ثانية وثالثة على مغازلة النظام للإسلاميين مع إستخدام العنف إذا لزم الأمر لتأديبهم. ومرة أخرى يتأكد لنا أنه في الوقت الذي كانت تصدق فيه الدولة في عهد مبارك على المواثيق الدولية وتعترف بحقوق النساء على الورق إلا أنها وقفت ضد المحاولة الوحيدة التي بشرت بأمل في الإرتقاء بالعمل النسائي على المستوى المحلي والعربي إلى الإستقلالية وإلى تطور الوعي بالحقوق الحقيقية للمرأة، ولكن لأن الدولة تتستر بالدين وتختفي وراء الإسلاميين فإنها بالطبع تقف بالمرصاد لكل من تسول له نفسه ويحاول أن يفكر أو أن يبتكر.

لقد مثلت هذه المنظمة شوكة في جانب الأنظمة العربية ببلوغها قوة غير مسبوقة على المستوى الدولي والمحلي وانتزاعها لإعتراف الأمم المتحدة. إنه ذلك التناقض والعشوائية اللذان كانا يخيمان على الجو العام في سياسة أكبر دولة عربية والتي من المفترض أن لها تأثيرها القوي في توجيه دفة الأحداث في العالم العربي كله بحكم الريادة الفكرية والثقافية على الأقل. ونرى أنه بالقانون وبغير القانون تستطيع الدولة وبجرة قلم إغلاق أي نشاط سياسي أو إجتماعي.

---

[158] " لقد تدخلت قوة السلطة والنفط لتصادر مجلة نون وإغلاق جمعية تضامن المرأة العربية دون تحقيق ودون أي حق ومصادرة أموالها وتحويلها إلى جمعية أخرى اسمها "نساء الاسلام" ورفعنا قضية رقم ٦٦٨٤ لسنة ١٩٩١ والتي تحولت إلى ملف مركون منذ أربع سنوات في درج من أدراج مجلس الدولة بالقاهرة ووضعت كل تفاصيل القضية في كتاب معركة جديدة في قضية المرأة عام ١٩٩٢ حتى لا تضيع تفاصيلها ان مت قبل أن يتم الفصل فيها" نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ١٩٥.

يُقال أن نقل أموال منظمة تضامن المرأة العربية المنحلة إلى ملكية جمعية أخرى كان تطبيقاً لنص إلزامي في قانون الجمعيات رقم ٣٢ لعام ١٩٦٤- مادة ٦٠. ارجع إلى الطبعة العربية لكتاب: نساء في مواجهة نساء، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ص ٢١. وهي الطبعة المترجمة لكتاب:
Azza M. Karam: Women, Islamisms and the State. Contemporary Feminism in Egypt. Macmilan press LTD. 1998 .

إن نقل أصول هذه المنظمة للإسلاميين كان إنتصار جديد للأصولية والسلفية وإضافة فعلية لجمعية إسلامية خيرية جديدة تعمل في مجال مساعدة النساء المسلمات الفقيرات وكانت وظيفتها توفير الإحتياجات الأساسية لهؤلاء النسوة وتقديم دروس في العقيدة الإسلامية. كانت هذه الخطوة مغازلة صريحة من قبل الحكومة للأفكار الرجعية التي تقف على تقسيم المجتمع إلى ماهو محلل وما هو محرم، والتضحية بحقوق المرأة الملحة على مذبح العمل الأهلي، وتجاهل المواثيق الدولية التي تصدق عليها الدولة كل يوم. وهكذا ومرة أخرى بل مرات ومرات نجد المرأة المصرية حبيسة خناق سلطة السياسة وسلطة الدين وأن المرأة المتعلمة نفسها رويداً رويداً قد فقدت الثقة في العمل العام وبدأت موجة كبيرة من إبتعاد النساء أنفسهن عن المشاركة في أي عمل عام. وبطريقة أخرى نقول أن عدوى "اللامبالاة" قد بدأت تستشري بين صفوف النساء خاصة من المتعلمات.[١٥٩] إن عدوى اللامبالاة التي أصابت المرأة أتاحت الفرصة لنمو نوع من البلطجة في الشارع المصري التي وُجهت بكل قوة ضد البنات في الشارع وضد النساء العاملات في مكاتبهن، وفي المواصلات العامة دون أن تتصدى الدولة بإتخاذ إجراءات رادعة ضد هؤلاء "البلطجية" الذين ُخلقت لهم علاقات مشبوهة برجال الدين ورجال الدولة على حد سواء وصارت مقولات مثل: البنات هي السبب، وهي مَنْ تريد ذلك، ولماذا يخرجن من بيوتهن؟ وعلى مَنْ تريد صون نفسها أن تتحجب أو تبقى في البيت. وغير هذه الأقاويل الكثير وجدت تاييدات من على منابر الجوامع وعلى حناجر بعض الدعاة الذين لا ُتعرف لهم مرجعية دينية محددة أو أي أسس علمية دينية وراء خطابهم- فهم باتوا ينتشرون في كل مكان ولا يردعهم أو يردهم أحد من المختصين- من رجال الشرطة- الجهاز المنوط بحماية المواطنين، أو من رجال الدين، الذين يمثلون الجهاز الذي يصون ويحمي العقيدة السليمة ويسهم في تنقيتها من أية دعاوي تمثل شوائب تحول دون وصول الأفكار الدينية السليمة إلى الناس، وما يتبع ذلك من سلوك حميد بين

---

[159] إسلام أون لاين: حواء وآدم،

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2005/11/article02.shtml,9/7/2009

عزة كرم: نفس المرجع السابق، ص ٢٨ .

الناس وضمان تراحمهم وتضامنهم إجتماعياً بما يؤسس للعدالة الإجتماعية على أرض الواقع قبل إصدار القوانين[١٦٠].

ومن الطريف أيضاً نشوء نوع جديد من الإتهام!! الدولة تتهم رجال الدين بالتقصير في القيام بواجباتهم في تنشئة المواطن الصالح، أما المتدينيين بما فيهم الناس البسطاء يرون أن الدولة الفاسدة هي السبب الرئيسي وراء تردي المبادئ والأخلاق طالما هي لا تقبل بتطبيق الشريعة الإسلامية كضمان رئيسي لتحقيق الإلتزام الأخلاقي وحصول كل مواطن على حقوقه كاملة[١٦١].

إن الأمثلة عديدة للتدليل على سياسة الدولة المصرية المتناقضة قبل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ تجاه العمل العام وخصوصاً في مجال قضايا المرأة وكلها تقريباً نسخة واحدة من قمع سياسي وديني مدعم بمرارة وكره إجتماعي زُرعت بذورهما لمحاربة كل ما هو نسائي. ففي ٨ يونيو ٢٠٠٣ حدث أن مركز بحوث المرأة الجديدة الذي أنشئ في أوائل التسعينيات لرفع وعي الجماهير بقضايا حقوق المرأة بما في ذلك التصدي لمسألة ختان الإناث والعنف المنزلي، قد تلقى خطابا من وزارة التامينات والشئون الإجتماعية يتضمن رفض طلب المركز للتسجيل بموجب نصوص قانون رقم ٨٤ لعام ٢٠٠٢، الخاص بإعطاء تراخيص إنشاء الجمعيات الأهلية والذي يفرض على جميع المنظمات تسجيل نفسها لدى وزارة التأمينات والشئون الإجتماعية ويضع هذا القانون قيوداً شديدة على المساحة المتاحة لنشاط المنظمات غير الحكومية، وترى هذه المنظمات أن هذا الشرط أي شرط التسجيل يعتبر تقييداً لحقوق التعبير وتقييداً لتكوين الجمعيات ومحاولة مكشوفة من جانب الحكومة للموافقة على بعض الجمعيات ورفض البعض الآخر بإعتبارها غير قانونية، ورغم أن جمعيات حقوق المرأة لم تكن بالضرورة المقصودة مباشرة بهذا القانون إلا أنها قد تضررت بالقيود التي فرضها[١٦٢].

---

[160] فاروق جويدة: وزير الثقافة قضى على المثقفين لصالح النظام.

http://arabmag.blogspot.com/2007_09_archive.html, 5/7/2009.

وخليل العناني: انتفاضة نسائية أم حركة نسوية مصرية؟

[161] عزة كرم: مرجع سابق. ص ٣٥.

[162] بمعزل عن العدالة.

وقد زاد تقليص المساحة المتاحة للنشاط المستقل في مجال حقوق المرأة نتيجة الجهود التي بذلتها الحكومة لإحتكار برنامج عمل حقوق المرأة من خلال "المجلس القومي للمرأة". [١٦٣] وقد أُنشئ هذا المجلس بموجب قرار جمهوري في عام ٢٠٠٠؛ بإعتباره هيئة مستقلة مسئولة عن تمكين المرأة المصرية من حقوقها، وهذا المجلس القومي للمرأة كانت ترأسه سوزان مبارك حرم رئيس الجمهورية السابق. وقد أعرب العديد من الناشطين- رجالاً ونساءً- عن أفكارهم وشكوكهم حول تأسيس هذا المجلس في مقابلاتهم مع أعضاء لجنة هيومن رايتس ووتش Human Rights watch وإن كانت الكثيرات من عضوات المجلس نفسه لم تردن الإشارة إلى أسمائهن في إعلانهن عن شكوكهن حول شرعية تأسيسه، وتحويل موارد مالية كبيرة من الجهات الدولية المانحة إلى المجلس القومي للمرأة وحده دون غيره وأن هذا قد أدى في آخر الأمر إلى زيادة سيطرة الحكومة على برنامج عمل حقوق المرأة وأضعف المجتمع المدني والنضال الشعبي الحر المستقل. ومما قلل من إستقلال هذا المجلس وفرصة قيامه بتوجيه الإنتقادات علناً للقوانين أو السياسات المناهضة لحرية ممارسة المرأة للأنشطة العامة دون رقابة وإنفاق أموال المنح في أمور لا تخص المرأة- كان إختيار مقره الرسمي في المبنى الرئيسي للحزب الوطني الديمقراطي وهو مقر الحزب الحاكم للنظام السابق في العاصمة القاهرة [١٦٤]، إذاً كيف يكون هذا المجلس مستقلاً ويعبر عن قضية المرأة ومقره مبنى الحزب الحاكم والذي يرأسه رئيس الجمهورية؟

وتشهد التقارير على التقدم القانوني في حقوق المرأة المصرية في الأعوام الأخيرة، إذ حصلت المرأة على حق الخُلع أي حق المرأة في الإنفصال عن زوجها من جانبها في مقابل التنازل عن بعض حقوقها المالية وبرغم من ذلك الحق فإنه لا يتساوى مطلقاً مع حق المرأة العربية حتى من قبل الإسلام في تطليق زوجها بتغيير وجه الخباء دون التنازل عن حقوقها ومارست المرأة حقها في تطليق زوجها حتى مع إنتشار الدعوة الإسلامية مما يشير إلى أي مدى تدهور حال المرأة في عصورنا الحديثة. وأيضا نالت المرأة حقها في منح أولادها جنسيتها بنين أو بنات إذا كانت متزوجة من أجنبي وإن كان تطبيق القانون تعوقه الكثير من الإجراءات المنفذة مما يعيدنا إلى حقيقة أن القانون شيئ وتطبيقه شيئ آخر، فما زال في مصر العديد من أبناء المصريات

---

[163] ماريز تادروس: الناشطات النسائيات من دون حركة.

[164] بمعزل عن العدالة.

المتزوجات من فلسطينيّ الجنسية يعانون من الإعتراف بهم وإستخراج هويات مصرية لهم. وفي عام ٢٠٠٣ تم تعيين السيدة تهاني الجبالي نائباً لرئيس المحكمة الدستورية العليا فكانت أول قاضية في مصر ولكن بقرار جمهوري وبمباركة سيدة مصر الأولى مما إستحال معه على مجلس القضاء الأعلى أن يطعن في القرار، وفي عام ٢٠٠٧ تم تعيين ثلاثين قاضية في محاكم إدارية عدة، مما سمح لهن بأن ينظرن لأول مرة في قضايا مدنية وجنائية[١٦٥].

ولا نستطيع أن نخفي مخاوفنا إذ لم تكن مجموعة الحقوق التي حصلت عليها المرأة المصرية منذ ثورة ١٩٥٢ وحتى الآن بفعل جهد شعبي أو فكري وإنما هي مجموعة من الحقوق والقوانين الفوقية التي سمحت بها الحكومة نتيجة لمجموعة من الضغوط التي مورست عليها في الأغلب الأعم من قبل الغرب بشكل عام ومن الجانب الأمريكي على وجه الخصوص. تلك الضغوط التي تهدف تقريب وجهات النظر الدولية حول مفاهيم العولمة. إن بعضاً من هذه الحقوق الفوقية ما جاءت إلا نتيجة لتوجيه اللوم لبلدان العالم الثالث والتلويح بالتهديد بقطع المعونات الإقتصادية[١٦٦]، إذا لم يتم تطوير مجموعة من الأفكار التي تتعامل مع بعض القضايا والتي من أهمها وعلى رأسها قضية المرأة العربية التي رُسمت لها صورة نمطية عامة التصقت في أذهان الغرب بسبب كتابات بعض الباحثين العرب أنفسهم وبسبب ممارسات الأنظمة العربية كما أسلفنا من قبل والتي لا تسعى بشكل حقيقي لتطوير وعي النساء بقضايا النساء وتُترك الباب مفتوحاً للجماعات المتشددة لأن تفرض أفكارها على المجتمع. وهكذا تُعقد الصفقات الواحدة تلو الأخرى لصالح رجال الدين ورجال السياسة والرجال بشكل عام والثمن تدفعه المرأة.[١٦٧]

---

165 عالم واحد تقدم ورقة موقف للمرأة المصرية في عيدها بعنوان: تاريخ حافل - وواقع مؤلم،

http://www.anhri.net/egypt/oneworld/2009/pr0317.shtml, 9/7/2009

166 كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد هددت بوقف المعونة الممنوحة لمصر إذا لم تتخذ خطوات حاسمة لوقف ختان الإناث، وإذا كان هذا هو حال الدولة فما بالنا بحال الجمعيات الأهلية التي تتلقى دعما ماليا أمريكيا فإنها غالبا ما تواجه ضغطاً قوياً وشروطاً مقيدة من الجانب الأمريكي في مقابل المال.

محمد الطواب: البروتوكولات الجديدة، الجزء الخامس: الختان والجدل القانوني،

http://www.alkalema.net/khetan/khetan5.htm , 5/7/2009

http://arabmag.blogspot.com/2007_09_01archive.html, 5/7/2009.

167 من الاحصائيات والأرقام التي تم رصدها في عهد الرئيس مبارك تدل على مدى تواضع مستوى المرأة المصرية ما يلي: تشير التقارير إلى أن نصف الذين يقومون بالتحرش هم من زملاء العمل و٢٧٪ منهم من رؤساء العمل و٢٣٪ من زبائن العمل. للمزيد ارجع ل:

ودائما ما كان يتم تجاهل أن المادة ٤٠ من دستور جمهورية مصر العربية لعام ١٩٧١ كانت تنص على أن المواطنين أمام القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة وذلك لأن المادة ١١ من نفس الدستور تضع بعض الحدود على تمتع المرأة بهذه الحقوق إذا كانت تتعارض مع الشريعة الإسلامية.[١٦٨] وعلى هذا فإن القانون يؤكد صراحة على مساواة المرأة بالرجل في ميادين الحياة العامة ولكن يتيح مجالا لإنكار هذه الحقوق أو يضيقها وفقاً لرؤية رجال الدين وفي نفس الدستور.

ويكفي أن نختتم كلامنا في هذا الفصل بمجموعة من الأرقام والحقائق التي تتكلم عن نفسها : في عام ٢٠٠٠ كانت نسبة الأمية بين البالغات في مصر تصل إلى ٥٦٪، يضاف إليها ما يحدث في حق الفتيات من ممارسات إجتماعية ونفسية ضارة تارة بإسم الدين وتارة لصون العادات والتقاليد البالية مثل إجراء عملية الختان خاصة في الريف المصري والتي مازالت تجد تأييداً من قبل بعض رجال الدين وبعض المشرعين على الرغم من أنها مسألة تخص الصحة ولا يجب أن يبت فيها إلا الأطباء الذين بدورهم إنقسموا بين مؤيد وبين معارض ربما خوفاً من الجماعات الدينية أو لأن بعض الأطباء الآن ينتمون للإسلاميين. أما مشاركة المرأة في القوى العاملة فلا تزيد حتى وقتنا هذا عن ٢١ ٪ وتتقاضى المرأة ٧٦٪ من الأجر الذي يتقاضاه الرجل في القطاع الخاص و٨٦٪ من راتب الرجل في القطاع العام. أما نسبة البطالة بين النساء في مصر فتصل إلى ١٩٪ مقارنة بنسبة ٥٪ من عدد الرجال. ولم تزد نسبة مشاركة المرأة وفقاً للبرلمان المصري السابق عن ٣٪ في مجلس الشعب و٦٪ في مجلس الشورى. أما في الريف المصري فإن وضع المرأة أسوأ من هذا بكثير، فلا تملك النساء إلا ٦٪ من الأراضي رغم أنهن يمثلن ٢٠٪ من العمالة الزراعية.[١٦٩]

---

النساء في ظل قوانين المسلمين، Women living under muslim laws,
http://www.wluml.org/arabic, /8/10/2009

[168] بمعزل عن العدالة.

[169] بمعزل عن العدالة : حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر،
http://www.hrw.org/ar/node/11889/section/3 5/8/2009

وتؤثر هذه النسب على مكانة المرأة في الأسرة وفي قدرتها على إتخاذ القرار. لقد تسرب اليأس إلى نفس الغالبية العظمى من نساء مصر خاصة المتعلمات، اللائي يحجمن عن المشاركة في نضال يخصهن. ويتندر بعض الرجال قائلين أن الحركة النسائية في مصر ينقصها النساء وأن المضطلعين بالحركة النسوية في مصر في أغلبهم من الرجال.

ووفقا لبيانات الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء يوجد في مصر حوالي ٣٢٣ جمعية أهلية تختص فقط بالنشاط النسائي يشترك فيها حوالي ٦٠ ألف عضو منهم ٤٤ ألفا و ٦٠٠ عضو من الرجال و ١٥ ألفا و٣٥٠ عضوا من النساء، أي أن نسبة الرجال ثلاثة أضعاف أعداد النساء في الجمعيات النسائية التي تشكل القاعدة الرئيسية للحركة النسائية في مصر. أما مجالس إدارات هذه الجمعيات والتي لديها سلطة إتخاذ القرار وتوجيه النشاط وصرف المساعدات فاغلب أعضائها من الرجال أيضاً. [١٧٠]

وكما تشير الإحصاءات فإن كل عدد أعضاء مجالس إدارات الجمعيات النسائية يبلغ حوالي ألفين و ٩٨٢ عضواً منهم ألفان و٤٨ رجلا والباقي من النساء أي أن الرجال يديرون نشاط الجمعيات الأهلية النسائية بأغلبية تتجاوز الضعف. [١٧١]

وبجانب تفاصيل الأرقام نشير إلى ما هو أكثر فالحركة النسائية تعتمد في وجودها على نوعين من النشاط: الأول خاص برعاية الأمومة والطفولة والثاني خاص برعاية وتنظيم الأسرة كنشاط أساسي للمرأة وهو لا يختلف كثيراً عن دور المرأة التقليدي في الحياة كما يرسمه لها المحافظون. [١٧٢]

لقد إستمرت السلطات المصرية حتى عهد مبارك في تكميم المجتمع المدني بالقانون ومن خلال تهديدها بإعتقال وسجن من يعارضون أو ينتقدون سياسات الحكومة علانية. وكانت مؤسسات المجتمع المدني في مصر كالأحزاب السياسية والجمعيات الأهلية والنقابات المهنية

---

[170] أحمد عادل هاشم: حتى في الأمومة والطفولة.. وتنظيم السرة الرجال يقودون الحركة النسائية في مصر، مركز الأخبار أمان، http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?ArtID=1424, 5/8/2009

[171] بمعزل عن العدالة، نضالات المرأة: مركز دراسات المرأة الجديدة.

[172] أحمد عادل هاشم: مرجع سابق.

والعمالية ووسائل الإعلام تواجه قيودا قانونية وسيطرة حكومية متزايدة، وقد أدى هذا بدوره إلى تعقب العامة والمدافعين عن القضايا الشعبية وتحظى المرأة على وجه الخصوص بالنصيب الأكبر من المهانة الإجتماعية خاصة من تختار الإنضمام إلى العمل العام الذي قل إحترامه تدريجيا على المستوى الشعبي.

وتبدي منظمة العفو الدولية قلقاً من أنه يزج بأشخاص في السجون المصرية دونما سبب سوى مطالبتهم بممارسة الحقوق التي تكفلها المعاهدات الدولية التي صدقت عليها مصر وأصبحت طرفا فيها.

ومن الطريف أن نقرأ أن الحكومة المصرية كانت قد اعتقلت مجموعة من المصريين ووضعتهم في السجون لأنهم "أصحاب رأي" وأصبحت التقارير تشتمل على مسميات غريبة وجديدة مثل "سجناء رأي" وكان سجناء الرأي هم طائفة إجرامية في الوقت الذي يحتجزون فيه لشهور دون توجيه إتهام محدد إليهم.

وكان المدافعون عن حقوق الإنسان ونشطاء الجمعيات الأهلية مستهدفين من جانب السلطات المصرية لنشرهم تقارير عن إنتهاكات حقوق الإنسان في مصر، كما تزايدت مخاطر تعرض الصحفيين لأحكام بالسجن منذ التعديلات التي أُدخلت على قانون الصحافة في عام ١٩٩٦.[١٧٣]

وكثيرا ما كانت السلطات المصرية تضع قيودا على المطبوعات تتضمن فرض رقابة عليها ومصادرة وحظر الصحف وهي ذات الأشياء المؤسفة التي تعرضت لها الكاتبة نوال السعداوي وغيرها من الكتاب والكاتبات.

ومما يؤسف له أيضا أن قانون الطوارئ كان قد أساء صراحة إلى بعض بنود العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية خاصة المادة ٩ منه والمعنية بتحريم الإعتقال التعسفي والمادة ١٤ الخاصة بمعايير المحاكمة العادلة. ويضاف إلى ذلك الإساءة إلى حرية الفكر المادة ١٨ وحرية التعبير المادة ١٩ وحرية تكوين الجمعيات والإنضمام إليها المادة ٢٢ . ويكفي أن

---

[173] توأم السلطة والجنس، ص ٢١٨.

نقول أن المادة ١٩ من قانون العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية الذي وقعت عليه مصر بالموافقة عام ١٩٨٢ تنص على الآتي :

*لكل فرد الحق في التعبير دون تدخل .

*لكل فرد الحق في البحث عن المعلومات أو الأفكار من أي نوع وإمتلاكها ونقلها بغض النظر عن الحدود وذلك إما شفاهة أو كتابة أو طباعة وسواء كان ذلك في قالب فني أو باية وسيلة أخرى يختارها .

*ترتبط ممارسة الحقوق المنصوص عليها في الفقرة ٢ من هذه المادة بواجبات ومسؤليات خاصة وعلى ذلك فإنها قد تخضع لقيود معينة ولكن فقط بالإستناد إلى القانون والتي تكون ضرورية :

- من أجل إحترام حقوق أو سمعة الآخرين .

- من أجل حماية الأمن القومي أو النظام العام أو الصحة العامة أو الأخلاق .

# الفصل الثالث

# كتابات نوال السعداوي والمرأة بين السياسة والدين

# كتابات نوال السعداوي والمرأة

# بين السياسة والدين

دكتورة نوال السعداوي من مواليد القاهرة، في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٠، وتخرجت من كلية الطب- جامعة القاهرة عام ١٩٥٤ ، وفي عام ١٩٥٥ عملت كطبيبة إمتياز بالقصر العيني وترقت في المناصب الإدارية في وزارة الصحة. وفي عام ١٩٧٢ فصلت بقرار من وزير الصحة بسبب آرائها وكتاباتها والتي كانت تنشرها في مجلة "الصحة". وكانت معظم آراء د. السعداوي والتي أثارت ضدها حفيظة رجال الإدارة في وزارة الصحة تتعلق بحال الفلاحين من فقر يتبعه تدهور في أحوالهم الصحية. وعلى غير المعتاد من بنات جيلها في فترة الستينات ألتحقت نوال السعداوي بجامعة كولومبيا في نيويورك وحصلت على درجة الماجستير في الصحة العامة عام ١٩٦٦.[١٧٤]

نوال السعداوي إحدى الكاتبات المصريات المناضلات في مجال حقوق المرأة منذ سبعينات القرن العشرين وحتى الآن. وهي الكاتبة/الطبيبة التي تعرف نفسها وتقول: "آمنت بأن مشرط الكاتب أحدّ من مشرط الطبيب، وأن الكتابة وحدها هي التي تستطيع أن تقهر الموت " nothing can defeat death like writing"[١٧٥]، ؟؟ وأن القلم وحده هو الذي يمكن أن يستأصل الأورام الفكرية ويقضي على الآفات الثقافية المتخلفة التي نشأت في المنطقة العربية حتى صارت حجاباً على العقل وأثقلت كاهل الشرق الأوسط بمزيد من التدخلات الأجنبية في ظل الهيمنة الإستعمارية الحديثة".

تعرضت هذه الكاتبة للسجن والتعسف من قبل رجال الأمن في فترة حكم الرئيس السادات، والذي تقول عنه أنها آمنت بصدق دعوته عن تحقيق الديمقراطية والعدل والكتابة بحرية دون خوف من السجن أوالمصادرة وما نالها من جراء ذلك التصديق إلا دخول السجن.[١٧٦]

---

[174] Nawal El Saadawi: God Dies by the Nile, zed books 1985, P 1 about the author

[175] Nawal El Saadawi: Walking through fire, P 3. zed Books 2002

[176] Nawal El Saadawi: Memoirs from the Women's prison. P 69

ثم تعرضت نوال إلى مواقف متشددة ورفض من قبل رجال الدين من الممثلين الرسميين في إدارة الأزهر أو من قبل المتشددين والمتحفظين من الجماعات الإسلامية بمختلف انتماءاتهم - رجالاً ونساءً - في عهد الرئيس حسني مبارك.

رُفع ضدها العديد من الدعاوي القضائية وأُتهمت بازدراء الأديان وتحريض النساء من خلال كتاباتها للخروج على الآداب والشرائع الإسلامية. تبنى بعض الإسلاميين رفع دعوى قضائية ضدها - قضية الحسبة - للتفريق بينها وبين زوجها د. شريف حتاتة، لأنهم إعتبروها ملحدة وناكرة للدين الإسلامي ، ووُضع اسمها على قائمة المطلوب تصفيتهم [١٧٧] بسبب الخروج على آداب الدين ووصلها العديد من خطابات التهديد بالموت.

صدر لنوال أكثر من أربعين مؤلفاً أعيد نشر العديد منها لأكثر من مرة وتُرجمت أعمالها للعديد من اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وغيرها من اللغات الأوروبية١٧٨. وقد قرأ كتبها العديد من القراء في أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى وبالطبع كتبها معروفة للقارئ العربي من الخليج إلى المحيط.

وقد منحتها العديد من الجامعات الأمريكية الدكتوراة الفخرية تقديراً لجهودها في مجال العمل النسائي وفي مجال الكتابة في مشاكل النساء وتعرية الإزدواجيات التي تحيط بالمرأة في العالم العربي، ومن هذه الجامعات: جامعة يورك York وجامعة إلينوي بشيكاغو Ilinois وسانت أندروز وترومسو St Andrews and Tromso

وقد يكون من المهم أن نعطي نبذة ولو مبسطة عن التكوين الإجتماعي والإقتصادي والسياسي الذي أحاط مبكراً بهذه المفكرة، والذي أثر بدوره في تشكيل عقليتها كإنسانة أولاً ثم كطبيبة وككاتبة.

نوال السعداوي كانت أكبر أخواتها البنات وهي الثانية في الترتيب بعد أخيها طلعت من جملة تسعة أولاد ست بنات وثلاثة أولاد من الذكور. تقول إن والدها كان مؤمناً بالعلم وبضرورة

[177] تسمى هذه القائمة بقائمة الموت والتي وضعت بمعرفة أعضاء من الجماعات الإسلامية المتطرفة، وهذا ما يخالف نص المادة ١٩ من العهد العالمي الذي وقعت عليه مصر بالموافقة عام ١٩٨٢. ارجع لنهاية الفصل السابق.

[178] Nawar Al-Hassan: Reading Arab Women. P 131

تلقي أولاده مقداراً مناسباً من التعليم إلا أن أمها بالذات كان لها الفضل الحقيقي في أن تكمل تعليمها العالي وقالت يوماً : إن إبنتي ليست خادمة لتترك تعليمها وتبقى معي في البيت لتساعدني". وعن أمها تقول نوال : علمتني أمي أن أمسك القلم وأكتب أسمي الذي عرفت أن معناه العطية أو المنحة ، ومن يوم أن تعلمت هذا على يدي أمي صار إسمي جزءً من حياتي ومن وجودي والفضل في ذلك لأمي على الرغم من أنني ولفترة طويلة إعتقدت أني أدين لأبي بالكثير ولكنني أكتشف مع الوقت كيف كانت أمي وراء إعتزازي بنفسي ووراء قدرتي على الدفاع عن حقوقي وعن حريتي أمام عماتي وخالاتي وكل أفراد الأسرة من الذين يعتقدون أنه لا يحق للبنت أن ترفع صوتها أو تجادل في أي من الأمور التي يقررها الكبار حتى ولو كانت تخص مصيرها[179] .

نوال السعداوي إبنة لأبوين من طبقتين مختلفتين : فأمها زينب هانم إبنة شكري بك ، سليلة إحدى الأسر الأرستقراطية القاهرية والتي ترجع أصولها إلى الأتراك. تلقت أمها تعليمها في المدارس الفرنسية حتى تزوجت مثلها في ذلك مثل أية إبنة من بنات العائلات العريقة التي لا تسمح لبناتها بإستكمال التعليم بعد الزواج. أما أبوها فهو ابن أسرة قروية بسيطة من كفر طحلة إحدي قرى محافظة القليوبية. أسرة بسيطة كانت تعولها الأم - الحاجة مبروكة أم السعداوي أفندي بعد موت الأب الاكبر أي جدّ نوال. وكان أبوها - السعداوي هو الولد الوحيد في الأسرة وله خمسة من الأخوات البنات اللائي لم يدخلن المدارس، وكان أول من تعلم من أبناء الفلاحين في قريته. وأكمل تعليمه حتى التحق بكلية دار العلوم ولم يعد يرتدي "الجلابية" مثل الفلاحين، بل أصبح يرتدي الملابس العصرية التي تتلاءم مع الحياة في القاهرة . وعملت الأم - الحاجة مبروكة جاهدة حتى يحصل إبنها الذكر الوحيد على التعليم الذي يعينه على أن يجد وظيفة مناسبة في المستقبل. ومنذ نعومة أظافرها خبرت نوال السعداوي ما يعنيه التقسيم الطبقي مما عاشته بين أفراد أسرتين مختلفتين. فأفراد عائلة الأم من الأرستقراط الذين يتقنون الكلام واللغات وإرتداء الغالي من الثياب بينما أفراد عائلة أبوها من الفلاحين الفقراء الذين يرتدون الملابس القروية البسيطة ولا يعرفون ما تعنيه الموضة أو الماكياج أو التحدث بلغات غير اللكنة القروية البسيطة ولكن نوال الإنسانة والمفكرة فيما بعد تعلن عن إفتخارها بأن

---

179 Nawal El Saadawi: A daughter of Isis. Zed Books.1999. P 2-3

تكون إمتداداً لهؤلاء القرويين من جانب عائلة والدها وتقول أن أهم الدروس في الفلسفة وفي الدين وفي السياسة تعلمتها من جدتها أم أبيها الفلاحة البسيطة والتي شاهدتها يوماً تشيح بيديها في وجه عمدة قريتها وتقول له : إننا لسنا بعبيد وأن الله عادل والناس عرفوه بالعقل. وكما خبرت نوال التقسيم الطبقي من خلال فرعي الأسرة عن طريق الأب وعن طريق الأم خبرت أيضاً ما يعنيه الفرق بين الأخ الولد والأخت البنت. فالولد أولاً في كل شيئ حتى في التعليم وهذا ما حدث مع أبيها الذي كان تعليمه على حساب أخواته من البنات اللائي لم يتلقين أي نوع من التعليم. أما ثاني التجارب التي قدمت نوال للفرق بين الولد الذكر والبنت الأنثى فكان في علاقتها بأخيها الذي كان على حد تعبيرها أقل جدية في الدراسة منها وكانت أمهما تقدمه في كل شيئ وتعطيه الأولوية لأنه ذكر. ولقد تركت ذكريات حكاوى الأسرة تأثيرها البالغ على أفكار نوال الإنسانة التي عرفت الإحساس الخفي بالألم عندما حكوا لها عن قصة ميلادها وكيف تم إهمالها حتى الإطمئنان على صحة أمها فقط لأنها أنثى. تقول نوال في كتاباتها أنها كانت تحلم بذلك اليوم الذي تخرج فيه من بيت العائلة. وعلى الرغم مما عاشته من حياة قد تكون أفضل من غيرها من بنات جيلها إلا أنها كانت تحلم بالحرية والإنطلاق. كانت تحلم بالعلم وبالعمل وما حلمت يوماً بالخروج من بيت عائلتها بالزواج كما كانت تحلم كل البنات في ذلك الوقت[١٨٠].

هذه هي نوال السعداوي التي سنقدمها في هذا الجزء من الكتاب. نقدمها كنموذج لإنسانة إمرأة إستطاعت أن لا تترك أي شيئ يمر حولها دون التفكير فيه ومحاورته ولذلك إستطاعت أن تكون مرآة عاكسة لظروف جيلها ولظروف الحياة في مصر. ولم تترك ما يمر بمصر من أحداث تشكلها الظروف السياسية والظروف الإجتماعية وقد تعكس مدى تأثير الدين في حياة المصريين بشكل عام وفي حياة المرأة على وجه الخصوص إلا وكتبت فيه. في هذا الجزء سنقدم نوال السعداوي نفسها بين الدين وبين السياسة، وسنقدم آرائها عن المرأة المصرية بين الدين والسياسة.

[180] Nawal El Saadawi: A daughter of Isis. PP 18-46

# نوال السعداوي وحق الإختلاف في الرأي

# بين السياسة والدين

"أنا أتمرد وأختلف في الرأي إذاً أنا موجودة"، هذا هو المبدأ والدرب الذي سارت عليه نوال السعداوي الكاتبة والإنسانة طوال مشوار حياتها كطبيبة وككاتبة وكإمرأة. من خلال التمرد والإختلاف ورفض كل ما هو سائد، قدمت نفسها وبرزت كذات مبدعة للوجود الذي حلمت به لنفسها ثم إختارته كواقع معاش. ويتبدى هذا جلياً من خلال صوتها الذي يكاد أن يسمعه القارئ عالياً من خلال كلمات كتبها ومقالاتها. وفي الواقع قد لا يجد القارئ فرقاً كبيراً بين صوت الكاتبة المتمرد في موضوعات كتاباتها العلمية البحثية والتحليلية أو بين صوتها المتمرد الثائر على لسان الشخصيات المصورة في كتاباتها الأدبية.[١٨١]

وإذا كانت معظم الكتابات النقدية التي تناولت أعمال نوال السعداوي قد ركزت على موضوع "الجنس في حياة المرأة"، منذ أن نشرت كتابها "المرأة والجنس عام ١٩٧٢" والذي تناولت فيه بالتفصيل ما يمارس في حق المرأة من قمع ومن تعذيب من خلال عادة الختان ومن خلال الحرص المجتمعي على ضمان عفة المرأة وإستخدام الطرق البلدية في الكشف عن هذه العفة على الملأ في ليلة العرس خاصة في الريف المصري. مجموعة من العادات البالية والجارحة في حق المرأة كتبت فيها نوال السعداوي وركزت على ما تسببه هذه العادات الضارة من الكثير من المشاكل النفسية التي تبقى في نفوس النساء حتى آخر العمر. وقد إعتبر البعض من نشطاء العمل النسائي أن كتاب المرأة والجنس لنوال السعداوي قد فتح حقبة جديدة في تاريخ العمل النسائي المصري والعربي.[١٨٢] وعلى هذا ركز المحللون والنقاد على كتابات نوال السعداوي في "المرأة والجنس" معتبرين أنه بعد أساسي في كتاباتها وقد يرجع ذلك أيضاً لما لكلمة الجنس من

---

[181] كانت أول رسالة تمرد كتبتها نوال السعداوي إلى الله عندما كانت صغيرة تشكوه إلى نفسه ولماذا فرق بين أبيها وأمها في المكانة.
Nawal El Saadawi: A daughter of Isis, ،zed books 1997, P 2 Nawal El Saadawi: The Reader, 1999. P 1

[182] ، Margot Badran: Egyptian Feminism in a nationalist century. Nawal El Saadawi. P4
Nawar Al-Hassan Golly: Reading Arab Women's Autobiographies. First Edition 2003. P 131

حساسية كبيرة في اللغة العربية وفي الفكر العربي- كأحد المحرمات أو الكبائر. وقد يكون التركيز على الجنس في كتابات السعداوي، لأن الكاتبة نفسها إستخدمتها وكررتها بالفعل في الكثير من كتبها.

إن قراءتي لكتب نوال تجعلني أقول أنني أرى أنه ربما قد يكون كتاب "المرأة والجنس" قد أسهم في فتح أعين النقاد والاكاديميين للإلتفات إلى ما تنادي به هذه الكاتبة والعودة لقراءة كل ماسبق وكتبت، ولكن ومن المؤكد أن أعمالها وكتاباتها جاءت إما كرد فعل للواقع السياسي المعاش سواء على مستوى الخبرة الذاتية للكاتبة نفسها في علاقتها بالدولة وإحساسها المرير كإنسانة تفقد حقوقاً وُتعاقب فقط لأنها تفتح فمها وتتكلم. وأرى أيضاً أن بعضاً من كتاباتها جاء كرد فعل مفكرة إمرأة ترى أن من حقها أن تعبر عن رأيها تجاه الأوضاع السياسية السائدة والتي يبدو فيها جليا عدم المساواة بين أفراد المجتمع، وخاصة تردي حال الفقراء والنساء على وجه الخصوص، وذلك بسبب الإنتقاص من حقوقهم في حين يتمتع الأغنياء ورجال السياسة والدين بكل شيئ. وأضيف إلى ما سبق فإن بعض كتابات السعداوي قد عبرت عن مواقفها اليقظة ورصدها لمحاولات تطويع الأفكار الدينية بما يخدم وينظر لوجهة النظر السياسية التي تمثل نظام الحكم. أو جاءت كتاباتها تمرداً وإنتقاداً لكل ما كان سائداً في الإعلام الغربي من صور نمطية ومشوهة عن المرأة العربية بوجه عام وعن المرأة المصرية على وجه الخصوص، ورصدها لنشأة الأفكار السلفية التي تهدف إلى إستغلال الدين في القضاء على كل ما يمت للأفكار الليبرالية الحرة والتقليل من شأن كل ما يمت لحقوق الإنسان بصلة وإتهام هذه الأفكار بأنها وافدة من الغرب، وإستحداث عادة التركيز على بعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الآيات المقتطعة من القرآن دون الإعتبار للظروف التاريخية والإجتماعية التي نزلت فيها الآيات أو قيلت فيها الأحاديث، وذلك عن قصدٍ لخلق حالة من تاصيل مبدأ "الدونية". ففي حالة التعامل مع قضية المرأة كان المقصود تكريس تدني مكانة المرأة في المجتمع ومحاولة تقليص أهمية دورها في العمل العام خارج بيتها والترويج إلى أهمية بقائها في المنزل كضرورة أساسية لصون الأسرة المصرية من التفسخ والضياع وكان الحفاظ على الأسرة هو مسئولية المرأة وحدها[183].

---

[183] صورت بعض الكتب العربية وغير العربية المرأة قبل الإسلام على أنها الموؤودة والمهانة والتي لا شان ولا مكانة لها في مجتمعها. وكيف أن المرأة كانت تتعرض دوما للعنف الجسدي والجنسي والنفسي في صورة انتقام لا مبرر له من انوثتها وجنسها وزادت هذه الكتابات

ولذلك فأرى أن التركيز فقط على موضوع "الجنس" في كتابات السعداوي ظلم وتجني بل وتجاهل لمكانة هذه الكاتبة في تحريك التمرد والثورة داخل القارئ والقارئة على السواء ضد القمع السياسي وضد التفسيرات الدينية السائدة في المجتمعات التي تدفع إلى إغلاق العقل دون أن يجرؤ الكثيرون من المفكرين أو الكتاب على التصدي لها صراحة وفي الوقت المناسب لطرحها، لما للمعتقدات الدينية وكل ما يتعلق بها من أفكار عامة ومن حساسية شعبية إستطاعت النظم العربية إستغلالها لخلق روح من العداوة الإنسانية بين فصائل المجتمع والعمد إلى أن يبدو الأمر وكأن الدين قال هذا، أو أنها شريعة الله وحكمه وتصبح على ذلك منطقة محرمة ممنوع الكلام فيها.[١٨٤]

إن محاولات التجاهل لدور نوال السعداوي لتعرية الإزدواجيات الفكرية في مجتمعاتنا العربية على وجه العموم وفي المجتمع المصري على وجه الخصوص من المحاولات التي أُريد بها محاربة هذه الكاتبة وأفكارها، ولكن لصلابة هذه الكاتبة ولقدرتها الفائقة على التكلم بصوت عالي لم تنجح هذه المحاولات كثيراً في كسر نوال السعداوي أو في تدميرها نفسياً كما حدث

---

وانتشرت بشكل متعمد خلال السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، مما كان له الكثير من الآثار السلبية على وضع المرأة العربية بشكل عام وكان الهدف المباشر منه الدعوة إلى عودة المرأة إلى البيت، أماني أبو الفضل فرج: قراءة في تقرير الأمم المتحدة عن العالم العربي. المرأة العربية في.. هل هي اشكالية حقا؟. اسلام اون لاين. نت- حواء وآدم- المرأة العربية في عيدها.
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695328363&p , 5/19/2009agena

من مذكرات إمرأة طبيبة اقتطع هذه الكلمات لإعانة الكاتب على تفهم آراء نوال السعداوي في التفرقة الاجتماعية بين الذكر والأنثى وكيف انهما يتحولان بفعل العوامل الاجتماعية وبفعل التنشئة إلى مجرد أجساد ونوع جنسي- ذكر أو أنثى؛

Nawal El Saadawi: Memories of Women Doctor. P 55-56

"From early childhood a girl is brought up to believe that she's a body and nothing more, so her body becomes her main concern for the rest of her life...............because men who hold the key positions in life, do not want women to be anything more than beautiful, stupid animals......."

[184] Fawzia Afzal- Khan, Forward by Nawal El Saadawi: Shattering the Stereotypes: Muslim Women speak Out.2005. P. x مقدمة الكتاب كتبتها د. نوال السعداوي مؤازرة منها لنساء ايران، وتعبر أيضا عن تقدير النساء الايرانيات لمواقف نوال السعداوي المناضلة في سبيل تحقيق العدالة الانسانية لنساء العالم، وربما ان نفس التقدير لا تحظ به نوال بين أهلها في بلدها مصر.

لغيرها من الكاتبات النسويات مثل درية شفيق ومي زيادة.[185]

فقد كتبت نوال كثيراً في خداع المجتمع للبسطاء بإسم الدين وغسل عقول الناس بإسم العفة بينما الساسة ورجال الدين المأجورين ينعمون بملذات الحياة. كتبت كيف يريد المجتمع للمرأة أن تتخفى وتنعزل بسبب العفة والشرف بينما ينعم الرجال بكل الحريات ويفعل مايريدون دون رقيب أو رادع. ثنائيات كثيرة فضحتها نوال السعداوي في كتاباتها متحدية السلطة - أي سلطة - قد تعيق إستقلالية المرأة في إتخاذها لقرارات حياتها المصيرية والتي أبسطها حق الفكر، وحق إختيار شريك الحياة، وحق التعلم وحق العمل[186] . إن كتابات نوال السعداوي في تعرية ثنائيات المجتمع هي أكبر دليل على مبدأها "أنا أتحدى - إذاً أنا موجودة" وقد تم التركيز إلى حد ما على مناقشة كتاباتها عن المرأة والجنس وإن كنت أرى أن ذلك نوع من الحرب ضد هذه الكاتبة وإستدراجها إلى منطقة المحرمات.

ومن الأمور الهامة التي تطرقت إليها الكاتبة من خلال أبحاثها وكتاباتها العامة كانت كيفية تكوين رجال الدين لثروات طائلة من جراء تحالفهم مع السياسيين والحكام على حساب الفقراء والبسطاء من الناس خاصة المرأة، وكيف أنهم حرّموا ما أرادوا وشرعوا ما أرادوا وفقاً للرؤية السياسية المفروضة من خلال نظام الحكم - ملكي، أو جمهوري إشتراكي، أو جمهوري رأسمالي. فهي ترى أنه ومنذ نشأة البشرية دائماً ما يكون هناك تزاوجاً بين الدين والسلطة ويكون الضحية هم الفقراء والنساء!!. وأبلغ ما كتبت نوال السعداوي في هذا الشأن وتلخص فيه تلك العلاقة بين رجال الدين ورجال الحكم أو السلطة وإن كانت بالطبع تشير إلى رأيها في عصر الرئيس المصري محمد أنور السادات خاصة بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل، وقد جاء رأيها في قصتها "الرواية" وفي وصفها لإحدى الشخصيات فتقول: "...هي إبنة الشيخ إمام الجمالي، الداعية الإسلامي الكبير. الذي أصبح نجماً إعلامياً بعد معاهدة كامب ديفيد. أصبح يملك الكثير حتى بدأت سلسلة إغتيالات السياح الأجانب. ثم تم القبض عليه في جرائم

---

[185] من المعروف أن درية شفيق ذات النشاط النسائي المتفوق في بداية القرن العشرين قد ماتت منتحرة بعد عزلها واعراض اصدقائها القدامى عن الاتصال بها. أما مي زيادة فانتهى بها الحال في مصحة الأمراض النفسية بعد أن كانت صاحبة أشهر صاون ثقافي في القرن العشرين.

[186] Nawar Al Hassan Golley: Reading Arab Women's Autobiographies. P 138.

تحرش جنسي بالإضافة إلى قضايا فساد سياسي، وقد قسمت أملاكه بين زوجاته القديمات والجديدات، وبين أولاده منهن والذي لم يكن يعرف عددهم."[١٨٧]

والكاتبة تقول في كتبها: "إن الكتابة بالنسبة لها كانت تنفيساً عن غضبها من جراء محاولات الإضطهاد والقمع الموجهان بشكل مكثف ضد المرأة وضد الفقراء" ويبدو جلياً من العبارة السابقة أن الكتابة بالنسبة لنوال السعداوي رد فعل يعكس حالة من تأجج الغضب لديها كإنسانة إمرأة تعاني من الإضطهاد ومن إنتقاص لحقوقها كإنسانة. وتصر في كل كتبها تقريباً على أن النظم السياسية هي التي فرضت هيمنة الرجل على المرأة كما فرضت النظام العبودي على الفقراء.[١٨٨]

وفي "الرواية" كتبت تقول على لسان إحدى بطلات الرواية: " لا يمكن لجروحنا أن تلتئم الا بالكتابة، لا شيئ يهزم الجنون أو الموت الا الكتابة."[١٨٩]

وفي موضع آخر تكتب: "لا يمكن لأي باحث أن يجري بحثا علمياً طبياً أو نفسياً في أي شيئ يتعلق بالمرأة إلا وبرزت أمامه الأفكار والتقاليد الدينية التي هي في أغلبها ليست من صميم الدين ولا في جوهره وكم يستخدم بعض الناس الدين سلاحاً مشهراً في وجه أي باحث أو باحثة عن الحقيقة. وعلى لسانها تقول: "لكني أشعر بقوة أمام هؤلاء الناس" و" ولم يكن أمامي شيئ أفعله سوى أن أستخدم العلم. إن العلم هو السلاح الوحيد في يدي أستطيع أن أستخدمه. إن العلم هو الذي يمكن أن يقف في وجه الجهل. ومنذ تلك اللحظة صممت على

---

[187] El Saadawi: The novel. P 52-53، حول قضايا المرأة والمجتمع والتنمية في منطقتي المشرق والمغرب
http://old.crtda.org/macmag/www/Arabic/newsletter_rassed_may01.htm, 5/7/2009

[188] Nawal El Saadawi: The Reader,zed books,1997, P 2

أول رسالة تمرد كتبتها نوال لله تشكو أبيه منه وتسأله لماذا يفضل أبيها على أمها ويفرق بينهما في نواهيه وأوامره.

Nawal El Saadawi: A daughter of Isis, 1999. P 1

Nawal Elaadawi: God Dies by the Nile.Zed Book 2007. In her Forward:

" my parents gave my brother more freedom and more food than me, though I was better at school..... when I asked why , they told me that it is God. I felt that God was unjust like the mayor and the king"

[189] أمل الجمل: نوال السعداوي في "الرواية". شخصيات تبحث عن الحب والحرية وأشياء أخرى، ص ٢.

http://www.arabworldbooks.com/Readers2005/articles/novel.htm, 5/7/2009

إجراء بحث علمي (نفسي وجسمي) عن ذلك المخلوق غير المفهوم الذي إسمه "المرأة"[190]، و"لماذا أضاعت أمي كل هذا الوقت لتلقنني كل دروس التفرقة بين الولد وبين البنت، بين الرجل وبين المرأة؟ ولماذا يفرض المجتمع على المرأة أن تتقبل خانعة فكرة أن الذكورة شرف وقوة وأن الأنوثة هي ضعف ومرتبة إجتماعية متدنية؟ ما هذا المجتمع؟ إنه كل الرجال من أمثال أخي الذي نشأ منذ صغره معتقداً أنه إله الكون."[191]

ومن كلماتها تؤكد نوال السعداوي الكاتبة والتي إختارت لنفسها دور المناضلة، على إستمرار مسيرتها في النضال منصبة من نفسها مقاتلا أمام هؤلاء الدعاة المنادين بالإقلال من شأن المرأة، وأنها ستقف أمام كل هؤلاء وستحاربهم بالعلم الذي أتاح لها أن تقهر ذلك الجسد/ الرجل، الذي صور لها في الصغر على أنه سيكون محور حياتها في المستقبل والذي بسببه قيل لها أن كل ما تتعلمه وكل ما تتلقاه من تدريب في حياتها لخدمة هذا الجسد المغطى بالشعر والذي يُقال عنه "الرجل".

وعن الدعاة المنادين بتفوق الرجل عن المرأة كتبت: "كأنهم سادة الأرض في العهود العبودية التي سخرت طاقة الفقراء والعبيد للسادة بإسم الدين". وتؤكد نوال مرة أخرى على أن المرأة بالعلم تستطيع أن تقهر قاهريها وتعريهم بالحقائق العلمية والتاريخية.[192]

وكتبت أيضاً في الساسة وفي رجال الدين: " لماذا يخافون المحاكمات العلنية؟ وإذا عرف الناس المستورهل يسقط المعبد على من فيه؟ وبجرأة تقول وتكتب عن "الأخوان المسلمين" وتصف كيف أنهم كانوا يتلقون تمويلاً مالياً في بداية القرن العشرين من الإستعمار البريطاني ومن الملك فاروق ثم من الحكومات المصرية المتعاقبة أما الآن فيمولهم الإستعمار الأمريكي.[193] وكتبت

---

[190] نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، مطابع المستقبل، الطبعة الرابعة ١٩٩٠، ص ١٠.

[191] Nawal El Saadawi: Memoirs of a Woman Doctor. PP 25-26

[192] الأنثى هي الأصل، ص ١٣، El Saadawi: A daughter of Isis.P 44

[193] نوال السعداوي: أدب أم قلة أدب؟ دار المستقبل، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص ٩.

اقترح مجمع البحوث الاسلامية التابع للأزهر برئاسة شيخ الأزهر الإمام سيد طنطاوي منع تداول رواية "سقوط الإمام" لنوال السعداوي مؤكداً أنها تتعارض مع ثوابت الإسلام بعد فحصها، وتضمنت الرواية إساءات بالغة للإسلام وتعاليمه. وقد دافعت نوال عن نفسها بأنها قصدت بالإمام السادات نفسه وذلك لأنه كان يطلق على نفسه صفة الرئيس المؤمن. للمزيد اقرأ: دفاعاً عن حرية الفكر والابداع. " الضبطية القضائية للأزهر مطرقة على حرية الفكر. تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان. القسم الرابع نوال السعداوي وجمال البنا.

أيضاً: "تحت إسم القضية الوطنية يتم تجاهل "القضية النسائية" ويصبح إسمها "القضية النسوية" ينطقون كلمة نسوية بازدراء، وسرعان ما يتجهون إلى إتهامها بانها مستوردة من الغرب، ضد الإسلام ويجب ألا تنشغل بها النساء من ذوات الوعي الوطني."[194] جاء رأيها في الإخوان وفي الإسلاميين في الوقت الذي قاموا فيه بإتهام كل دعاة الإتجاه النسوي وعلى رأسهم نوال السعداوي بأنهم دعاة الوثنية الجديدة التي تدعو إلى عبادة الالهة الأنثى.[195]

قد يرى البعض أن ما تفعله نوال السعداوي هو مجرد صوت عالي وتوجيه الكلمات والإتهامات للآخرين. ولكن وللحق يجب أن نعترف أنها أجبرت هؤلاء الآخرين أيا كانوا على الرد حتى ولو كان الرد سلبياً فيه إتهام وتجريح وبعيد عن الموضوعية. أفردت بمواقفها وكلماتها حتى وإن إختلفنا معها في طريقة تعبيرها مساحة للتعبير النسائي الحر. التعبير الرافض لكل ما هو مملى سواء من سلطة أبوية أو سلطة في العمل أو السلطة السياسية والدينية. ببساطة أسهمت نوال السعداوي في تحريك الساكن وتثوير العقول والتعبير الحر عن الرأي والرأي المخالف.

وقد يكون في تمرد نوال ولغتها الصادمة مبالغة أيدولوجية[196] يرفضها الكثيرون لأنها قد تكون أكبر من إمكانيات أبطال قصصها، أو قد تكون مقحمة على الموقف الدرامي، وأحيانا يصعب التفريق في كتابات نوال أو في مذكراتها مثلاً بين ما هو أدب وبين ما هو تقرير أو رصد يومي- مما يصعب عملية الربط بين المكتوب على الأوراق وبين الواقع الإجتماعي المعاش. فعلى سبيل المثال ومما جاء في كتبها نجدها كثيراً ما تربط بين النظام العبودي الطبقي وبين

---

http://www.eohr.org/ar/report/2004/re1021-4.htm

راجع أيضاً الحوار مع نوال السعداوي، نوال السعداوي والاعلام – منتدى الناقد الاعلامي.

http://naqed.info/forums/index.php?s=c0e2cea3c0b4d64905f0c64f8f814e0e&showtopics=7561, 5/19/2009. P 3

[194] نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس. ص ٢٣ – ٢٤.

[195] الهيثم زعفان: المجتمع المصري بين الحركة النسوية والمنظمات غير الحكومية ص ٦-٩، El Saadawi: The Reader. PP 73- 83

في هذا الكتاب حاولت بقدر المستطاع تجنب الدخول في اشكاليات المصطلح وما يعنيه النسوي او النسائي واكتفيت بالكلام عن النشاط النسائي لنني اشعر أنها تعبر افضلا عما طرحته في الكتاب من أفكار بعيدة عن تعريفات الجندر المختلفة.

[196] Nawar Al- Hassan. P 148، Suhair Majaj.P 57- 58

هيمنة الرجل على المرأة وكأن ما يحدث للمرأة في اللحظة الآنية من تجاهل ومن تدني مستواها الأدبي والتشريعي في عصرنا مرجعه إلى النظام العبودي الطبقي الذي صار وجوده مجرد كلمات على أوراق صفحات التاريخ وليس له أي أثر على حياتنا في ظل العولمة والفضائيات وشبكات الانترنت. أعرف أن الكاتبة تريد أن تقول أن أسباب تدني حال المرأة والفقراء قد تكون هي نفسها التي سادت في ظل النظام العبودي، ولكن قد يتطلب الأمر منها كما يتطلب من الكتاب والمفكرين استحداث أدوات تعبيرية جديدة ولغة بحثية جديدة للتعبير عن الآراء العلمية بعيدا عن المبالغة وإختيار الأمثلة النائية في أعماق التاريخ. وأستشهد هنا برأي مترجمة "مذكرات إمرأة طبيبة" - للنسخة التي نُشرت في لندن - كاثرين كوبهام Catherine Cobham والتي تقول عن هذا الكتاب: "إن مذكرات امرأة طبيبة هو كتاب سياسي إجتماعي أُحيل إلى رواية أدبية بعد إقتطاع مجموعة من الأسئلة المنمقة بلاغياً. هو مثل معظم كتابات السعداوي التي حُملت بالسياسة. وتضيف كاثرين أن السعداوي نفسها تقول: "أنه يصعب عليها أن تكون متعادلة بين الأسلوب الأدبي وبين الكتابة التقريرية عن أحداث وقعت بالفعل، حيث أنه يصعب عليها تجاوز أو التجرد من إبداء رأيها الشخصي - الوعي - الذي تريد أن توصله إلى قرائها، وأن الكتابة النسوية يصعب أن تخلو من السياسة أو تتجنبها، إذا أرادت النساء التغيير" ومن ثم فنوال السعداوي نادراً ما تنفصل عن ذاتها أثناء الكتابة"[١٩٧].

أحيانا يبدو وكأن نوال - الكاتبة في رحلة الرفض والتمرد وتفنيد وتحليل لبعض الثوابت والحقائق الدينية المتعلقة بالمرأة تنشغل ب "الضد - أنا أتمرد إذا أنا موجودة" كمبدأ - لمعركتها الشخصية، تنشغل عن جوهر الرسالة في تغيير حال المرأة إلى الأفضل وبهذا فبدلا من أن تكسب الأنصار لقضية المرأة تخسرهم بسبب موقفها الشخصي وصوتها العالي المتمرد، وقد يُؤول الأمر على أنه مسالة شخصية بحتة بين الكاتبة كذات متمردة وبين مَنْ يحيطون بها من رجال أو نساء. لأن ما ترفضه هذه الكاتبة وطريقة الرفض المتبعة، ليس بالضرورة هو ما يرفضه غيرها من الناس أو يقبلوه وبالطريقة التي تعالج بها أفكارها، خاصة من بين النساء أصحاب القضية الأساسية في كتاباتها، وعلى الأخص فيما يتعلق بالدين الذي هو كالماء والهواء في حياة المصريين وهي نفسها تقول أن المصريين يتنفسون الدين، وأيضاً على سبيل المثال كتبت نوال السعداوي عن

---

[197] Nawar Al- Hassan: Reading Arab Women. P 148.، نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص ٢٦ .

الذات الإلهية/ الله : " إن الله روح وليس جسد ، والجسد له جنس- مذكر ومؤنث ، لكن الله روح ورمز ، ومن المفروض أن لا يكون مذكراً أومؤنثاً" . وفي موضع آخر كتبت : " هناك علاقة تاريخية بين الإتجاه الروحي أو الديني في التاريخ وعبودية المرأة وظلمها ، لا يمكن الفصل بين الروح والجسد وإعتبار الروح أسمى من الجسد . وأن الرجل أسمى من المرأة لأنه يمثل الله على الأرض والله يُخاطَب بلغة المذكر في الأديان والكتب السماوية وجميع الأنبياء ذكور"[198] . فهي حتى ترفض فكرة الذكورة والأنوثة في اللغة العربية والتي تراها كانت لصالح تفوق الذكر على الأنثى ، وترفض أيضاً أن الأنبياء كانوا ذكوراً وتعتبر أن هذا يخالف العقل والمنطق.

أيضاً ساوت نوال في كتاباتها وآرائها بين مايحدث للمرأة العربية المسلمة الآن وبين ما كان يحدث للنساء في أوروبا في العصور الوسطى مما يثير ضدها الكثير من الحساسيات الدينية والفكرية ورفض أسلوبها في التفكير فمثلاً كتبت : " في العصور الوسطى كانت ظاهرة سمو الرجال وإنحطاط جنس النساء وإرتبطت بالفكرة الدينية التي نادت بأن الرجال حلفاء الله وأن النساء حلفاء الشيطان وأعطى ممثلو الله على الأرض وهم الكهنة لأنفسهم الحق في حرق وتعذيب النساء الساحرات اللائي يرفضن أوامر الله وبالتالي أوامر الكهنة والرجال"[199] . وفي كتابات أخرى لها تختص بالمرأة العربية المسلمة كتبت تندراً وسخرية وليس قبولاً : "كان الإمام يحكم بشريعة الله . رجم الزانية وقطع يد السارق وقطع لسان كل من يردد إشاعة الموت بالإشعاع وإلقاء الخمور في النهر" و " .. تقضي الشريعة بأن المرأة خُلقت من ضلع أعوج ناقصة العقل والدين" و" أي إمرأة تضبط وفي حوزتها ورقة وقلم تقدم للمحاكمة" و " خيانة الرجل مشروعة بامر الله لكن خيانة المرأة من الشيطان" و " اذا هجرت المرأة فراش زوجها ليلة واحدة تعلق من شعرها يوم القيامة وتحرق في النار"[200] .

وبالطبع تحولت هذه الكلمات التي ملأت بها كتبها من مجرد رأي عام إلى قضية فكرية شائكة ، كتب فيها الكثير وأولت تاويلات كثيرة وحملت بالكثير من المعاني الشائكة؟ التي كان من

---

198 نوال السعداوي : توأم السلطة والجنس ، ص ٩٤ .

199 نوال السعداوي : الأنثى هي الأصل ، ص ٤٨ .

200 السعداوي : سقوط الامام ، دار المستقبل العربي ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، ص ١١ ، ص ٥٤ ، ص ١٠٢ ، السعداوي : الحب في زمن النفط ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، ص ٦١ ، ص ١٢٩ .

الممكن تجنبها لو أن الكاتبة انتبهت إلى مَنْ تذهب هذه الكلمات وكيف يمكن أن تُفسر! والغريب أن الكاتبة لم تكتف بهذا بل تقول عن منتقديها بشكل عام: "أنا غير مسئولة عن أنصاف المثقفين الذين لا يفهمون ما أكتب، وأنصاف الصحفيين الذين ينشرون كلاماً ليس له معنى"، لأنها تتهمهم بتشويه كلماتها وتغيير تعبيراتها بما يُحمّلها بمعاني مخالفة لما تقصد فهي تقول ما تريد بطريقتها المعتادة دون أن تنتبه إلى ضرورة تحري الدقة في إختيار التعبيرات والكلمات في القضايا الدينية الشائكة على وجه الخصوص [٢٠١].

ولاتقف نوال الكاتبة عند هذا الحد بل تؤول كل قضية نسائية عامة تاريخية كانت أم اجتماعية أم سياسية ودينية إلى هيمنة الرجل على المرأة على الرغم من أنها هي نفسها تعترف بأن كل من الرجل والمرأة العربيان مظلومان في ظل أنظمة قمعية فرضت عليهما الفقر والحاجة والتخلف والعودة إلى الوراء. [٢٠٢]

وعلى هذا فمن يقرأ نوال السعداوي يشعر دائماً بأنها في حالة تأهب وثار ورد فعل معادي للظلم الإجتماعي الواقع على المرأة- من وجهة نظرها- من قبل دعاة وسياسيين تلحفوا بحجة الشرائع التي حللها وحرمها الله. ظاهرياً يبدو أنها تريد أن تثأر للمرأة التي تراها هُزمت على مدار التاريخ ومنذ الخليقة، ولكنها باطنياً تختار لنفسها دور البطلة [٢٠٣]، التي تتجرأ وتتساءل حول حقيقة عدالة الله الذي قدم الرجل على المرأة وقبل دفاع آدم عن نفسه لكنه لعن حواء كما لعن الحية في قصة السقوط على الرغم من أن أبطال قصة السقوط كانوا ثلاثة: آدم وحواء والحية. [٢٠٤]

---

[201] نقطة نظام: مع نوال السعداوي (كاتبة مصرية)- مركز الدراسات أمان. ص ٢.

http://www.amanjordan.org/aman_studies/vmview.php?ArtID=1265, 5/19/2009

[202] Nawar al- Hassan: Reading arab Women. P 158

[203] lisa Suhair: Gender, Naion, and Community in Arab Women's Novel. First edition 2002. P 51

[204] يرى رجال الدين الاسلامي أن نوال في سبيل طرح افكارها قد غفلت عن بعض الحقائق الدينية وأغفلت عن عمد الاستناد إلى بعض الآيات الدينية التي تشير إلى ادانة آدم مثله في ذلك مثل ادانة حواء: فمثلا أغفلت نوال أنه في ية العصيان قد جاء: "وعصى آدم ربه فغوى" وهنا ذكر العصيان قد جاء بالمفرد وليس بالمثنى وأُختص به آدم فقط. ويرى المفكر الاسلامي محمد عمارة في مسالة تعصب الإله للذكر على الأنثى كما جاء في كتابات نوال السعداوي وأن حواء هي التي أخرجت آدم من الجنة فإنها فكرة خاطئة من الأساس فحواء لم تغو آدم.

إن كتابات السعداوي في قصة السقوط من القضايا الشائكة والتي أثارت الكثير من الجدل حول كتاباتها ويتفق الكثيرون على معاداتها ورفض أفكارها متصيدين لها جرأتها على إنتقاد كتاب الله وإنتقاد موقف الله من سقوط حواء ولعنتها . ويرى هؤلاء المتصيدين المنتقدين للسعداوي أنه كيف لها أن تنتقد حكم الله الذي ساوى بين حواء والحية وقبل براءة آدم؟[٢٠٥] ، ويرون أن نوال لم تقرأ الآيات القرآنية بالعمق الكافي أو الرجوع إلى التفاسير الصحيحة التي توصل إليها الأفاضل من علماء المسلمين. وفي الحقيقة فإن رجال الدين من وجهتهم لا يعترفون بحق نوال الذي تطالب به وهو حريتها في قراءة القرآن وإعادة تفسير نصوصه مادام الإسلام لم يحرم أو يجرم حرية التعبير والتفسير ولذلك فنوال السعداوي دائماً ما تردد أنها مسلمة وقد قرأت القرآن عشرات المرات. وترد نوال السعداوي على دعاوي هؤلاء الشيوخ وتقول : "هناك محاولة اليوم لإعادة تفسير الآيات الالهية في الإنجيل أو التوراة أو القرآن وهناك مجموعات من النساء في جميع بلاد العالم يشتغلن بإعادة تفسير هذه الآيات بحيث تلغي الظلم الواقع على النساء وهي محاولات مطلوبة في هذه المرحلة الإنتقالية من الفلسفة العبودية / الطبقية الأبوية إلى فلسفة جديدة إنسانية تعيد إلى الإنسان الوحدة الطبيعية بين الجسد والروح وتقضي على الترتيب العبودي الهرمي للمخلوقات"[٢٠٦] .

وتقول "هند مصطفى" في ورقتها البحثية عن : الرمز الديني في نماذج من الرواية النسائية المعاصرة : كان نوال السعداوي تقيم بروايتها "جنات وإبليس" محاكمة للرب ، الذي أخرج المرأة كما أخرج إبليس من رحمته وتركها تتعذب تحت رحى السلطة الذكورية في كل زمان

---

فحواء في العهد القديم هي التي أغوت آدم ، أما حواء في القرآن فهي ليس لها دخل في خطيئة آدم ويستند على هذا الجزء من آية العصيان : " وعصى آدم ربه فغوى "ثم" اجتباه ربه فتاب عليه" ، من المناقشات التي دارت في ندوة حول الأدب النسائي الاسلامي :
http://muslimwomenstudies.com/session4-arab.htm, 5/6/2009,P 63

[205] El Saadawi: The innocence face of the devil. P 116- 117

[206] نوال السعداوي : توأم السلطة والجنس، ص Elizabeth Warnock Fernea: In search of Islamic Feminism: One Woman's Global Journey (New York: Doubleday, January 1998) P 416 ، محمد عبيد الله : المرأة العربية في الأزمنة الكلاسيكية ، محاولة في تفكيك الصورة النمطية . السبت ١٩ ابريل ٢٠٠٨ ، حضرموت الثقافية ،
http://saeedaljariri.jeeran.com/archive/2008/4/540442.html, 5//19/2009

ومكان. ونوال ترى أنه مادامت حواء لم يغفر لها وما دام إبن نوح عصى أبوه ولم يغفر له ومادام الشيطان خرج من الجنة وسقط لأنه عصي ربه ، إذا فالثلاثة متساوون في السقوط والخروج من رحمة الله إلا آدم الذي قبله ربه وبرأه[٢٠٧] .

إن ما تفعله نوال السعداوي هو ذلك التعبير عن الوعي الثائر للكاتبة التي تتمنى أن تكون به حرة في تعبيرها على أرض الواقع، وعلى مسؤليتها الشخصية تكتب في التصدي لثوابت قبلها الناس كما هي. ونرى أنه ربما يكون هؤلاء وببساطة وبفطرة إجتماعية مسالمة قد وعوا أن الخوض في تفاصيل هذه القصص الدينية قد يسبب البلبلة والتشتت أكثر من أن يخلق حلولاً وقبول التسليم بها على مر السنين كما هي "حتى يعيشوا" كما نقول بالتعبير الدارج.

دائما ما تحاول هذه الكاتبة فرض صوتها الذي يعلو ويشتد كلما اشتدت وطأة الظلم الواقع على المرأة، ومن خلال الكتابة، ولا يهمها حتى أن تكتب ضد الرموز الدينية أو التشكيك في مصدر القصص الدينية والتي ترى أن رجال الدين قد يكونوا إبتدعوها وإستخدموها للحط من شأن المرأة ومساواتها في اللعنة مع الحية في حين بُرئ آدم وقُبل دفاعه عن نفسه ، ففي كتابها "الأنثى هي الأصل" كتبت :

" وجلس آدم بينه وبين نفسه وكان فناناً قادراً على خلق القصص والروايات ثم خرج إلى العالم بقصة آدم وحواء الشهيرة في التاريخ .."، و"الذي يدرس الدين اليهودي كيف نشأ ولماذا ويتعرف على مبادئه وقصصه يندهش لكثير من الحقائق التي يطمسها التاريخ عن عمد

[207] هند مصطفى : الرمز الديني في نماذج من الرواية النسائية المعاصرة، ص54 ،
http://muslimwomenstudies.com/session4-adab.htm, 5/6/2009

"تلقى الرب من آدم كلمات فتاب عليه وحده". هكذا قال أبوها لأمها. نزلت الآية بالمفرد لا بالمثنى. "وفي آية العصيان استخدم الله المثنى لا المفرد، والله عليم باللغة وقواعد النحو". لا يمكن أن يستخدم المفرد أو المثنى في غير محله ويردد أبوها كلام الله قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة.. ولا تقربا هذه الشجرة فأزلهما الشيطان وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو". أي أن الله وحده هو المطلع بقواعد اللغة العربية وأصولها.+ جاءت نفس العبارات لنفس القصة في كتابين من كتب نوال السعداوي مرة ترويها وهي تتلقى العلم بالقرآن الكريم على يد أبيها عندما كانت طفلة صغيرة وفي الكتاب الآخر جنات وابليس الذي تُرجم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان براءة إبليس. Nawal: The Innocence of the devil, P 116,117

وعن غير قصد ونحن نقرأ في التوراة عن قصة لوط مثلا كيف أنه قدم بناته من أجل حماية رجلين. لقد إعتبر أن كرامة صديقيه من الرجال أعلى من كرامة بناته الأطفال وشرفهن"[٢٠٨] .

وفي كتاب آخر لها تقول : " نعرف جميعاً أن وضع المرأة متدنياً عن وضع الرجل وفقاً لشرائع الأديان السماوية الثلاثة ، وما كان هذا إلا لتاكيد تفوق آدم على حواء ، ومن ثم يجب على النساء الخضوع للرجال. إن التاريخ الإنساني يشهد على إستغلال المرأة والفقراء بواسطة الدين[209]" .

وهنا تشكك الكاتبة صراحة في نزاهة وحيادية النص الديني وأنه أُلف كغيره من الكتب التي تدعم مكانة الرجل وتفوقه على المرأة، مما يُغضب الكثيرون حتى من بين من تدافع عنهم في كتاباتها.

في حياة نوال السعداوي دائما ما يكون هناك "ضد". إذا حضرت مؤتمراً تكون ضد، وإذا كتبت فهي ضد. نادراً ما نقرأ لها إتفاقاً مع أحد أو مع فكرة اللهم إلا إتفاقها مع أفكارها هي فقط والتي تطرحها في كتاباتها - حتى وإن كانت سلبية- تطرحها بصورة بطولية فيها فخر وإعتزاز. فصوت "الأنا" عند نوال عالٍ جداً. وإذا حدث أن إتفقت مع شيئ أو مع فكر ما غالبا مايثير ضدها الكثير من روح الإختلاف لأنها غالبا ما تكون متفقة مع شيئ أو رأي أو قضية مثار خلاف، مثلما حدث بعد إعلانها إتفاقها مع الثورة الإيرانية الذي تضمنته مقدمة كتابها : "الوجه الخفي للمرأة- The Hidden Face of Eve" للطبعة التي نشرت في لندن عام ١٩٧٩"[٢١٠] . ذلك الإختلاف الذي جر عليها العديد من المشاكل وفتح أمامها أبواب النقد الملتهب ليس على مستوى النقد العلمي والأدبي فقط بل على المستوى السياسي أيضاً، مما إضطرها إلى تغيير مقدمة نفس الكتاب عندما نُشر ووزع في أمريكا. وينتقدها النقاد لذلك التحول ويتهمونها بأنها تكتب للغرب وأحيانا تلجأ إلى تغيير بعض الأفكار إذا نشرت بالإنجليزية لترضي وجهة النظر الغربية التي تريد أن تتقابل معها في منتصف الطريق.

---

[208] الأنثى هي الأصل، ص ٢٧.

[209] Nawal El saadawi: The Reader. P 15

[210] Lisa Suhair Majaj : Gender, Nation, and Community in Arab Women's Novels, 2002, P

Nawar Al-Hassan. Previous book P 131 ،41- 43

وأحتكم هنا لكلماتها التي أقتطعها من كتابها توأم السلطة والجنس: " تعودت دائما أنني لا أُدعى مرتين من أي جماعة في الغرب أو الشرق. أصبحت لي سمعة سيئة في الأوساط العليا بأنني أعبر عن نفسي دون خوف"[٢١١].

وإذا كانت كتابات السعداوي في أواخر الخمسينيات وخلال الستينيات أقل حدة وتشوبها مسحة رومانسية فإن كتاباتها الأدبية والبحثية خلال سبعينات القرن العشرين جاءت أكثر عنفاً وتحدياً شديداً لنظام الحكم في عهد الرئيس السادات وإنعكاساً لسياسة الإنفتاح التي بدأها وقراره بعقد معاهدة السلام مع إسرائيل وازدياد سطوة دول النفط وإستغلال أموال البترول في تمويل الجماعات الإسلامية، وأيضاً مع إعلان رجال الأزهر - الإسلام المؤسسي تأييدهم لسياسات الرئيس "المؤمن" محمد أنور السادات[٢١٢].

وتصنف نوال السعداوي ضمن جيل الكتاب اليساريين برغم من عدم إنتمائها لحزب سياسي معين[٢١٣]، إلا أن الكثيرين يرون أن أفكارها تتفق مع اليساريين في إستخدام الأدب والكتابة كسلاح ضد الممارسات القمعية لنظام الحكم، ولذلك فروح التفاؤل التي غلبت على كتابها الأول مذكرات طبيبة والذي نُشر عام ١٩٥٨، تختفي ليحل محلها روح التمرد والتحريض في كتبها التي نُشرت في السبعينيات وما بعدها[٢١٤]. ولأنها تريد أن تتبرأ من تصنيفها كيسارية فهي غالباً ما توجه لهم اللوم وترد على النقد بالنقد كما تفعل مع أي شيئ في الحياة!! ففي

---

[211] توأم السلطة والجنس ص ١٨٣.

[212] من المؤسف أن تمويل الجماعات الإسلامية والأنشطة المعادية للأنشطة النسائية من الأمور المعلومة لدى الجميع وتتناقشها الصحف وتعلن عنها صراحة خاصة الإشارة بأصابع الاتهام إلى المملكة العربية السعودية باعتبارها أهم جهة مانحة لنشاط الإسلاميين في مصر ولا يقف الأمر عند هذا الحد فقط بل تعتبر السعودية نصيراً أيدلوجياً لتلك الجماعات المتشددة، ويرجع الفضل لها في أغلب الأحيان في المساهمة في تاسيس قاعدة إقتصادية لبنوك وشركات إسلامية تخدم مصالح الإسلاميين المتشددين على أرض مصر.+عزة كرم: الفصل الثالث ص ١٠٢،

Mona Eltahawy: Muslim Women Caught between

ويذكر أنه في عام ٢٠٠٢ ماتت ١٥ فتاة سعودية في مدرستهن بسبب حريق شب في المدرسة ورفض رجال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتح الأبواب للفتيات لأنهن بلا غطاء على رؤوسهن. ماتت الفتيات ضحية قوانين عرفية منزوعة الانسانية وبعيدة كل البعد عن مرضاة الله وشرائعه. Nawal El Sadawi: The reader Zed Books, 1997, PP 40, 43،

[213] El Saadawi: Walking Through Fire. P 206, El Saadawi: Memoirs from the women's prison. P 158- 159

[214] Suhair Majaj: Gender, Nation, P 56

حوار معها لقناة الجزيرة قالت نوال عن الماركسيين: "أنا أعترض على كثير من اليسار. الرجال الماركسيين واليساريين يبدون متقدمين طبقياً وضد القهر الطبقي، ولكنهم مع قهر المرأة ولهم نظرة دونية للمرأة وهذا عيب في اليسار العربي عموماً" وطبعاً هنا تعمم نوال رأيها في اليساريين وكأنهم جميعاً على نفس القدر من الفكر ومن ممارسته [215].

أصبح مجال "الضد- أنا أتمرد إذاً أنا موجودة" الذي يميز نوال ككاتبة وكمفكرة أوسع وأجد منذ السبعينات عنه في الستينات من القرن الماضي، خاصة بعد الإحباطات المتوالية للنظام السياسي بعد الثورة وبعد هزيمة ١٩٦٧. إرتفع صوت نوال مثل غيرها من الكتاب والباحثين ضد سياسة عبد الناصر، ولكن عبد الناصر لم يعش طويلاً بعد النكسة وحل محله في الرئاسة محمد أنور السادات. ومنذ السبعينات تحديداً إتسع مجال كتابات نوال السعداوي ليصل إلى أوج تمرده بالكتابة ضد السلطة السياسية ورجال الدين- خاصة من يمثلون الدولة أو مَنْ أسموهم دعاة الإسلام المؤسسي- الأزهر، وتحديها لدعاوي الإسلاميين المتشددين المنادين بعودة المرأة إلى البيت- فضلاً عن كتاباتها ضد أنظمة الحكم العربية وكتاباتها ضد التدخل الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط ومناصرة إسرائيل على حساب القضية الفلسطينية [216].

وتقول نوال: "كنتُ أتلقى مكالمات تليفونية طوال اليوم في الليل أو في النهار. أصوات غريبة لرجال غرباء يوجهون إليّ الإهانات والشتائم بعربية فصحى وبعامية مصرية أو بعامية سعودية أو كويتية أو جزائرية. وبالبريد تصلني رسائل التهديد، وفي واحدة من هذه الرسائل أُتهمت بالهرطقة، وبانني عدوة الإسلام، وأنني من أتباع الشيطان وأستحق الموت. وأن شعار رفع الحجاب عن العقل والذي تتبناه "جمعية تضامن المرأة العربية"- التي كانت ترأسها- هو ضد المبادئ وضد الدين" [217]، وتوضح كلمات نوال وببساطة موقف الإسلاميين منها كإنسانة وكمفكرة وكناشطة في مجال العمل النسائي. إنه المناخ العام الذي عاشته هذه الكاتبة وعاشته كل إمرأة في مصر خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، حيث إرتفعت الأصوات

---

[215] حوار مع نوال السعداوي لقناة الجزيرة. مرجع سابق ص ٨.

[216] حوار مع نوال السعداوي: نوال السعداوي سيرة متمردة.

http://www.aljazeera.net/NR/exrexs/3FE6d7FF-9C36-46B5A2-65EBFCC93D7.htm

[217] Nawal el Saadawi: Walking Through Fire, Zed Book, 2002, PP 17- 19

الذكورية وبشدة ضد المرأة خاصة مَنْ لها صوت في مجال العمل العام أو مَنْ تنادي بالمساواة بالرجل، فصوت المرأة من وجهة نظر هؤلاء الذكور"عورة" خاصة وأنهم وجدوا في الإسلاميين نصيراً لتوجيه الضربة القوية ضد المرأة وضد أي نشاط نسائي[٢١٨].

من جهة أخرى أتاحت مهنة الطب وممارسة الطب النفسي على وجه الخصوص فرصة كبيرة لنوال السعداوي للتعرف على خبايا كثيرة في المجتمع المصري خاصة في حياة المرأة سواء في الريف أو في المدينة، ووفرت لها مادة أثرت كتاباتها العلمية، الأدبية. ونشرت نوال الطبيبة العديد من المقالات والأبحاث العلمية في أسباب القمع والقهر الإجتماعي وأثرهما على حياة المرأة الصحية والنفسية. كتبت الكثير وفضحت كل مَنْ أثروا من زملائها الأطباء على حساب الفقراء ومن دمائهم، كتبت الكثير ضد كل مَنْ ترك مهنته وتقلد منصباً سياسياً ليحقق الجاه والسلطان[٢١٩].

وربطت نوال في أبحاثها العلمية بين الفقر والجهل وأثرهما السلبي على حياة البسطاء ليس فقط في واقعها الذي تعيشه بين الناس بل ذهبت لأعمق من هذا في البحث في كتب التاريخ، واجتهدت في ربط ما وصلت إليه من نتائج بما جاء في كتب الأديان السماوية الثلاثة عن العلاقة بين المرأة والرجل والنبش فيما وراء جذور إنتشار فكرة أزلية تفوق الرجل على المرأة. نجحت في إبراز أشياء وأخفقت في أشياء أخرى ولكن ومما لا شك فيه أنها أثارت ضدها رجال الدين بالدرجة الأولى وذلك لتعرضها لنصوص قرآنية أُعتبرت ركائز أساسية في التشريع الإسلامي[٢٢٠]، ومن ثم بدت كرافضة للشرائع الدينية لا كعاملة مجاهدة في سبيل تغيير مفهوم التعامل معها وتأويلها بما يتناسب مع روح العصر. وطبعا كما أغضبت أفكارها رجال الدين

---

[218] El Saadawi: walking through fire. ،Nawar: Reading Arab Women. P 162 - 163

[219] Nawar Al- Hassan Golley: Reading Arab Women's Autobiographies Shahrazad Tells Her Story, TX 2003, P 132, P 188، تقول نوال في كتابها الوجه الخفي لحواء: اظهرت لي التقارير الطبية أن معظم المرضى النفسيين كانوا من طلاب المعاهد الدينية أو من بين الذين يدرسون مادة الدين. للمزيد في هذا الشان اقرأ:
El saadawi: The Hidden Face of Eve. 1980. P 21.

[220] استخدمت نوال السعداوي أيتي العصيان والغفران من القرآن الكريم لتعلن تمرد المرأة على الله الذي حرمها من الجنة كما حرمها على ابليس فصارت تبحث هي بتمردها عن جناتها. جاء ذلك في الرواية الأدبية جنات وابليس وكتاب الوجه العاري للمرأة العربية، أو the hidden face of eve

أغضبت أفكارها بعض السياسيين الذين حاربوها علانية، بينما تعالى البعض الآخر حتى عن الالتفات إلى كتاباتها أوحتى التشجيع على تبني تقييمها وتصنيفها علمياً وأدبياً. وتشير نوال صراحة في كل كتبها إلى تزاوج السلطة والدين لخنق الناس خاصة في المدن الكبرى مثل القاهرة التي من وجهة نظرها وعلى حدّ تعبيرها تسبح على بركان نار مشتعل[٢٢١]. وكما قلنا سلفاً أن هذه الكاتبة ركزت كثيراً في كتاباتها على أن المرأة والفقراء مظاليم السلطة الدينية والسلطة السياسية على السواء[٢٢٢]، وإستخدمت هذه المادة العلمية والبحثية في كتاباتها الأدبية دون كلل ودون إستثناء، بمعنى أنها سخرت أبحاثها وكتاباتها العلمية لخدمة كتاباتها الأدبية سواء في القصة القصيرة أو الرواية أو حتى في مذكراتها، فهي تؤمن بأن الكتابة في الأدب تنبع من الوعي لا من اللاوعي كما يعتقد كل الأدباء والمنظرين، ولا يهمها قبول أو رفض أسلوبها في الكتابة بهذا الشكل[٢٢٣]، وعلى هذا اُتهمت هذه الكاتبة بفرض أيديولوجيتها الخاصة على قرائها.

من كتاب "مذكرات امرأة سجينة" أنقل للقارئ بعضاً من كلمات نوال السعداوي التي قالتها عن حياتها العملية في مصر ثم رأيها في تجربتها في العمل للأمم المتحدة: "منذ شتاء ١٩٧٢ وأنا أشعر بالغربة والتغريب في بلدي. لماذا؟ بسبب كتاباتي غير التقليدية والتي تحمل أفكاراً جديدة وبسبب محاضرة واحدة ألقيتها في كلية طب عين شمس. بسبب أفكاري عن المرأة والمجتمع والطب والأدب والسياسة. لأنني تجرأت على الكلام في كل هذه الأمور وقمت بالربط فيما بينها وبين الحال المتردي الذي تحياه المرأة المصرية. لقد كتبت ما أومن به وطرحت أفكاري علانية أمام طلاب وطالبات.. محاضرة واحدة أثارت ضدي غضب وزير الصحة ونقابة الأطباء ودور النشر المصرية ووضع إسمي على القائمة السوداء.. "عملت في الأمم المتحدة لأحرر نفسي من العمل الحكومي ولكني وجدت الحال في الأمم المتحدة ليس بأفضل من العمل في الحكومة المصرية.. لأنه وببساطة العاملون في الأمم المتحدة يخشون أن يفقدوا دواخلهم الشهرية مثلما يفعل الموظفون لدى الحكومة"[٢٢٤]. وعلى لسان بطلة كتابها "امرأة عند نقطة الصفر" تقول: "

---

[221] Nawal El Saadawi: The novel. 2009. P 16

[222] El saadawi: The Hidden face of eve. P 51

[223] Nawal: The novel p 173، Nawar Al- Hassan: Reading Arab Women's, P134

[224] Nawal El Saadawi: Memories from the Women's prison, 1982. P 3, The reader P 58

وقلت لرجل البوليس أنني لا أعرف شيئا عن الوطنية وأن الوطن لم يعطني شيئا بل سلب مني كل شيئ حتى شرفي وكرامتي والغريب أن رجل البوليس صُدم بكلامي صدمة حقيقية أخلاقية فكيف يمكن لشخص أن يفتقد المبادئ الوطنية؟ وضحكت من المفارقة والإزدواجية الأخلاقية"[٢٢٥] .

في كل كتبها تطرح نفس القضايا التي تعرف مسبقاً أنها ستثير الكثيرين ضدها ، وبشكل موجه وشبه متعمد، وربما تعيد نفس العبارات في حركة دائرية محكمة - فإذا قرأت لها أكثر من كتاب فلابد أن تصطدم بالكثير من العبارات والأفكار التي تشعر أنك قرأتها من قبل وفي موضع آخر من كتاب آخر- وكأنها بذلك تجبر من يقرأ كتبها على حفظ ليس فقط نتائج أبحاثها كما تراها هي، بل حتى تعبيراتها اللغوية ، للتأكيد على الإستماع إلى صوتها المتمرد عبر كلماتها الصادمة والتي منها أختار: "قررت أن أخوض معركتي وأن أعيش من كدي الذي أربحه من عملي وأن أواجه المجتمع واقفة على قدمين من حديد"[٢٢٦] .

وبالفعل فإن نوال السعداوي صمدت أمام كثير من المحن بقدمين من حديد ويحق لها أن تفخر بذلك بغض النظر عن إتفاقنا أو إختلافنا معها . وذلك لأنها إجتهدت وتعلمت ودخلت المدارس وحصلت على أعلى الدرجات التي أهلتها للتعليم المجاني لأنها كانت من الطلاب المتفوقين، في وقت كانت فيه فكرة تعليم البنات شبه مستحيلة بين المصريين. وهي بالفعل لها أن تفخر وتعتز بعائلتها وبوالدها على وجه الخصوص الذي أتاح لها كل ما يمكن أن يدعمها علمياً . وبسبب إعتزاز هذه الكاتبة الشديد بطبيعة نشأتها وتفردها عرفت كيف تستخدم صوتها العالي من خلال الكتابة المعارضة أو أمام الميكروفونات لرد الضربات التي تتلقاها والتشكيك في نزاهة من يتناول أبحاثها بالتحليل أو النقد السلبي أياً كانت الشخصية التي تتعامل معها أو ترد عليها من بين الكتاب العرب ومن بين رجال الدين ومن بين السياسيين. بل وتحلت بجرأة أحياناً تُحسب لها وكثيراً ما تُحسب عليها ، وإتهمت مَنْ يخالفها الرأي أو مَنْ يعاديها بعدم الموضوعية وبعدم القدرة على تفهم إبداعاتها التجريبية بمثل ما تفهمه الكتاب والنقاد في

225 نوال السعداوي : امرأة عند نقطة الصفر، ص ١٠٠ .

226 Nawal: Memories of a Woman Doctor. P 79

أوروبا وأمريكا[٢٢٧] . ولم تقف عند هذا الحد بل كعادتها في ممارسة مبدأ "الضد" وكرد فعل غاضب من جانبها ضد كتابات النقاد العرب أعلنت أنها صارت لا تكتب لمن لا يفهم أعمالها حتى وإن كانوا عرباً ودائماً ما تردد المثل الشعبي الشهير "ليس لنبي كرامة في وطنه". ونجحت السعداوي في كسب مؤيدين من النقاد والكتاب في الغرب وهم بالطبع من بين المتشككين والمشككين في نزاهة الناقد العربي بإعتباره متحيزا لكل ما هو ذكوري ولا يؤمن بعدالة القضية النسوية[٢٢٨] . وتضيف نوال عن نفسها : " إن سمعتي الوطنية وشرفي الأدبي كإنسانة هما بمثل الحياة ذاتها لنفسي. فأنا لم أرثهما عن أب أو جد، ولم أصل من خلالهما إلى سلطة أو منصب ذو رفعة، ولكنني بنيتهما على مدار سنوات طويلة من الصراع والكفاح والعزيمة، ومن خلالهما كونت إسمي "نوال السعداوي": الكاتبة المصرية، التي يُعرف عنها سواء في مصر أو في العالم العربي أو الغربي أنها صاحبة القلم الحر، والفكر الشجاع[٢٢٩] .

هكذا صارت نوال السعداوي هي نفسها حالة سياسية أدبية وفكرية تثير الكثير من الجدل والإختلاف على المستوى العربي- العلماني والمحافظ على السواء- بل وعلى مستوى أوروبا وأمريكا أيضاً[٢٣٠] . فهي المفكرة والكاتبة الإمرأة المرفوضة في وطنها والضحية لنظام ذكوري متعنت لا يحترم عقلية المرأة المتعلمة، وهي أيضا المناضلة الثائرة في وجه التخلف والنظم القمعية، والتي إستطاعت أن تخرج بمؤلفاتها المُصادرة في بلدها، إلى أوروبا وأمريكا، وتُستقبل أعمالها بكل الإحترام وتحظى بالنقد المؤيد البناء، وهي أيضا الكاتبة العربية التي تُرجمت كتبها للعديد من اللغات ويقرأها العديد من الناس في العالم كله من مختلف الأعمار والثقافات، وهي الطبيبة التي تؤمن بالعلم ويقف ضدها الإسلاميون ويريدون إما تصفيتها أو تطليقها من زوجها. وكما رفعها بعض النقاد الغربيين إستغلها البعض الآخر ومن خلال ما كتبته لتكريس فكرة مدى التخلف الذي تحياه المرأة في ظل المجتمعات العربية ومن ثم تعميم وإبراز الصورة السلبية عن المرأة المسلمة تحديداً والتي إنطبعت في أذهان الغرب وإتخذوا من كتاباتها

---

227 Nawar Al- Hassan. P 147، حوار مع نوال السعداوي لقناة الجزيرة مرجع سابق، ص ٣.

228 Suhair Majaj: Gender, Nation, and Community PP 60& 61

229 El Saadawi: Memories from Women's Prison. P 188- 189

230 El Saadawi: The reader. P 25

دليلاً على آرائهم.[٢٣١]

ولعل نوال السعداوي قد تداركت جوانب مشكلة إستغلالها وإستغلال كتاباتها كسلاح ذو حدين. أولهما إستغلال قدرتها ككاتبة إمرأة في التعبير الحر عن نفسها في بلاد متحفظة تدفعها أنظمتها إلى السير إلى الوراء والدفاع بضراوة عن أعمالها وفتح المنافذ لنشرها داخل الوطن العربي وخارجه ، وثانيهما كيف أُستغلت كتاباتها في فضح المستور والكلام في المسكوت عنه في قضايا خاصة مثل الختان وقوانين الأحوال الشخصية في التاكيد على الحياة السلبية التي تعيشها المرأة العربية ، بما تكشفه عبر صفحات كتبها من سلبيات تغلف حياة المرأة العربية بوجه عام والمرأة المصرية على وجه الخصوص. وهي نفسها تعترف بأن الإعلام العربي إستغل طرح إسمها في الإثارة وخلق جو من التشكك في أمانتها العلمية والأدبية[٢٣٢] .

أدركت نوال وبحسها النقدي أن ما يكتب بحرية في مصر وُيرفض وُيصادر مثلما قدُ يعبّر عن الجرأة وعن عدم السكوت على المسكوت عنه قدُ يستغل ضد فكرة الأصالة الإسلامية خارج مصر بل وداخلها أيضاً من قبل المعارضين لها ولأفكارها داخل وطنها الذين إتهموها بالتغرب وبالكتابة إلى الغرب وأمريكا ، هذا بالإضافة إلى إستغلالها من قبل المؤيدين لها في الغرب الذين رأوا فيها نافذة على مشاكل المرأة المصرية المهانة والتيُ يراد لها التراجع إلى الوراء في ظل الشريعة الإسلامية. ولذلك نجدها هي نفسها تنتقد الغرب في حواراتها وتتهم النشطاء الغربيين بالجهل بالعالم الثالث وبشئون المرأة على وجه التحديد وبقيامهم بالتركيز على معاناة النساء في الشرق الأوسط من الناحية الجنسية والعنصرية النوعية دون متابعة العلاقات المتشابكة بين مشاكل الطبقات الإجتماعية والحالة الإقتصادية ودور الإستعمار في تكريس

---

231 Suhair Majaj.Ibid p 63& Margot Badran and Miriam Cooke: Opening the Gate, 1990. P. 388

جاءت النظرة العامة للنساء في الشرق على انهن مهانات ومهدر حقوقهن من قبل الإسلام ومن بعد الإسلام. من قبل الإسلام بسبب الصورة السلبية التي رسمها الكتاب العرب المتشددون عن المرأة الموؤودة المهانة التي رفع الإسلام من شانها ومن بعد الإسلام بسبب الصورة التي تسود في الغرب على أن المرأة العربية مهانة ومكانتها متدنية في العالم العربي بسبب الحجاب والتشريع الإسلامي — ليس العقيدة الإسلامية — ذلك التشريع الذي يُعتقد أنه حد من حرية المرأة ومن حصولها على حقوق المساواة بالرجل.»

Women and the Law in Islamic Societies: Legal Responses to Domestic Violence in Saudi Arabia and Morocco. By: Cybele Cochran

232 نقطة نظام: مع نوال السعداوي (كاتبة مصرية) نفس المرجع السابق. ص ٣.

دونية المرأة وإستعبادها للرجل.[٢٣٣]

أدركت نوال أن الأمر أكبر من رجل وإمرأة، وهي في إنتقادها للغرب تقر بأن ما يُسمى بدول العالم الأول أو نشطاء العالم الأول دائما ما يسعون بدورهم لتكريس دونية العالم الثالث لإقرار تبعيته لدول العالم الأول وتكريس قوامة العالم الأول على العالم الثالث وفرض التطور والتقدم من وجهة نظرهم هم. ببساطة بدأت تطرح أن فكرة القوامة موجودة حتى في سياسة العالم المتقدم الذي يسعى لفرض الهيمنة على دول العالم الثالث من خلال قضايا الثقافة والأصالة والمرأة وغيرها من القضايا الثقافية الحضارية[٢٣٤]، بمثل ما يفعله الرجل العربي مع المرأة العربية ومحاولة فرض قوامته عليها فهي لا تفرق بين القوامة السياسية لدول العالم الأول على دول العالم الثالث وبين قوامة الرجل العربي على المرأة العربية.

وبعد قيام الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩ أخذت كتابات السعداوي أبعاداً جديدة وفي إتجاه بدا معه أنها تدافع عن الإسلام ضد الإمبريالية الأمريكية الجديدة وضد الأصوات الأمريكية المعادية للإسلام وبدأت تتبنى المناداة بأن الإسلام ليس المسئول عن تردي حال النساء العرب أو في العالم الإسلامي مثلها في ذلك مثل أصوات الكثير من الكتاب العرب الذين تبنوا الدفاع عن صورة الإسلام[٢٣٥]، مما أوقع الكثيرون من قرائها سواء من العرب أو من قرائها في الغرب في التشكك ورفض مساندتها وتاييدها للثورة الإيرانية بل ورفض آرائها التي ارتأوا أنها أصبحت تتشابه إلى حد ما مع آراء الإسلاميين المتشددين أو السلفيين. فعلى الرغم من أنها وفي كثير من كتاباتها خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين قد قدمت نفسها بما يشير إلى أنها علمانية وما يُشير إلى عدم إيمانها أو تسليمها بدون إعمال العقل بما جاء في الكتب

---

[233] Nawal: The reader. P 27، نوال السعداوي والاعلام - منتدى الناقد الإعلامي،
http://naqed.info/forums/index.php?s=c0e2cea3c0b4d64905f0c64f8f814e0e&showtopic=7561, 5/19/2009.

[234] Lisa Suhair Majaj: Gender, Nation and community in Arab Women Novels. P 40- 42

[235] El Saadawi: The Reader. P 42

إنه نفس الكلام الذي كان يقوله الشيخ الشعراوي وسيد قطب ويربطون بينه وبين السلوك غير الأخلاقي للتوجهات النسوية ما بعد الكولونيالية ويؤكدون أن هذه التوجهات المقصود بها محاربة الاسلام وبث روح العداء ضده باشاعة انه دين يدعو إلى تخلف المرأة وحرمانها من حقوقها المساوية للرجل. للمزيد إقرأ: عزة كرم: مرجع سابق. ص ٣١، ص ٣٦.

السماوية الثلاثة بل ودائما ما كانت تتعمد السخرية من التسليم ببعض القصص التي جاءت في الكتب السماوية وتتهمها بانها تكريس لقوة الرجل وفرض قوامته على المرأة بل والذهاب إلى اتهام عقلية الرجل بابتداع معظم القصص الدينية على مر التاريخ وكتبت الكثير في التعبير عن آرائها في هذا الإتجاه. ثم نجدها في الثمانينات تحاول أن تدافع عن الإسلام وعن الأصالة الإسلامية بإعتبار نفسها مواطنة مسلمة تؤمن بان الإسلام أمن للمرأة حقوقها كاملة من خلال الشريعة الإسلامية التي "حُرفت أو انحرفت" عن مسارها الصحيح لتكون في صالح قوامة الرجل على المرأة[٢٣٦] . وحتى في قصتها الحديثة "الرواية" التي صدرت في عام ٢٠٠١ ، تؤكد نوال مرة أخرى على الأفكار اليسارية التي تتحدى الإعتراف بوجود الله من خلال شخصية "مريم الشاعرة" التي لا تؤمن بوجود الله والتي تقرأ علينا في الرواية قصيدة من نظمها فتقول : " نخاف الله لأننا لا نراه........ نخاف الشيطان لأننا لا نراه........ نخاف الموت لأننا لا نراه.......... ولذلك فالله يختبئ خلف السحب........ لماذا يختبئ الشيطان....... لماذا يختبئ الموت.......... ولماذا يختبئ مَنْ على العرش ذا الأسوار العالية.......... الخوف منشاه الجهل والذي يُفرض علينا منذ الصغر...... وتجمعنا فكرة الهروب...... ولم نعد نرى ضوء النهار"[٢٣٧] . ربما يكون الطرح هنا من خلال شخصية أدبيةُ متخيلة ولكنها نفس الكلمات والعبارات التي كتبتها في كتب سابقة عن آرائها العامة في ضرورة إعمال العقل وعدم الانسياق وراء الغيبيات والتسليم الأعمى بقبول أو رفض أشياء حددها لنا رجال الدين وليس الدين نفسه[٢٣٨] .

---

[236] من القضايا والعبارات التي نجدها مكررة تقريبا في كل كتاباتها الأدبية وتثير الحساسية الدينية : " كتاب الله" والتعرض بشكل مستتر لفكرة كتابة الله لكتاب وباللغة العربية حتى وان كان ذلك في اطار تخيلي أدبي!!! فبينما كانت الطفلة الصغيرة نوال تسال سؤالاً كبيراً :هل الله كتب كتاباً ، ترد أمها ببساطة بان الله لا يكتب ولا يقرأ" A daughter of Isis P 1 & 59. ، وفي كتاب آخر من كتبها نجدها تذكر على لسان احدى بطلاتها في الرواية بان جدها قد ألف كتابين بينما الله كتب كتاباً واحداً . Nawal: The Innocence of the Devil. P 2. وتقدم نوال نفسها هنا من خلال تساؤلات الطفولة البريئة عن بعض المسلمات الدينية التي يتلقاها الأطفال من خلال المحيطين بهم سواء الآباء أو الأمهات والأجداد والأساتذة ورجال الدين وهؤلاء المحيطين هم رموز السلطة الأبوية والسلطة الدينية والسلطة السياسية . أما عن دفاعها عن الاسلام فاقرأ مقدمة كتاب :

Fawzia Afzal- Khan: Shattering the stereotypes. P. ix-xi

[237] El Saadawi: The novel. P.46- 47

[238] للمزيد عن كتابات نوال وأفكارها العامة عن المرأة والمجتمع والدين اقرأ كتبها : ابنة ايزيس ، والقارئ ، والأنثى هي الأصل ، والرجل والجنس ، والمرأة والجنس.

ولذلك فأنا أرى أن حرية نوال الكاتبة ووقوفها ،بضراوة وبصوت عال متسلحة بمبدأ الضد قد أوقعها في فخاخ عديدة بين براثن السياسة والدين، بسبب تناقضها - وهذا ما أشار إليه الكثيرون - في تبني المواقف، وإصدارالقول والقول الآخر مما يؤخذ عليها في كثير من الأحيان بدلاً من أن يكون في صالحها[٢٣٩] .

مثل آخر على مواقف في حياة نوال أُستغلت فيها بسبب السياسة أكثر من إعطائها فرصة التعبير الحر عن رأيها : عندما قرر الرئيس المصري محمد أنور السادات عقد معاهدة السلام مع إسرائيل قامت مجموعة كبيرة من الدول العربية بإعلانها مقاطعة مصر سياسياً وإقتصادياً بل وإطلاق الأصوات الحنجورية لمهاجمة مصر عبر وسائل إعلامها. هذه الدول لم تكن بالضرورة أكثر ليبرالية من مصر بل تتبع نظماً قمعية مع شعوبها ولم يرقى فيها حال المرأة كثيراً عن حال المرأة المصرية في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين. كانت هذه الدول في مؤتمراتها الثقافية والأدبية والطبية توجه الدعوة إلى نوال السعداوي للحضور[٢٤٠] . وما كان ذلك إلا نوع من التحدي والتمرد على الزعامة المصرية التي إنكسرت بموت جمال عبد الناصر وتحول السادات إلى المعسكر الغربي وتبنيه لعقد سلام مع إسرائيل.

كان علو صوت نوال السعداوي في مهاجمة نظام الحكم المصري بسبب توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل السبب وراء هذه الدعوات، وصارت هذه الكاتبة شخصية مشهورة على مستوى الدول العربية المعادية لمصر بسبب مهاجمتها للسادات ولسياسته الداخلية والخارجية.

وهكذا تحولت نوال السعداوي إلى حالة سياسية في حد ذاتها فصوتها المتمرد يقلق السلطة على أرض الوطن ولكنه يمثل صوتاً متمرداً وحالة من حالات الليبرالية الحرة شكلياً في أعين الغرب وأمريكا، ولذلك ففي الوقت الذي حُرِمَ فيه على كاتبة مثل نوال السعداوي من ممارسة الأفكار الليبرالية الحرة في بلدها بالشكل الذي يؤسس لقيادتها لجماعة فكرية متماسكة لها قوامها الفكري والأيديولوجي مثل جمعية التضامن النسائي العربي، نجد أيضاً

---

239 نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل: ص ٢٧.

240 Nawar Al-Hassan Golley: Reading Arab Women's Autobiographies. P 133، من الدول العربية التي اعتادت توجيه الدعوة الرسمية لنوال السعداوي وإتاحة الفرصة للتحاور معها عبر الشاشات الفضية كانت: تونس و الجزائر و اليمن و سوريا والمغرب.

أنه لم يُسمح لها بالمشاركة في المؤتمرات والندوات العربية والعالمية على إعتبار أنها نموذج نسائي مصري عربي متحرر بل نموذج متمرد وخارج عن الشرعية. ما سُمح لها على أرض الواقع المصري أن يظل تعبيرها في إطاره الفردي حتى لا يتطور لأن يصل إلى تكوين جماعة ناشطة تكون لها خطورة سياسية، ولذلك تم تحجيم نشاطها العام وعزلها في بيتها بحجة حمايتها من الجماعات السلفية التي تريد تصفيتها بسبب الدين وفرضت الحراسة الأمنية على باب بيتها ومتابعتها أينما ذهبت. وما أشبه اليوم بالأمس حينما حدد جمال عبد الناصر إقامة الناشطة درية شفيق في بيتها بسبب السياسة ولكن يكفي جمال عبد الناصر شرفاً أنه لم يستغل تحديد إقامة درية شفيق في بيتها للدعاية لنظامه مثلما فعل ذلك النظام المصري في عهد مبارك والذي حاول أن يبدو بمظهر الملاك الحارس للمفكرين والأدباء المصريين ليبدو في عيون الغرب حامي الحمى. وهذا هو نهج معظم الأنظمة العربية وسياسة الباب الموارب لبعض الأصوات والعناصر الناشطة لممارسة سياسة الضد والتمرد على أن يظل هذا في إطاره الفردي المحدود والمعزول أحيانا إذا لزم الأمر.

أختتم هذا الجزء بقصيدة جاءت على لسان "مريم الشاعرة" في قصة نوال السعداوي"الرواية" والتي أرى فيها ملخصاً لكل ما قالته في حياتها في الدين وفي السياسة وفي الإقتصاد وفي القهر الإجتماعي[٢٤١]:

تجري التحويلات المالية في لندن، في نيويورك، وفي تل أبيب

ويكتبون المقالات الطويلة عن التنمية والإكتفاء الذاتي

يتبارون في تقبيل الأيادي، أيادي الرئيس وأيادي السيدة الأولى

أما أنا فأُدعى مريم

على إسم الطاهرة مريم

إبنة الآثمة حواء

أشرب الخمر وأعيش مع الشيطان لأكتب الشعر

---

241 El Saadawi: The novel. P 77

# تحرر المرأة هو تحرر الرجل - إختناق الإبداع

# بين السياسة والدين

إن الإختلاف في الرأي لا يجب أن يكون مشكلة ولكن التشكيك في نزاهة الكاتب أوالمفكرواتهامه بالخيانة والعمالة والإنتماء إلى قوى أجنبية لهي من أكبر المشاكل التي عاني منها بعض الكتاب والمفكرين في العالم العربي خاصة من جيل الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وممن تم تصنيفهم بالكتاب اليساريين، حتى وإن لم ينتموا إلى أي من الأحزاب اليسارية. وقد إستغل ساسة الأنظمة العربية لفترة طويلة مسالة التشكيك حول أهداف وبواعث الكتاب وإثارة الفتن الدعائية ضد انتماءاتهم إلى جهات خارجية، شرقية أو غربية، وساروا على هذا كنهج للسيطرة على ميول الأجيال التي حُرمت من ممارسة التعبير الحر ولتوجيه دفة الأمور وفقا لمصالح مجموعة من المنتفعين الذين يحمون النظام، واتسع نطاق هذا المنهج التشكيكي حتى صار بعض الكتاب والنقاد أنفسهم يتبنون العمل به فيما بينهم[٢٤٢]. ففي مصر ومنذ عهد السادات تحديداً بدأت محاربة الكتاب والأدباء المنتمين إلى عصر عبد الناصر بغية إما تصفيتهم والتخلص منهم أو إما تغيير مسارهم الفكري وإتاحة الفرصة لتأسيس وإعداد مجموعة من الكتاب والمفكرين الجدد يكون تعبيرهم وولاءهم للنظام الجديد بكل ما يحمله من أفكارأيديولوجية وفلسفية جديدة. ولذلك فبرغم من إختلافي في كثير من الأحيان مع أفكار نوال السعداوي وطريقتها في تقديم أفكارها ومعالجتها سواء في كتاباتها البحثية أو كتاباتها الأدبية، إلا أنني أؤمن بدورها في تحريك الساكن وتحريض عقول قرائها على الأقل وتحفيزهم على التوقف عند بعض الثوابت وإعادة التفكير وبحث ما ورائها وخلفياتها. والحقيقة أدقق كثيراً في ردود أفعالي وفي تعليقاتي على كتابات نوال السعداوي وبحذر شديد حتى أتجنب شبهة التشكيك من قريب أو من بعيد في نزاهتها أو في وطنيتها فهذا أمر مرفوض وغير مطروح للمناقشة[٢٤٣]. وأحترم مؤلفات هذه الكاتبة خلال النصف الثاني من ثمانينات القرن العشرين

---

[242] دفاعاً عن حرية الفكر والابداع. الضبطية القضائية للأزهر. تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان.

http://www.eohr.org/ar/report/2004/re1021-4.htm, 5/19/2009

[243] El Saadawi: Memories from Women's Prison. P 97 اقرأ لنوال السعداوي كيف تنشأ الثورة بين الناس، واقرأ أيضاً من يرون عدم رفض كتابات نوال السعداوي حتى وان اختلفنا معها: الواشنطوني العربي: كمال الرياحي،

والتي ركزت وبكثافة على حالة الركود التي ضُربت على عقول رجال ونساء المجتمعات العربية على حد سواء وربما لن أتوقف كثيراً عند آرائها التي تشير إلى تحكم الرجل وهيمنته على المرأة بسبب الدين أو الحالة الإقتصادية والسياسية. فأنا أرى أن كتاباتها في قهر الرجل للمرأة الجانب التجاري والدعائي الذي أُستغل ضدها - بإسم الحركة النسائية- لإثارة الوقيعة بينها وبين القراء بإعتبارها محرضة للنساء ضد رجالهن وللوقيعة بينها وبين رجال الدين بإعتبارها محرضة للنساء ضد شرائع الله، وللوقيعة بينها وبين السياسيين بإعتبارها محرضة للمحكوم على الحاكم. وسأركز على الإشارة إلى قوة هذه الكاتبة التي فرضتها من خلال أفكارها في مرحلة النضج الأدبي والتي طرحتها عن تخلف المرأة والرجل على حد سواء وهو العمق الذي وصلت إليه بعد تركها لعملها الحكومي وتفرغها للكتابة والأدب، وبعد عملها في الأمم المتحدة التي وفرت لها مادة إضافية عن أحوال النساء في كافة البلاد المحيطة، ليس النساء فقط بل الأطفال والرجال وكل فصائل المجتمعات العربية والافريقية، ووقوفها بشكل عملي على إتساع الفاصل بين ما يسمى بدول العالم الأول ودول العالم الثالث[٢٤٤]، وبعد جولاتها الحرة وإتصالها بالعديد من المنظمات النسائية الإسلامية والعربية والأوروبية والأمريكية.

ونستطيع أيضاً أن نلمس ذلك النضج التعبيري والتنوع الفكري في كتابات نوال خلال الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين لتشمل قطاعات أعرض من المجتمع المصري والمجتمعات العربية الإسلامية، خاصة بعد توليها رئاسة "جمعية التضامن النسائي العربي". هذه الجمعية التي وإن حمل إسمها خصوصية العمل في مجال شئون

---

http://www.arabwashingtonian.org/arabic/article.php?issue=27&articleID=629,9/6/2009
، نوال السعداوي: سقوط الامام ص ٧٦-٧٥.

244 Nawal: The reader. P 58 وعن تجربتها في العمل في الأمم المتحدة خاصة فيما يتعلق بالعمل في مجال حقوق النساء أو التنمية تقول نوال:

They familiarized me with the inner workings of the UN system and of some aspects of international politics. They also permitted me to see for myself that the UN was not seriously interested either in development or in women. It was time to go home, to resume my writings, to oppose the policies that had made of Egypt once more a dependent state in the world multinational system. I resignes from the UN in

& El saadawi: The novel. P 71 كيف بدأت في كتاباتها تطرح أموراً خاصة بأطفال السودان وأثيوبيا وروسيا والصين لم تكن تتناولها من قبل.

المرأة، إلا أنها كانت تجربة ناضجة أثبتت بالضرورة العملية والعلمية أن كل من الرجل والمرأة في منطقة الشرق الأوسط في حاجة ماسة إلى العمل جنباً إلى جنب لرفع مستوى الوعي العام لمناهضة الإستعمار الجديد [٢٤٥] ، والذي يقسم الناس وفقاً لتقسيمات ثقافية وحضارية للتحكم في العقول أولاً قبل التحكم في الموارد الإقتصادية للبلاد الفقيرة التي صارت تستورد معظم موادها وإحتياجاتها الغذائية. إن أزمات هذه المجتمعات ومعاناتها ليست خاصة بالمرأة وحدها أو بالرجل وحده وإنما بحالة الركود العامة والضحالة الفكرية التي فُرضت على عقول الناس جميعاً بغض النظر عن الجنس أو اللون أو العقيدة. حالة الركود التي فُرضت على عقول الناس في دول العالم الثالث ليظل تابعاً لدول العالم الأول بفعل الجهل والتعصب الديني [٢٤٦] .إنه ذلك النوع من الهيمنة الإستعمارية الجديدة الذي يصعب تحديد ملامحها وحدودها إذا لم يكن هناك درجة عالية من الوعي والثقافة العامة الأصيلة والإيمان بتضامن كل القطاعات للنهوض بمجتمع تسوده العدالة والمساواة وتتحسن فيه العلاقات القائمة حتى بين الفرد والفرد بغض النظر عن النوع واللون والدين [٢٤٧] .

ونتوقف هنا عند كلمات للسعداوي تلخص وعيها بقضايا وطنها : " أقول أن معركة تحرير المرأة هي معركة ضد الأفكار المتخلفة سواء حمل هذه الأفكار رجال أم نساء"٢٤٨ ، و"أن تخلف المرأة وتكبيلها لا يؤخر النساء فحسب ولكنه ينعكس على الرجال والأطفال وبالتالي يقود إلى تخلف المجتمع كله... وعلى هذا فإن القيود المفروضة على النساء تضر بصحتهم وتضر بصحة الرجال وصحة الأطفال وينشأ الجميع في مناخ غير صحي يزيد التخلف"٢٤٩..... " إن عدم النضج هو السبب الرئيسي وراء معظم هذه

---

[245] El Saadawi: The reader. P 7

[246] Ibid. P 40 ، نوال السعداوي: موت معالي الوزير سابقاً، ص ٦٦.

[247] عزة كرم: مرجع سابق، ص ٢٠.

[248] نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ٨٧.

[249] نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، ص ١٧.

المشاكل، عدم نضج المرأة وعدم نضج الرجل. فالرجل وإن كان أكثر حظا من المرأة في الحرية وفي فرص النضج إلا أنه يتعرض أيضا لضغوط إجتماعية تعرقل نضجه النفسي والعقلي، كما أن التفرقة الكبيرة بين الرجل والمرأة في المجتمع والضغوط الشديدة على المرأة تزيد من إحساس الرجل بإيجابيته، فإذا بها تتحول إلى مبالغة في السيطرة وميل إلى الأنانية والسادية وتزيد أيضا من إحساس المرأة بسلبيتها لتصبح مبالغة في الخضوع والماسوشية.... وأن الرومانتيكية مرض يصيب البنات بسبب ذلك التناقض الحاد الذي يعشن فيه و بسبب ذلك الكبت الذي يفرض على غرائزهن في الوقت الذي يطفح المجتمع بالأغاني الرومانتيكية المريضة والفن والأدب الرومانتيكي السقيم الذي ساد ولا يزال يسود في قرننا العشرين"[٢٥٠]. وتؤمن نوال أن البنت العربية تنشأ مغربة عن جسدها فهي إما تكرهه منذ الصغر بسبب التحرشات التي تعاني منها أو بسبب ممارسات إجتماعية ضارة مثل عملية الختان وهي الصدمة الكبرى في حياة معظم الفتيات، وإما لاحقاً تكره البنت نفسها عند البلوغ لأنه يحدث لجسدها تغيرات تدفعها إلى الإنعزال أكثر وأكثر عن المجتمع أو التخوف منه. ودائما ما يكون الجسد هو السبب الرئيسي وراء أهم المشاكل التي تعانيها الأنثى فتعيش حالة من الكره المستمر إلى جسدها الذي تشعر أنها تريد أن تجمله حتى تنال رضا الآخرين. فتبدأ البنت في مرحلة لاحقة تتعلم وضع المساحيق على وجهها أو الحجاب على رأسها أو تجمل رموش عينيها أو تبحث عن أحدث خطوط الموضة. وترى نوال أنه لا فرق بين الحجاب الذي تضعه المرأة على رأسها وبين طبقة المساحيق التي تضعها على وجهها. كلها وسائل للتخفي والتهرب من الحقيقة التي تكون بسيطة من خلال نظرة العين للعين وتلمس الصدق والحقيقة في تعبير الوجه. وهي تعتبر أن المساحيق والحجاب وخطوط الموضة أشياء أُختلقت لتسيطر على الأنثى وتغطي على عقلها وتحرمها من التحرر والإنطلاق مما يعوق نمو الإبداع في حياتها بشكل طبيعي[٢٥١]. وتقول

---

Nawal Elaadawl: God Dies by the Nile.Zed Book 2007. In her Forward:
" my parents gave my brother more freedom and more food than me, though I was better at school..... when I asked why , they told me that it is God. I felt that God was unjust like the mayor and the king"

[250] نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص ٥٢، ص٦١.

Nawar al- Hassan Golley: Shahrazad tells her story.2003. P 158

[251] Nawar Al- Hassan Golley: Reading Arab Women's autopiographies. P 137,

نـوال : " في العقـدين الأخيريـن شهدنا محـاولات ضرب الحركـة النـسوية أو النـسائية لا فـرق، والتـضحية بحقـوق النـساء المكتـسبة عـبر نـضال طويـل لإرضـاء التيـارات العنـصرية المتـصاعدة المتخفيـــة تحـــت مبـــادئ الـــدين أو إحـــترام الأصـــوليات العرقيـــة أو الإختلافـــات النوعيـــة والجنسية"[٢٥٢] . لأنه وببساطة فإن المرأة لا تنـال أي تـشجيع علـى أن تكـون مختلفـة. فحتـى إذا تغلبت على هواجسها ومخاوفهـا مـن جـسدها وتحـاول أن تـتعلم لتكـون مخلـوق كامـل لا تجـد مَنْ يشجعها أو يثني على جهودها وتبدأ معركتها ضد المجتمع كله. وتـصبح مَنْ تـدافع عن النسـاء وعـن حقوقهن مصنفة على حساب فريق النسويات وعلى فصائل المجتمـع محـاربتهن لأنهـن لـسان حـال التغريب. وقد عبرت نوال السعداوي نفسها عن إحتياجها وإفتقادها لأن يفرح بها أهلها بـسبب مـا حققته من نجـاح في كتابهـا مذكرات إمـرأة طبيبـة فكتبـت : "متـى أشـعر أن مَنْ حـولي يـسعدهم نجاحي كطبيبة؟ ومتى يفرح أهلي بإمكانياتـي ككاتبة؟"، وهي في ذلـك محقـة فالبنـت نـادراً مـا تـفرح وتفـتخر بإبداع لها لأن المجتمع المحيط بها وبسوطه الذي يرفعـه علـى ظهرهـا يلـهبها علـى النواقص التي لديها أو التي يبثها عمداً في عقلها، ولا يشجعها على الإسـتمرار في الإيجابيـات أو الإبداع[٢٥٣] .

وبهذه الكلمات السابقة تعلو السعداوي فوق محدودية فكرة الجنس الإنساني رجلاً أو إمرأةً، وتشير وبوعي ناضج إلى أن ماوصلت إليه الأحوال الثقافيـة والفكريـة في البلـدان العربيـة عـامة وفي مصر على وجه الخصوص خلال الثلاثين عاماً الأخيرة مـن القـرن العـشرين والـتي أُريـد لها أن تسود على عقـول النـاس بـذلك المخطط الذي اتبعتـه أنظمـة الحكـم التعـسفية ملتحفـة بالدين قد أضرت عن عمد بكل فصائل المجتمع رجالاً ونـساءً وأطفـالاً يولـدون بـلا مـستقبل أُريـد لهم أن يعيشوا تخلف الماضي وظلاميات العصور العتيقة والحجة التي تـدعم هـذه الـسياسة أنهـا إرادة الله وشريعته[٢٥٤] . ومن هنا ينشأ الإغتراب حين يتنازل المرء عـن حقـه الطبيعي في إمـتلاك

Nawal El Saadawi: Memoires from women's prison. P 37

[252] نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ٢٧.

[253] El Saadawi: walking through fire. P 65

[254] Fawzia Afzal- Khan, Forward by Nawal El Saadawi: Shattering the Stereotypes: Muslim Women speak Out.2005. P. x مقدمة الكتاب كتبتها د. نوال السعداوي مؤازرة منها لنساء ايران، وتعبر أيضا عن تقدير

ثقافة حرة متطورة، إراحة لذاته وإرضاء لمجتمعه. وينشأ الإحتياج إلى راحة الذات من جراء ما يزرعه ويبثه تجار الآلام (المقصود بهم رجال السياسة ورجال الدين المتشددين الذين يحرّمون كل شيئ) في المجتمعات المتخلفة الذين يوهمون الناس بأن الإغتراب الثقافي فريضة يوجبها الإيمان الصحيح أي عدم قبول ثقافة الآخر أو الإفادة منها بل والخوف منها والإبتعاد عنها، ويطلبون من البسطاء التنازل طواعية عن حقهم في نقد الثقافة السائدة والتي أُريد لها أن تسود تقرباً إلى الله. وعلى هذا فمن المألوف أن نجد المرأة نفسها تدافع عن دونيتها وتباهي بخضوعها للرجل وتتجاوز ذلك إلى تلقين هذه الأفكار لصغارها إناثاً كانوا أم ذكوراً.[255] فينشأ الأخ يشعر بالتعالي على أخته وتشعر البنت في بيت أبيها بالدونية وبأنها ما خُلقت إلا لتخرج من هذا البيت بالزواج وكأن حياتها في بيت أبيها هي إعداد لحياتها في بيت زوجها.[256] ويكون الهدف بسيط جداً وهو بحث المرأة الدائم على نيل العطف من الرجل، وتكون المرأة بذلك قد قبلت بأن تكون الضحية للضحية، فهي والرجل ضحايا الإغتراب الثقافي وضحايا الأنظمة التعسفية التي تخلق هذه الحالة لتتحكم في أمور البلاد والعباد. ومن هنا فإن نشأة عادة الإحساس الأنثوي بالأمان والإحتياج لأن تعيش المرأة هذا الأمان في كنف الرجل هي أشبه بالسارق الذي يتسلل إلى البيت في غفلة من أصحابه ويسرقهم وهم نيام وهي عملية نفسية مخططة تتسلل إلى نفوس الرجال والنساء على السواء ويتم غسيل عقولهم للسيطرة عليهم.[257]

وتقول نوال: "إن الإسلام هو العقل والإبداع والجمال والحرية. يجب على رجال الأزهر أن يتركوا المبدعين يكتبون بحرية والحكم النهائي يكون للناس. على الأزهر أن يدافع عن الكتب العلمية وعن الطب الصحيح. الإسلام ليس لفظاً قرآنياً فقط، أو نصاً للإختلاف عليه،

---

النساء الإيرانيات لمواقف نوال السعداوي المناضلة في سبيل تحقيق العدالة الانسانية لنساء العالم، وربما ان نفس التقدير لا تحظ به نوال بين أهلها في بلدها مصر.

[255] El Saawadwi: The Innocence of the Devil, 1994, P 92

[256] El Saadawi: Memories of a woman doctor P32 تحكي لنا نوال السعداوي كيف نشأت على كره نفسها الانثى لنها أقل حرية من أخيها الذي كان اقل منها في الذكاء وفي الالتزام بالدراسة. كانت أكثر تفوقاً منه إلا أنه كان يحظى بمعاملة افضل لانه ذكر. وقصة نوال وحكاياتها مع الانوثة والشعور بالدونية هو قصة معظم الفتيات المصريات والعرب.

[257] د. حازم خيري: المرأة في الفكر الانسني، رابطة أدباء الشام، ٥ /٧/ ٢٠٠٩، ص ١١-١٢.

http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=20772

الإسلام جوهر ومعنى وهو ما نحتاج أن ندافع عنه"، وتقول: "يجب على رجال الأزهر أن يتفرغوا إلى عملهم الأصلي ويتركوا الناس تبدع ."[258] ولكن مع الأسف لا يُترك للناس مساحة من الحرية للنقد أو إعادة التفكير في الآراء المطروحة ومع الوقت يتم تقبل كل ما يُطرح دون فحص أو تدقيق حيث أن حالة الشعور بالإحتياج للأمان تشمل كل فصائل المجتمع ويشعر الناس بالحاجة إلى رجال الدين وإلى معونتهم لقهر المجهول!! وإذا سألنا مَنْ هذا المجهول لا نجد جواباً عقلياً واحداً. فالناس لا يشعرون بالأمان ويلجأون إلى الدين لحمايتهم من أخطار العالم والعولمة والفضائيات والغزو الخارجي على الرغم من أن الحلول بسيطة ومتاحة لزرع الأمان في المجتمع أي مجتمع بالعلم وبالأصالة معاً. فالعلم المنزه عن التحيزات والمنزه عن بث أفكار بعينها هو فقط الضمانة الوحيدة لمقاومة أي غزو أو أي فكر وافد والأصالة الفكرية الراسخة وغير المنغلقة على ذاتها والمستنيرة في نفس الوقت هي حماية الذات ضد أي تعدٍ ثقافي.

أما عن تفسير نوال السعداوي العلمي من خلال بحثها في التاريخ عن التفريق المجتمعي بين الرجل والمرأة والذي يبدو فيه جلياً تأثرها بالفكر اليساري وتأثرها بكتابي "أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، والتفسير المادي للتاريخ" لفردريك أنجلز وكارل ماركس،[٢٥٩] فتقول في كتابها "الأنثى هي الأصل": "إن العلم يهتم بالأشياء أكثر من إهتمامه بالناس ولهذا يعرف العلم عن الآلات أكثر مما يعرفه عن الإنسان ويعرف عن الرجل أكثر مما يعرف عن المرأة. والسبب في ذلك واضح فالعلم يهتم بما تهتم به السلطة في أي زمان ومكان. إذا كانت السلطة تسخر الإنسان وتستغله وتفضل عليه الآلة إهتم العلم بالآلة أكثر من الإنسان. وإذا كانت السلطة تهتم بالرجال أكثر من النساء إهتم العلم بالرجال أكثر"[٢٦٠]. وهذه هي الرؤية العامة التي تؤمن بها نوال الباحثة وتحاول أن تزرعها في كل كتبها تقريباً منذ أن بدأت تبحث في شئون المرأة وترصد تاريخ قمعها وتأخرها مجتمعياً عن الرجل. فهي ترى أن إهتمام السلطة بالرجل في مجتمعاتنا هو مثل إهتمام السلطة بالآلة وتفضيلها على الإنسان إذا ارتأت ضرورة إلى ذلك، ولذلك فالسلطة تهتم بالرجل وتفضله على المرأة إذا كان الضامن لترسيخ أقدامها وتثبيت

---

[258] من حوار مع نوال السعداوي مع قناة الجزيرة، مرجع سابق، ص ٩.

[259] د. حازم خيري: المرأة في الفكر الأنسني، المرجع السابق ص ٩.

[260] الأنثى هي الصل، ص ١٥.

دعائمها من خلال فرض فكرة القوامة - قوامة الرجل على المرأة وقوامة الدولة على المجتمع وقوامة رجال الدين على دخول النار أو الجنة وغيرها من الأفكار السلطوية المتعنتة. وبناء على ذلك فإن العلم ليس حراً طليقاً بل دائماً ما يكون مطية للسلطة ومعبراً عنها. ومن ثم فالعلم الذي يستغل لصالح السلطة هو أيضاً الأداة التي تستغل للتفريق بين الرجل والمرأة والحط من شأن المرأة وتقديم الرجل عليها لأنه بدوره هو رمز السلطة. وأنه لو كانت المرأة فعلياً مخلوق ضعيف وعديم التأثير لما كانت كل هذه المحاربات والمعاكسات وإصدار الفتاوى الواحدة تلو الأخرى للحط من شأنها بل العكس هو الصحيح، وأنه لقوة المرأة وللخوف من بأسها وقوة إرادتها لما حدث كل هذا التعنت والإضطهاد.

في الحقيقة فلسفة عميقة وتستحق الدراسة والتحليل والرجوع إلى كتب التاريخ وحتى إن إختلفنا مع نوال في عمومية أفكارها في كثير من الأحيان إلا أنه يجب علينا دراسة أفكارها وتحليلها والرد عليها. لا أن نتجاهلها أو نغلق باب المناقشة أحياناً بحجة إبتعاد الكاتبة بأفكارها العامة عن جوهر قضية ما- تطرحها للمناقشة. وفي الواقع ولأن نوال السعداوي عندها الكثير تود أن تقوله دفعة واحدة فإنها كثيراً ما تبتعد عن جوهر القضية التي تطرحها وكأنها تود أن تقول كل الأشياء في نفس الوقت، وهذا من المآخذ على طريقتها في التعبير وأسلوبها في الكتابة خاصة في كتاباتها الأدبية التي تتقاطع فيها أصوات بطلاتها على وجه الخصوص مع معلومات التاريخ التي نجدها تتدفق فجاة على ألسنة نساء بسطاء لا تحتمل أدوارهن أن يظهرن كعالمات أو عارفات بالحقائق ولذلك فأنا أذكّر القارئ مرة أخرى بأن السعداوي سبق وقالت عن نفسها أنها تكتب "بالوعي ومن الوعي" لا من منطقة اللاوعي التي يدعيها معظم الكتاب في تفسيرهم للإبداع، أي أنها تتعمد هذا حيث تستخدم الكتابة لتصدير أفكارها للآخرين فهي ترى أن الكتابة هي الوسيلة الوحيدة القادرة على مداواة الجروح ومعالجة مشاكل المجتمع[٢٦١].

وبالفعل فإن الكتابة الحرة وحرية التفكير هي الضامن الوحيد لمجتمع صحي ولكن مع فكرة التشكك والتشكيك التي سادت منذ السبعينيات بين الكتاب والكاتبات ومع إهمال مستوى

[261] El saadawi: The novel. P 32

التعليم والثقافة وفتح أبواب البلاد الفكرية والإقتصادية على مصراعيها لكل ما يفد من أفكار في كافة المجالات تركت آثارها البعيدة على مجتمعنا ومع قصدية تصفية بعض الكتاب والتشكيك في كتاباتهم ونواياهم أدى إلى أن يكون الحصاد السلبي أكثر من الحصاد الإيجابي. وأحيانا ما يبدو وكأن بعض الكتاب معزولين في أبراجهم العالية يكتبون ويملأون الأوراق ولا يقرأها احد.

ونوال السعداوي الكاتبة والأديبة إستطاعت أن تخرج من أسرهذا العزل بالمواجهة والصوت العالي لم تقبل أن تنغلق على نفسها وأن تستسلم لضغوط السلطة ورجال الدين حتى ولم تستسلم لرفض بعض فصائل المجتمع لها وإستمرت في الكتابة وفي الرد على كل رأي مخالف لها ولآرائها. وتقول لنا من خلال كتابها "مذكرات إمرأة سجينة" أن الكتابة فقط هي التي تستطيع ان تاسرها وليس شيئ آخر. وتضيف بأن كتابة القصة تحتويها وتاسرها وتمتلك عالمها بلا منازع، جسداً وعقلاً. وتقول إن كتابة القصة تعصاها إذا لم تقبل بتسليمها بكل شيئ في سبيلها. وأيضاً تضيف: إن القصة مثلي تماما لا ياسرها أحد ومتمردة ( طبعاً تقصد نفسها أي نوال السعداوي) [٢٦٢]. وكما تتسلط الرواية على نوال السعداوي وتاسرها، فإن الأفكار العامة التي تؤمن بها الكاتبة أيضاً تاسرها وتمتلك زمامها تماماً، وأشعر وأنا أقرأ كتبها أنها تكون في حالة مخاض وألم لن ترتاح منها إلا عندما تخرج مافي جعبتها من أفكار تختلط فيها أصواتها الداخلية مع أصوات شخوص وأبطال كتبها الذين هم أيضاً مزيج من الحقيقة والخيال وأضرب مثلاً على هذا الخلط العجيب بين إمتزاج المعرفة والجهل في رسم شخصية "السجانة" التي وصفتها نوال السعداوي في كتابها "مذكرات إمرأة سجينة": أسهبت الكاتبة في وصف شخصية السجانة وبساطة تفكيرها وعشوائية سلوكياتها إلا فيما يخص اللوائح وقوانين تنظيم الأمور في السجن وإحترام مواعيد غلق الأبواب وفتحها وفقاً لما يجب أن تكون عليه الأوامر والنواهي، وفجاة وفي حديث بين هذه السجانة وبين نوال السعداوي نجد هذه السجانة قد تحولت فجاة إلى شخصية عالمة عارفة بكل ما يجري وتدلي بمعلومات منظمة وبلغة منمقة عن الكاتبة وعن مشوار حياتها

[262] El Saadawi: Memories from the Women's prison, 1983. P 1

الأدبي والإبداعي وكيف أنها تعرف قصة صدام نوال مع الرئيس السادات وكيف إختلفت مع زوجته جيهان [٢٦٣].

فجأة نشعر أننا في عالم خاص، في غرفة خاصة بالكاتبة وحدها وهي الوحيدة التي تمتلك المفاتيح في يدها، تُدخل مَنْ تشاء وتُخرج مَنْ تشاء من هذه الغرفة، ترفع مَنْ تشاء وتُلغي وجود مَنْ تشاء. تنسى وتنسينا أننا في سجن، في مكان خانق وتحيله إلى صالون للإبداع. ولا أستطيع أن أنكر أن الكاتبة قد أحالت هذا السجن بقتامة صورته وقبحه إلى عالم ساحر، إلا أن هذا يبعدنا عن جوهر اليوميات التي كتبتها في السجن ومعاناتها لأن تخبئ الأوراق المكتوبة في أماكن يصعب الوصول إليها حيث تمثل هذه الأوراق عقلها الذي تريد أن تحميه من الإعتداء. وأيضاً تبعد بنا عما قد تعنيه هذه اليوميات لِمَنْ يقرأها بحثاً عن الحقيقة. ولكن نوال تُحيّر القارئ كعادتها لأنها تتمسك بأفكارها وبطريقتها الخاصة في التعبير.

إضافة إلى ما سبق فقد تلجأ الكاتبة إلى إختيارها لعناوين مبالغ فيها وفي موضوعها عندما تطرح أفكارها فمثلاً تعطي محاضرات في أمريكا بعنوان" ختان الإناث في مصر وسياسات جورج بوش" فهي ترى أن العلاقة بين ظاهرة ختان الإناث متصلة بالسياسة الدولية لأمريكا التي تسهم في صعود التيارات الأصولية الدينية والتي بدورها تشجع على إستمرار التقاليد البالية مثل الختان والحجاب، وهي ترى أن الحركات الأصولية على إختلاف ألوانها هي توائم للإستعمار والرأسمالية. ولذلك هي لا ترى إختلاف بين جورج بوش وبين أسامة بن لادن. وأيضاً كانت تدرس فصلاً عن "الإبداع والتمرد". وأن العلاقة بينهما وثيقة وقوية ولا يستطيع المرء أن يبدع دون أن يتمرد [٢٦٤].

ومرة أخرى نقول ولأن هذه الكاتبة ترى أن الأنظمة السياسية والحكومات المسئول الأول عن تردي أحوال الشعوب وتنتقد البلادة والتراخي في الإنتاج ومن كلماتها في هذا الصدد

---

[263] El Sadaawl. Ibid P 79

[264] راجع أقوال نوال وعن رأيها في الكتابة الذي تضمنته الصفحات الماضية، فريدة النقاش: من ندوة دور المرأة في الحركة اليسارية المصرية والعمل العام، ص٤. http://www.c-we.org/ar/show.art.asp?aid=24040, , 9/7/2009، حوار مع نوال السعداوي: نوال السعداوي والاعلام- منتدى الناقد الاعلامي. مرجع سابق.

ننتقي : " ومن البديهي أن المجتمع أو الدولة التي لا تطعم نفسها وتعيش على معونات الآخرين مثل الإنسان الفرد " المرأة والرجل" الذي لا يطعم نفسه ويعيش عالة على غيره". [٢٦٥]

وتستمر في توجيه إنتقاداتها للمجتمعات المتخلفة بفعل التسلط والجهل والسير بالناس إلى الوراء وتتهم هذه المجتمعات بأنها السبب وراء تخلف الأنثى والتي تُربى وتنشأ منذ الصغر على الإهتمام بجسدها وبشعرها وبرموش عينيها كمؤهلات أساسية لحياتها ومستقبلها ويكون هذا بالطبع على حساب تنشئة العقل والأفكار السامية التي تدفعها إلى المشاركة في عجلة المستقبل والإنفتاح الحضاري والثقافي. ولكنها تقع في التعميم حينما تقول أن البنت العربية تنشأ منذ الصغر على التفكير في الزواج فقط، وأنها تتعلم أن واجب المرأة الأول في مجتمعها هو أن ترعى مؤسسة الزواج وتحافظ على قيمها وتقاليدها. وتستمر في التعميم حينما تقول أن إهتمام الأنثى العربية بالتعليم وبالعمل يأتي في مرتبة ثانوية، وأن إهتمامها بالعمل لن يثنيها عن هدفها الأساسي وهو الزواج. ولن أقول أسماء كثيرة لنساء عربيات في عصرنا الحديث تقدمن علمياً وأدبياً وتقلدن أعلى المناصب العلمية والأدبية في مجتمعاتهن، وفقط أقول هل نسيت نوال أنها إمرأة تعلمت وتقلدت أعلى المناصب وتكتب من أجل قضية تؤمن بها مثلها في ذلك مثل الآلاف من النساء العربيات اللائي لا يألين جهداً في سبيل الدفاع عن قضاياهن وعن مكانتهن في مجتمعاتهن أم ترى نوال أنها فقط التي تعلمت وتقلدت المناصب وتدافع عن قضايا المرأة وتبدع في غياب المرأة؟ [٢٦٦] أقول لنوال أن التعليم شيئ والإبداع شيئ آخر، والإبداع هو خاصية يتمتع بها الموهوبون فقط من النساء والرجال وربما أتفق معها في أن المناخ العربي العام يعرقل الإبداع لكنه لا يمنعه كلية!!! والإبداع إستثناء وليس قاعدة ومن ثم فليس من اليسير تفجر الطاقات الإبداعية في أي وقت وبلا موهبة حقيقية. والإبداع ليس فقط بالقلم وبالكتابة فالإبداع يشمل كافة نواحي الحياة حتى وإن تحلى المرء بالقدرة على إنتقاء كلماته وألفاظه فهذا في حد ذاته إبداع ولذلك فلا يحق لأحد التعميم في قضية مثل قضية الإبداع التي من الأساس هي قضية خاصة وليست عامة.

265 توأم السلطة والجنس، ص٥٠.

El Saadawi: The hidden face of eve. P. 46 -159 218

ولا تقف نوال عند هذا الحد بل تذهب إلى أن الطفلة العربية تنشأ على القمع السياسي والجنسي منذ الصغر مما يكرس عندها فكرة الدونية، على الرغم من أنها وفي موضع آخر من كتاب آخر تقول: أن الجميع مظلومون في المجتمعات العربية رجالاً ونساءً في ظل الأنظمة المتسلطة. وهكذا فعندما تقرأ نوال وتتابع كتاباتها تجد نفسك تدور في دوائر مغلقة الواحدة تلو الأخرى وتتصدر هذه الدوائر الرؤية السياسية العامة للكاتبة والتي تعلو على هدف التركيز على الشرائح التي يعنيها البحث أو قد يختص بها ويتجلى الهدف وبوضوح في تصدير رأي الكاتبة العام في القضايا المجتمعية العربية. ولكن لأنها في قرارة نفسها تؤمن بتدني حال المرأة عن الرجل فإنها تقع في التعميم وكأن كل البنات وكل النساء العربيات يشعرن أنهن في مكانة متدنية عن الرجل العربي[٢٦٧].

ومن هذه الآراء العامة التي تطرحها نوال السعداوي حول نشأة البنت العربية وما يبدو عليه حال الرجل العربي بل الحكومات العربية المعتمدة على المعونات والمساعدات من الدول الكبرى ننتقل مع هذه الكاتبة إلى الإبداع وكيف يمكن أن يحدث في ظل هذه الظروف الظلامية؟ ونستطيع أن نلخص رأيها في "أن الإبداع يتدهور ليس لأن العقل العربي ناقص ولكن بسبب غياب الحرية الفكرية، لأن الإبداع لا يمكن أن يتأتى مع القيود المفروضة على العقل والروح. فالعقل يحتاج أن يحلق في آفاق الإبداع وينتقد كل شيئ بما في ذلك الدين والسياسة دونما تقديس أو مقدسات، وأنه دون ذلك لن يكون هناك إبداع، وأنه سوف تسود الأكاذيب في كل مجالات الحياة. حتى العلم لسنوات طويلة ظل مليئاً بأكاذيب حول فوائد الختان وقد درس الطلاب هذا في كليات الطب وإستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى أُقر علمياً بمخاطر ختان الإناث لأن الأطباء في بلادنا وكما تقول: لا يقرأون كتب الطب بل يقرأون كتب الدين. وتضيف: إنها الردة إلى الدين التي يغرق فيها العالم كله في السنوات الأخيرة"[٢٦٨].

وتنتقد السعداوي المتعلمين وأساتذة الجامعات اليوم -وإن كنا لسنا مع التعميم هنا أيضاً- وتقول في سخرية" أحد الأساتذة المصريين في أحد المؤتمرات صعد إلى المنصة وحول عنقه

---

219- توأم السلطة والجنس، ص ٩٧، ابراهيم عوض: المرأة والدين والأخلاق بين نوال السعداوي وبين هبة رؤوف، ص ٣،

http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=6860, 5/19/2009.

268 من حوار نوال السعداوي: نوال السعداوي والاعلام- منتدى الناقد الاعلامي، نفس المرجع السابق، ص ٦.

جهاز سماعات أمريكي الصنع ويرتدي بدلة من الصوف الإنجليزي ويمتلك سيارة أمريكية وفي بيته جهاز كمبيوتر وانترنت وأولاده وبناته يدرسون في الجامعة الأمريكية ويتحدث كلمات عربية وإنجليزية وعاش في أمريكا ٣٥ عاماً ثم عاد إلى مصر أستاذاً بالجامعة وينادي بالعودة إلى الإسلام والروحانيات. لماذا؟ لأن الحضارة الغربية مادية" وهي بهذه الكلمات قد تبدو منتقدة لأساتذة الجامعة ولكنها في جملة واحدة تنتقد النظام كله والذي قضى على إستقلالية الناس حتى ولو بإنتاج أبسط الأشياء التي نعتمد عليها في حياتنا. إنها تنتقد سياسة السوق المفتوح الذي أحال الناس إلى الكلام في أشياء والإيمان باشياء وممارسة أشياء أخرى [٢٦٩].

وكما تنتقد المتعلمين وأساتذة الجامعات تنتقد رجال السياسة وتتهمهم بالتلاعب بالكلمات، وترى أنه لا فرق عندهم بين السلم وبين الحرب، بين الحب وبين الكره فهم ينشاون على اللعب بالكلمات منذ الصغر. مرة أخرى نجدنا أمام إتهام الرجل بالزيف وتعميم هذا الرأي ليشمل كل الرجال، وكأن كل النساء أيضاً يرين أن الرجال مزيفون [٢٧٠] !!!!!! والحقيقة أن هذا الرأي الذي سبق وأدلت به الكاتبة قد جاء إنعكاساً لرأيها في بعض الأصدقاء والكتاب من الرجال الذين وصلوا إلى أعلى المناصب والمراكز لأنهم تملقوا السلطة [٢٧١]. وفي الرجال المتملقين المرتقين لسلم المجد الوظيفي تقول نوال: " لم أر في حياتي كلها موظفاً رفع عينه في عيني رئيسه ولا إمراة رفعت عينها في عيني رجل، وإن كان أخاها أو أباها أو مديرها أو حتى إبنها، فما بالك إذا كان هذا الرجل أكثر من أبيها وأكثر من مديرها وأكثر من أي رجل آخر في نظر نفسه وفي نظر الناس وفي إحترامه لنفسه وإحترام الناس له؟" [٢٧٢].

والحقيقة لن أعقب هنا كثيراً إلا أنني أشير إلى روح النقد المتحفزة في عيني وعقل نوال السعداوي وهو ما يغضب الكثيرون من ردود أفعالها ومن نقدها اللاذع في أي وقت وفي أي مكان وضد أي شخص لا يهمها في سبيل قولها لرأيها أي شيئ. إذ قد لا يرى الكثيرون غيرها أي غضاضة من إمتلاك سيارة أمريكية أو تلق العلم في الجامعة الأمريكية وأيضاً التكلم في الأصالة الإسلامية

---

[269] نوال السعداوي: سقوط الامام، ص ١٠٢.

[270] El Saadawi: The novel. P 204.

[271] El Saadawi: Memories from the Women's prison. P 118.

[272] نوال السعداوي: موت معالي الوزير سابقا، مطابع مدبولي، الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص ١٤.

والروحانيات فما المشكلة في هذا؟. إن روح التآمر والتشكك التي سادت بين كتاب الستينيات والسبعينيات تسود في لغة نوال السعداوي النقدية أيضاً، ولأنها تقول ما تريد وفي أي وقت فهي لا تنتبه إلى هذا، ونرى أن النهضة والإبداع لن يقفا على أرجل قوية بخلق الخصومات الفكرية بل بالمصالحات وتقبل الآخر ونشر روح الحوار الصحي بين المفكرين وهو من المفترض أن يكون جزء من نضال السعداوي كمفكرة وكاديبة.

أما من الناحية الأدبية وعلى لسان بطلين من أبطال قصتها الأدبية "الرواية"- فسامح الرجل الرومانسي الحالم العصري يقول للبطلة التي ليس لها إسم في الرواية: "تتكلمين عن الحرية دون أن تكوني حرة. تفكرين في المستقبل بعقلية الماضي. لقد تواعدنا أنا وأنت أن نكون أمناء وأن نكون أحراراً في إختياراتنا. أنا لا أحاول أن أدفعك إلى إختيار ما أريد، فأنت حرة تماماً فيما تختارين"[٢٧٣]. توقفت عند هذا المقطع بالتحديد لأشير إلى أن الأزمة في حياة الرجل والمرأة وفي الإبداع تكمن في الحرية الغائبة عن حياتهما كما ترى الكاتبة وأربط هذا بعمومية رأيها الذي استعرضته سالفاً في أن البنت العربية تنشأ على الخنوع والخضوع منذ صغرها وكأن نوال تقول أن الطريق مسدود وأنه لا خلاص لأن بذرة العطب والتخلف موجودة حتى وإن كانت الشخصيات تتحرك بما يوحي بالحرية في إختيار شكل المستقبل إلا أن هذا المستقبل دائما ما تعطله فلول الماضي وبقاياه الفكرية. وترى الكاتبة أن الحركة بحرية وما يبدو تحرراً في الإختيار لا يخلق عادة التحرر أو التعود على الحرية وكأن أسر الأرواح مع الماضي يظل بلا حراك وكأنه "مقدر ومكتوب" كما نقول ضمن كلماتنا الشعبية والتي ورثناها عن الأقدمين. وكما تشرح في كتابها "المشي بين النيران Walking through Fire"[٢٧٤]: "ان المجتمع المصري قد يتقبل أنْ يقال عن الرجل أنه إبن شارع! أي ذا خبرة ويستطيع أن يتصدى للآخرين سلباً أو إيجاباً. أما المرأة التي تمارس السياسة والفكر إن قيل عنها أنها إبنة شارع فهذا معناه أنها إمرأة سيئة السمعة ولذلك فمجتمعياً تجد المرأة نفسها بين إختيارين كلاهما مر. وفي الغالب تنعزل وتختار أن تبقى شريفة السمعة حتى وإن كان على حساب مكانتها الإجتماعية. وإذا اتفقت مع الكاتبة هنا فاقول لها أن مَنْ تفعل هذا بنفسها فقد شاركت في الحكم على نفسها بالتخلف

---

[273] El Saadawi: The novel. P. 42

[274] El Saadawi: Walking Through Fire.2002. P 204

ولذلك فعليها أن تدفع الثمن! أما الوضع الحقيقي فيشير إلى أن الحياة تسير إلى الأمام حتى ولو ببطء وأن البنات قد تغيرت أحوالهن وأصبحن يعرفن كيف يطالبن بحقوقهن حتى ولو كانت ضئيلة.

ولا أتفق مع الكاتبة في أزلية تخلف البنت لأنها تعود بنا إلى التعميم مرة أخرى وتحيلنا إلى مبدأ اللعنة الذي افترضت الكاتبة أنه فُرض على المرأة منذ قصة السقوط ، وأن البنت تنشأ عبدة بفعل المناخ الإجتماعي حتى ولوُأتيح لها مساحة من الحرية والتي هي في "الرواية" كانت مساحة كبيرة وليست صغيرة، وكانها تقول لنا أنه حتى ولوُأعطيت البنت فرصة الحرية فإنها لن تستطيع أن تستخدمها جيداً. وكنت أتمنى أن تنتصر فكرة التضامن النسائي في "الرواية" الأدبية في ظل مساحة الحرية المطروحة حتى لا تبدو الحرية وكأنها انفلات بلا معنى، وفي نفس الوقت تصبح الحرية نفسها خنقاً للمعاني الإيجابية التي نريد لها أن تنتصر في حياتنا وتكون الضامن الوحيد للإبداع لا أن تصرف بلا هدف أو معنى.

دائما ما تصدر الكاتبة- نوال السعداوي أيضاً فكرة إعاقة الزواج كمؤسسة إجتماعية لمسار الحرية وتكبلها بالقيود المادية وتجعل منها صفقة تباع فيها المرأة ويقدر ثمنها بالمهر والشبكة[٢٧٥] . على الرغم من أن الكاتبة نفسها زوجة ومتعلمة وزواجها مستقرولم يعق ابداعاتها، واستطاعت من خلال سماحة نصوص وشرائع الإسلام أن تحصل على الطلاق وتتزوج مرة ثانية ومرة ثالثة في فترة كانت تعاني فيها النساء من كبت حقيقي. أعرف أن الكاتبة صارعت وعانت كثيراً حتى تستقر أمورها وتحصل على بعض من حقوقها ولكنها كمتعلمة كانت على درجة من الإقتراب من تحقيق ما تريد[٢٧٦] . ولكني أقول أن ثمن الحرية غال جداً في كل زمان وفي أي مكان على وجه الأرض.

ولكن يبدو وعلى المستوى الشخصي أن الكاتبة تختزن في ذاكرتها ذكريات أليمة من زيجتيها الأولى والثانية ولا تنسى ثارها مع الماضي ولا مع المجتمع ولا مع أفراد عائلتها،

---

El saadawi: The reader. 1997. P 5, El Saadawi: The Hidden Face of Eve. P 77 [275]

Nawar Al- Hassan Golley: Reading Arab women's Autobiographies. P 185.Translation [276] of the introduction to the Arabic Edition of Memoirs from the Women's Prison:by Nawal Al Saadawi

فينعكس هذا على كتاباتها البحثية والأدبية التي تدور في نفس الفلك وتفقد أفكارها توظيفها الدرامي بدقة وفق الأحداث الدرامية أو الحبكة الأدبية المطروحة فتأتي فلسفة الأفكار النسائية أو الرغبة في الإنتصار على المجتمع وعلى الرجل غالبة على الدراما. ويدفعني هذا إلى التفكير أو مناقشة الأديبة بهذه الطريقة لأنها أيضاً وعلى لسان "كارمن" بطلة "الرواية" وهي كاتبة متحررة، اعتادت أن تقول عن زوجها الذي يعمل كاتباً وأديباً أيضاً: "أنا ورستم علاقتنا هدامة! أشعر أنني لن أهدأ حتى أدمره تماماً من خلال كتاباتي وفي إحدى رواياتي، وهو أيضاً لن يهدأ حتى يقوم بتدميري بنفس الطريقة"[٢٧٧]. وعلى لسان "كارمن" أيضاً في موضع آخر تقول: "كلنا مرضى الثنائية والإزدواجية، إزدواجية الجسد والقلب، وإزدواجية العقل والروح. إنه ذلك المرض الذي لنْ يشفى إلا بالحب"[٢٧٨] والكاتبة هنا تحيلنا إلى قضية هامة وهي صعوبة إجتماع كاتب وكاتبة في نفس البيت، وحتى إن اجتمعا فعلاقتهما محكوم عليها بالتدمير حتى وإن كان الحب قاسماً مشتركاً بينهما وإن بدا في كلامها أن الحب جزء من الحل فإن الأمر مشروط بقبول الطرفين معاً – الزوج والزوجة بانه – أي الحب موجود وهي ترى أن هذا مستحيل[٢٧٩]. وإن كانت أيضاً في موضع آخر من كتاب آخر تشير إلى إستحالة بقاء رجل وإمرأة في مكان واحد يجمعهما في حياة مشتركة لأنها كما تصل حتى للقول بصعوبة وإستحالة الحياة بين مبدع ومبدعة بل تتعداها لأن تقول بصعوبة الحياة بين أي رجل وأي إمرأة لأنها ببساطة تؤمن بفشل مؤسسة الزواج في النجاح الذي إن حدث يأتي على حساب النساء وأقتطع من كلماتها الآتي: "ولم تعد زوجتي الشرعية تقرأ ما أكتب، ترفض قانون الطاعة والشريعة وتجادلني في المقدسات، تضع رأسها برأسي وعقلها بعقلي. وهذه بدعة لم أعرفها مع زوجاتي القديمات وغير الشرعيات... وأن قانون الطاعة يحكم النساء في بلادنا حتى اليوم وينص قانون الزواج على أن واجب الزوج الإنفاق وواجب الزوجة الطاعة. أصبحت الطاعة مفروضة على الزوجة بقوة القانون، أي قوة

[277] El Saadawi: The novel. P 148

[278] El Saadawi: The novel. P 159

[279] El Saadawi: Walking through fire. P 194, للمزيد عن رأي نوال في الخلفية التاريخية لنشأة الزواج كنظام اجتماعي.

الدولة والسلطة الحاكمة، وقوة الدين أيضا. وكان لابد من قمع النساء جسديا وعقليا للخضوع حسب نظام الرق أو العبودية "[280].

وكأنه قدر على المرأة والرجل في ظل مجتمعاتنا أن يحيا خصومة دائمة ولا حل لها. وهو أيضاً ماسبق أن أشرت إليه عن رأي الكاتبة في العلاقة بين الرجل والمرأة من ناحية الحقوق الدينية والتي يحكمها نظرة الدونية كما تقول الكاتبة منذ أن قبل الله بدفاع آدم وعفا عنه ولم يقبل بدفاع حواء ولم يعف عنها بل ساواها بالحية في مستوى الخطأ وهذا ليس حقيقة دينية بقدرما لمثل هذه الأفكار المغلوطة من خلفيات إجتماعية متنوعة تختلف من بلد عربي لآخر كما نرى وليس من الدين، فالأديان الثلاثة ساوت بين آدم وحواء من خلال تكامل النصوص والآيات القرآنية مجتمعة.

أما من خلال ما نطرحه عن رأيها في العلاقة بين المبدع والمبدعة، وبين الكاتب والكاتبة فإن حدث وجمعهما بيت واحد، وطبعا مع إحترامي لحق الأديب أو الأديبة في أن يعبرا بحرية عن رؤيتهما الخاصة للعالم من حولهما، لكن الخصوصية هنا في حالة نوال السعداوي أن كتاباتها الأدبية كانت انعكاساً لكتاباتها البحثية العلمية والتي هي بدورها انعكاس للحالة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والفكر الديني السائد، والتي هي نفسها تقول عنها: أن الكتابة عندها فعل متعمد ورد فعل غاضب لكل شيئ حولها في الحياة. ومرة أخرى فالكتابة عند نوال السعداوي ليست هاجساً وإنما هي بحث وتمرد متعمد لثوابت قد تكون الغالبية من الناس قد قبلتها على مر العصور أما هي- نوال لم ولن تقبلها، وعلى رأس هذه الأفكار ياتي تدني مكانة المرأة عن الرجل. ترفضها وتتمرد عليها دينياً وإجتماعياً ونفسياً وتاريخياً وعلمياً وكأنها تتبنى قتل الخصم بسلاحه. هذا إذا قبلنا بأن الرجل خصم للمرأة وأنه فعلا يريد تدميرها وأيضاً إذا قبلنا بأن المرأة المبدعة كل عملها وأملها في الحياة هو رد الضربة لخصمها الرجل، ولذلك إختارت نوال أن تكون في صدام دائم مع كل من يدافع عن عدالة وشرعية التفرقة بين الرجل والمرأة في المكانة الدينية والإجتماعية، وفي صدام حتى مع حواء نفسها من

---

[280] السعداوي: سقوط الامام. ص ١٠٥، ص ١١٠- ١١١، نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس. دار المستقبل العربي ١٩٩٩، ص ١٣.

El Saadawi: Hidden Face of Eve. P 51 ،

اللواتي لا يؤمن بأي شيء نسوي ويقبلن بالدونية حتى وإن كن صاحبات المشكلة الأساسية في كتابات نوال السعداوي [٢٨١].

والواقع إن كتابات نوال تأتي انعكاس لواقع حياتها الخاصة والإحباطات الكثيرة التي مرت بها ، ولواقع الحياة السياسية التي سادت في مصر لوقت طويل من تاريخها بعد ثورة ١٩٥٢ وهو التصديق على القوانين والمواثيق الدولية والتصديق على القوانين التي من المفترض أن تذيب الفوارق بين الرجل والمرأة وتقلل من حالة العنف المتفشية بين طرفي المجتمع ، إلا أن الواقع يشهد بما يخالف ذلك تماماً . كما شاركت مصر في كل المؤتمرات الدولية المعنية بالمرأة والمشاركة في الحوار والتوصيات التي باتت حبيسة الملفات والأدراج المكتبية لأن القانون وحده لا يكفي [٢٨٢] !!

، نوال السعداوي : امرأة عند نقطة الصفر ، ص ١٠٦ .

Nawal El Saadawi: A daughter of Isis. P 10 [281]

وفقاً لتعداد السكان لعام ٢٠٠٦ في مصر وُجد أن عدد النساء يقدر بحوالي ٤٨,٨٨٪ من جملة عدد السكان . وتمثل المرأة حوالي ٣٠٪ من اجمالي العلماء في مصر يتركزون في العلوم الطبية حوالي ٥٨,٥٪ وفي العلوم الطبيعية ٧,٤٪ وفي العلوم الزراعية حوالي ٢,٨٪ والمرأة تمثل ١٥,٢ من اجمالي قوة العمل . والنساء العاملات في قطاع التعليم ٤١,٢٪ وفي قطاع الصحة ٤٩٪ وفي القطاع الزراعي ٤,٩٪ وفي قطاع الصناعة ٩,٦٪ وفي قطاع الكهرباء والغاز ٩,٧٪ وفي قطاع الأنشطة المالية والعقارات ٣١,٨٪ أما في القطاع الحكومي فنسبة المرأة المشاركة في العمل ٢٢٪ وتمثل المرأة نسبة ٣٩٪ من القائمين بالأعمال الكتابية . راجع التمكين السياسي للمرأة : مرجع سابق . ص ٤ .

[282] عزة عبد المحسن خليل : الحركات الاجتماعية في العالم العربي .

Kristina Norwall: Egyptian feminism: The Effect of the states, popular,Trends and Islamism on the women’s Movement in Egypt, the search for Islamic Order, Block 1-2.

# قضية الحجاب وأبعادها الفكرية- سياسياً ودينياً

# في كتابات نوال السعداوي

الحجاب كزي إسلامي صار علامة مميزة لأكثر من ٨٥٪ من بنات ونساء الشعب المصري خاصة في الريف وفي الأحياء الشعبية في العاصمة القاهرة، هذا وفقاً لما جاء في إحدى إحصائيات مركز المعلومات التابع لمجلس الوزراء[283] . والكاتبة نوال السعداوي من القلة المسلمة التي لا ترتدي الحجاب وتقول أنها مافكرت في حياتها أن ترتدي الحجاب لأن الحجاب ليس من الإسلام[284] . وبلغة أدبية تعبر نوال عن الحجاب في كتابها "سقوط الإمام" وتقول من خلال بطلة الرواية: " قالوا نعم إذا عرفت لغتهم وإذا ارتديت زي رجل أو أخفيت عورتك وراء الحجاب!!! قلت بدهشة أي عورة وأنا أرتدي ملابسي كاملة. وأشاروا بأصابعهم المدببة إلى وجهي، أصابني ذعر وارتج لساني. قلت من قال لكم هذا؟ قالوا إنها كلمة الله. قلت كلمة الله مكتوبة وأنتم لا تعرفون القراءة، فكيف عرفتم كلمة الله؟ قالوا: الإمام، ومن هو الإمام؟ هو عرش في السماء وقصر في الجنة تجري من تحته الأنهر وغلمان وحور"[285] . طبعاً نوال السعداوي تقصد هنا بالإمام- الرجل أي رجل فكما جاء في القرآن أن الرجال الصالحينُ وعدوا بالجنة التي تجري من تحتها الأنهار. ويحضرني هنا رأي الدكتورة ليلى أحمد المؤرخة والكاتبة النسائية المصرية حينما قالت أنها كانت تعتقد بأنَ فتح الباب لتعليم البنات واتاحة حرية العمل سوف يؤديان حتما إلى إختفاء ظاهرة الحجاب كعلامة قمعية ضد المرأة في المجتمعات الإسلامية وتعترف أنها كتبت كثيرا وتكلمت كثيراً وكانت على ثقة تامة بان الحجاب في طريقه إلى الإختفاء متفقة في ذلك مع رأي الباحث والمؤرخ "ألبرت هوراني" الذي ألف كتاباً بعنوان "تاريخ الشعوب العربية"، واستند في رأيه على ما حدث من خلع النساء المصريات للحجاب والتخلي عنه في بداية القرن العشرين خاصة مع ثورة ١٩١٩. وتقر ليلى أحمد بانه بات عليها أن تعيد النظر في تقييم ظاهرة

283 نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب، ص١.

284 من حوار مع السعداوي لقناة الجزيرة في يونيو ٢٠٠٦، ص١٠،

El Saadawi: Walking through fire P 27

285 السعداوي: سقوط الامام، ص١٥-١٦،

El Saadawi: Walking through fire. P 136- 137

الحجاب وأسباب إنتشارها خاصة في أوروبا وأمريكا[٢٨٦] . وأقول للمؤرخة ليلى أحمد أن د. نوال السعداوي سبق وأن ردت على أسباب تفشي وإنتشار الحجاب بين كل الطبقات، وإن كان بقسوة حينما فسرت هذه الظاهرة بأنها "فرض الحجاب على العقل" ولم تكن تعني وهذا رأيي الشخصي أن هذا يشير إلى تفشي الجهل المباشر كما يفهمه غالبية الناس، بل ما أفهمه من هذه القضية وكما ذكرتُ في الفصل الأول أن المرأة العربية المسلمة صارت تحمل عبئاً جديداً دون أن تدري في الغالب أنه عبء عليها وحدها، ألا وهو الدفاع عن الإسلام ضد خطر العولمة والتي مفهومها عند النساء المسلمات هو إختراق العالم الإسلامي عن طريق النساء أنفسهن وإستغلال قضاياهن ومشاكلهن للنيل من الإسلام وهذه الدعاوي ما نجح فيها الدعاة الجدد المتعلمون تعليماً حديثاً والإسلاميون الذين طوروا من خطابهم ووسائل إقترابهم من فكر الناس إلا عن طريق إقناع النساء أنفسهن بأن لهن دور في هذا. والمتدينون والمتشددون على السواء يرون أن المعركة ضد الإسلام لن ينتصر فيها المسلمون إلا بمشاركة النساء وبإرتدائهن الحجاب. ففي الوقت الذي انشغل فيه العلماء والباحثون والمؤرخون العلمانيون بالكتابة في "الجندر" أي التقسيم النوعي بين النساء والرجال وفي الكتابة عن النسوية أو النسائية، كان الإسلاميون يكتبون وينادون بالدفاع عن الإسلام وساعدهم على ذلك ما جرى في العراق وأفغانستان وردود الأفعال المتعنتة والمتشددة من قبل الغرب ضد إيران وغيرها من بلدان العالم الإسلامي. إن الحروب وإثارة القضايا الآن دعائية أكثر منها أيديولوجية أو إقتصادية مباشرة أو بإستخدام السلاح، وصار من يملك قوة الخطاب والتأثير يملك العقول. وحتى أن ليلى أحمد نفسها كتبت عن زيارة لها إلى كامبريدج وراعها عدد المحجبات المنتشرات هناك يتلقين العلم والثقافة الحديثة وتعترف أنها هي وصديقة لها شعرتا بالغربة وسط هؤلاء المسلمات برغم من أن ليلى وصديقتها مسلمتان[٢٨٧] .

وفي حين أن نوال السعداوي جمدت نفسها وآرائها عند التقسيم بين الرجل والمرأة على أساس تفوق الرجل على المرأة الذي منحه له الدين والتاريخ والمجتمع ففي بحث آخر من أبحاثها كتبت : " إن المجتمع لا يستطيع أن يعترف أن المرأة يمكن أن تتفوق وتنبغ دون أن تتحول إلى رجل. فالتفوق والنبوغ في نظر المجتمع صفة الرجل فحسب. فإذا ما اثبتت المرأة نبوغها بما لا

---

[286] Leila Ahmed: Veil of Ignorance. Foreign Policy Magazine. April 27, 2011.

[287] Leila Ahmed .previos

يدع مجالا للشك اعترف المجتمع بنبوغها وسحب منها شخصيتها كامرأة وضمها إلى جنس الرجال" [٢٨٨] . وهذا غير صحيح الآن في ظل العولمة وتفوق المرأة العربية المسلمة وسفرها إلى كامبريدج وأوكسفورد وغيرها من الجامعات العظمى لتلقي العلم ودراسة كافة العلوم ولكنها وهذا ينطبق على الأغلبية تلبس الحجاب، كعلامة وكفخر شخصي بأنها مسلمة، ودون أن يقال عنها أنها تحولت إلى رجل (مسترجلة).

وعندما أُنشئت جمعية التضامن النسائي العربي عام ١٩٨٢ أُعلن أنها تتبنى شعار "رفع الحجاب عن العقل"، وقد مثل هذا الشعار نقطة خلافية مع الجماعات الدينية الإسلامية بمختلف اتجاهاتها في مصر بل في أغلب البلدان العربية المتحفظة أيضا خاصة دول الخليج وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى إغضاب الحكومات العربية الرأسمالية، التي يزداد الأغنياء فيها غنى والفقراء فقراً [٢٨٩] . فمن المعروف أنه في ظل العولمة ظهر ما عُرف "بتانيث الفقر"، أي أن أكثر من ٧٠ ٪ من فقراء العالم من النساء وأن ما يقرب من نصف سكان العالم وهم من النساء يحصلن فقط على ١٠٪ من الدخل العام، وأن النساء العاملات في العالم كله لا يمتلكن إلا ١٪ فقط من ثروات العالم، وأن حوالي ٧٥٪ من اللاجئين من النساء والأطفال وأن نسبة صانعي القرار من النساء لا تتعدى ١٪ [٢٩٠] . وأن حوالي ٣٥ ٪ من النساء المصريات يضطلعن بالانفاق على أسرهن، ولذلك كان الحجاب وسيلة عملية إجتماعياً لتجاوز الأزمات المالية ولإعانة المرأة على الخروج إلى العمل في يسر وبساطة لأنه كان لها هدف أسمى وهو توفير قوت يومها وقوت أولادها. ووفقاً لما سبق عرضه من أرقام فإن الضرب في الحجاب وتعرية الدوافع المختبئة خلف دعاواه كان ضرباً مباشراً في المؤسسات الدينية التي بدأت تروج للبعد الشرعي الديني في ارتداء الحجاب، وضرباً في المؤسسات السياسية التي عجزت عن توفير العدالة الإجتماعية للناس على حد سواء. وصار وكأن الحجاب هو المشكلة بينما المشكلة الحقيقية في

[288] نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص ٥٩.

[289] El saadawi: The reader. P 19

[290] اسلام أون لاين- حواء وآدم- نساء العالم في المعركة الغلط.
http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-Ada 11/17/2009

فرض الحجاب والتي تجاوزتها بكثير نساءنا العربيات والمسلمات في أوروبا وفي أمريكا إذ صار لبس الحجاب بالنسبة لهن مصدر فخر تطوعن لإعلانه "[٢٩١].

ومع الوقت وبمساعدة الإعلام صار الحجاب القاعدة في الزي لا الإستثناء وتعدى حتى مسالة الفقر أو الغنى. وبعد أن كان اهتمام النساء بارتداء الحجاب في سن متأخرة أو بعد الزواج وانجاب الأولاد صار موضع اهتمام الفتيات في سن الثانية عشرة. وقد قيل الكثير وكتب الكثير عن أسباب الحجاب، فمثلا يقول د. أحمد المجدوب أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية أن الفتاة أو المرأة تلجأ إلى الحجاب لرغبة منها في ستر جسدها بجانب الأحوال الإقتصادية الغالبة على حياة الفتيات في الأحياء الفقيرة في العاصمة وعلى أحوال الفتيات في الريف. حيث لا يستطعن مجاراة أحدث صيحات الموضة وتسريحات الشعر. وهنا يكون الحجاب قد قدم حلاً بسيطاً وتعويضياً. أما عن بعض البنات فيقلن أن ارتدائهن للحجاب جاء نتيجة لإلحاح أئمة المساجد في الترويج للحجاب وأهميته من على منابر المساجد وتصل أصواتهم لكل الناس عبر مكبرات الصوت. هؤلاء الدعاة والأئمة لا ينادون بالحجاب لعفة الفتاة فقط بل لصون آلاف من الشباب العاجزين عن الزواج في هذا الزمن. وبعض البنات يقلن أنهن ارتدين الحجاب خوفاً من عقاب الله برميهن في النار. إن الالحاح في الترويج للحجاب والدعاية له كما تقول البنات شديدة جداً من خلال الكثير من الملصقات التي تنتشر على حوائط المساجد والبيوت وفي فراغ؟ عليها يكتب :

"الحجاب فرض إسلامي" و "الحجاب يحميك من عيون الشياطين". وتقول نوال السعداوي وبناء على حوار فعلي دار بينها وبين أحد الدعاة ما يلي : " وسألت مرة أحد المشايخ المنادين بتحجيب النساء، لماذا تفرض على المرأة الحجاب؟ فقال : منعا للفتنة لأن المرأة اذا لم تتحجب فقد ينظر إليها الرجال وتثار شهواتهم وقلت : ولماذا تثار شهوات الرجال لمجرد النظر للمرأة التي لا تغطي رأسها فقال الشيخ : لأن الرجال ضعفاء تغلبهم شهواتهم. فقلت له إذاً

---

[291] Nawal al Saadawi: The Reader. P 18- 19,P 97, Nawal al Saadawi& sheriff Hatata, http://www.nawalalsaadawi.net/oldsites/articles/wlum.htm

المشكلة في الرجال ويجب أن تفرض عليهم الحجاب حتى لا ينظروا إلى النساء لا أن تفرض الحجاب على النساء"[٢٩٢].

أما في الأحياء الراقية في المدن المصرية الكبرى، فكان الأمر مختلفاً من حيث شكل الدعوة وإن كان الجوهر واحد ألا وهو الترويج للحجاب، فمثلا ومع إرتفاع نسبة التعليم نجد أن الفتاة والمرأة يتعرفان على الحجاب من خلال القراءة والإطلاع ومشاهدة البرامج الفضائية والإستماع إلى البرامج الإذاعية المتخصصة في شئون الدين، أو من خلال الندوات العامة في النوادي الكبرى. والطريف أن هناك الكثير من الآراء التي تؤكد على ضعف حجة معظم البرامج الدينية وضيق أفق مناقشاتها إلا فيما يختص بالحجاب فكل البرامج الدينية تقريباً تتفق في أن الحجاب فرض إسلامي. أما د. منى الفرنواني أستاذة علم الإجتماع في كلية البنات بجامعة عين شمس فهي ترى أن إنتشار الحجاب بين فتيات ونساء الأحياء الراقية يرتبط إلى حد كبير بكثرة عدد الداعيات الدينيات في مساجد تلك المناطق الراقية[٢٩٣].

ففي السنوات الأخيرة ظهرت بعض الداعيات المنتميات إلى الطبقتين المتوسطة والعليا وبتن يعطين دروساً دينية في النوادي والمساجد وكان لهن تأثير كبير في ارتداء النساء الحجاب وبخاصة مع التطور الذي شهدته خطوط الموضة في الحجاب. وبدأت بعض هؤلاء الداعيات لا يشددن في شكل الحجاب وشروطه فمثلاً بدأن لا ينادين بوجوب أن يكون الحجاب فضفاضاً واسعاً لا يبين جسد المرأة ولكنهن فقط ركزن على تغطية الرأس وكافة أجزاء الجسم دون تقييد ذلك بأية شروط. ومن هنا انتشرت أشكال مختلفة وغريبة لما يطلقون عليه حجاباً يتماشى مع الموضة الحديثة، بل وقام بعض الشيوخ في مساندة الحجاب- الشكل على حساب المضمون وأنقل لكم حادثة خلافية بالكتابة بين شيخ سعودي وبين نوال السعداوي التي تقول: " قرأت الكتاب الذي كتبه الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز وهو من ٢٣٠ صفحة وصادر عن دار الكتب السلفية

---

[292] السعداوي: توأم السلطة والجنس. ص ١٥٠، وفي نفس الكتاب في ص ٥١ وفي ص ٦٥ كتبت نوال ما يلي: " الختان والحجاب وحزام العفة وصوت المرأة عورة وقانون الطاعة والتوريث والطلاق والنفقة وغيرها من الحقوق التي يحظى بها الرجال دون النساء كلها لا علاقة لها بالأديان السماوية بل نشأت مع نشوء النظام العبودي وما سمي بالرق".

[293] نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب. ص ١-٢.

http://www.tabeback.com/vell.htm,9/7/2009

بالقاهرة عام ١٩٨٦. في الكتاب مغالطات دينية وتناقضات منها أن وجه المرأة عورة ويجب أن يغطى بالنقاب ويطالب المؤلف في الكتاب المؤسسات الدينية الإسلامية بشراء صفحة أو أكثر من مجلة "بوردا" الألمانية للأزياء وذلك لعرض الموديلات المتعددة لأزياء المرأة المسلمة ويكتب المؤلف بالحرف الواحد في كتابه ص ١٨٧ إن ألوف الدنانير التي ستصرف سنوياً على هذه الفكرة ستساعد في دفع المرأة المسلمة إلى التمسك بقيم الإسلام وإنقاذها من الخوف والشعور بالنقص والإستحياء وستؤثر على القريب والبعيد في حركة إصلاح العالم الإسلامي... وهكذا، تقول نوال: كتبت في مجلة "نون" مقالاً تعرضت فيه لهذا الكتاب بالتحليل العلمي المنطقي وقلت أننا النساء العربيات الواعيات لا ننفق مليما واحدا لقراءة مجلة بوردا أو أية مجلة نسائية للأزياء أو عرض الموديلات ونحن لا نرى أي علاقة بين مجلة بوردا والإصلاح الإسلامي كما أن الإسلام الصحيح لا يفرض على المرأة أن تخفي وجهها، لا عينا واحدة أو نصف عين. فالوجه هو هوية الإنسان، وإنسان بلا وجه هو إنسان بلا هوية. وتستطرد وتقول: تم إغلاق مجلة "نون" والجمعية التي تصدرها في ١٥ يونيو ١٩٩١ ولم تمض بضعة أيام حتى صدرت في السعودية جريدة "الأمة الإسلامية" وتحمل مانشيتا كبيراً في صفحتها الأولى يقول: حل جمعية نوال السعداوي وموضوع كبير يتهم الجمعية والمجلة بالزندقة والرذيلة ومعاداة الإسلام والآداب وفي النصف الآخر من الصفحة نفسها مقال بقلم الشيخ "باز" يدور حول آيات الله: واتقوا الله إن الله شديد العقاب..." ولم تصمت نوال أو تتقاعس عن الكتابة في الحجاب بل عملت جاهدة للبحث عن مؤيدين لأفكارها وكان أن وجدت تاييداً من أحد الأساتذة المتخصصين في المغرب العربي الشقيق وعن رأيها في كتاباته وكيف أنه استفاد من آرائها كتبت: " عن الدكتور المغربي أحمد الأبيض وكتابه "مقاربة إسلامية للاستيلاب النسائي" الذي كتب مؤيدا كتاباتي عن أن جمال المرأة ليس هو الماكياج والأزياء والغلاف الخارجي ولكنه جمال العقل وذكاؤه وفاعليته وصحة الجسم ونظافته وتوازن النفس وسلامتها وأن تقلع المرأة عن أن ترى الجمال في تراكم الشحم والوهم وادعاء الضعف والسلبية، وقد استفاد من كتابي "الوجه العاري للمرأة العربية" فذكر أن المرأة ليست جسدا فحسب. ومن كتاب المرأة والجنس استشهد الدكتور الأبيض بأن المرأة انسان لها عقل مبدع وأن اليدُ خلقت لتعمل وتبتكر أما اليد العاطلة قبيحة"[٢٩٤]. وكتبت أيضا ما

---

[294] نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس. ص ١٨٤-١٨٥، ص ١٩٦- ١٩٧.

يلي : "... المجتمع بنظمه وقوانينه ومؤثراته وضغوطه يكبت المرأة فيعوق هذا الكبت نموها الفكري والنفسي ويحول دون تحررها من السلبية والاعتماد على الآخرين وتظل كالطفل في مراحله الأولى من النمو عاجزاً عن الإستقلال والإيجابية وحرية الفعل. لكنها تختلف عن الطفل في أن جسمها لا يكون طفلا صغيراً وإنما يكون قد أصبح جسداً كبيراً ناضجاً" [٢٩٥] . وأيضاً كتبت : " والإنسان الذي فقد ذاته أو نفسه لا يستطيع أن يحب ، فالحب توكيد لثقة الإنسان في ذاته وامتداد لحبه لنفسه ليحب سائر البشر. والمرأة من خلال ضغوط المجتمع والكبت فقدت ذاتها وفقدت ثقتها في نفسها . ولعل أكبر دليل على عدم ثقة المرأة بنفسها هو تلك المساحيق الكثيرة التي تحاول بها إخفاء حقيقتها وتلك الطبقة السميكة من الطلاء التي تتنكر تحتها . لقد فقدت المرأة ثقتها في نفسها إلى الحد الذي أصبحت فيه عاجزة عن أن تواجه الناس بوجهها الحقيقي. ومن النادر أن نجد امرأة على قدر من الشجاعة والثقة بالنفس إلى الحد الذي تخرج به من بيتها بوجه مغسول نظيف بغير مساحيق" [٢٩٦] .وهذه الكلمات وببساطة تفسر لنا موقف النساء من الحجاب. فهناك تضارب شديد بين دوافع كل جماعة من النساء في ضرورة ارتداء الحجاب ويعطي لنا تفسيراً لماذا ليس هناك اتفاق عام بين مرتديات الحجاب على أسباب ودوافع محددة للدعوة إلى الحجاب والعودة بالمرأة إلى البيت؟ وما هو الشكل الصحيح للحجاب. وما حكم الشرع في المرأة التي تغطي شعرها لكن تطلي وجهها بألوان مبهرجة من خلال المساحيق وأدوات الماكياج العالمية .

على أي الأحوال قد شجعت هذه الكتابات والأقاويل المروجة للحجاب والمعادية للحجاب على حد سواء ، الفتيات من أعمار صغيرة على ارتداء الحجاب والنقاب لأن التشكك بدأ يصيب المشاعر الدينية بكثافة أقوى عن تأثيرالتفسيرات العقلية . وقد صاحب الحجاب شيوع فكرة أن الفتاة المحجبة هي الأصلح للزواج. فباتت كثيرات من المحجبات يسارعن إلى ارتداء الحجاب أملاً في الفوز بزوج مناسب خاصة مع ارتفاع نسبة العنوسة بين الفتيات في مصر والتي شملت ٩ ملايين فتاة مصرية وفقاً لأرقام الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء [٢٩٧] . إنه ذلك الحجاب-

---

[295] نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص ٥٢ ،

[296] نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص ١٦٤ ،

[297] نشوى الحوفي : نفس المرجع السابق، ص ٤ ،

الشكل الذي هاجمته نوال السعداوي وغيرها من المفكرين والكتاب حيث بات الأمر وكأن المهم فقط هو تغطية الشعر مع ارتداء الجديد من خطوط الموضة حتى تصل في كثير من الأحيان إلى ارتداء "الجينز" الضيق الصارخ. وأصبح لمثل كلام السعداوي وغيرها أهمية أخلاقية إذ يطرحون أسئلة مهمة جداً: ما الداعي لتغطية الرأس والعينين وتردي الأخلاق وانفلاتها؟ أو ما يعنيه الشعور بالحماية والأمان في ظل الحجاب؟ أو ما يعنيه ذلك الأمان مع اللباس الذي فقد في كثير من الحالات، حتى بعده الديني والشرعي ولا نستطيع أن نسميه باللباس الإسلامي، طالما أن رأس الفتاة أو المرأة مغطى؟

إن الدعوة إلى رفض الحجاب في مصر واعتباره من الموروثات الإجتماعية المتخلفة التي يجب تحرير المرأة منه، قد تحولت من موروث اجتماعي إلى فرض ديني - كيف. خاصة وأن مصر ما عرفت الحجاب أو فرضه على كل بنات المجتمع كما يحدث اليوم؟

وتقول نوال السعداوي بالرجوع إلى التاريخ سنجد أن الحجاب والكلام فيه وعنه كان سابقاً للإسلام فالمسيحيات كن يغطين رؤوسهن في الكنيسة أي يحجبن، واليهوديات المتحفظات المتمسكات بالدين لابد وأن يخفين شعورهن. حتى الرجل اليهودي المتدين يغطي رأسه احتراماً للعادات الدينية، وأن النظام العالمي الجديد لن يتأتى له السيطرة على العالم كله إلا بتقوية العصبيات والأفكار المتشددة بحجة الدفاع عن الأصالة والذات الثقافية. وفي كتاب آخر تضيف: " في رأيي أن عبارة العودة إلى الروحانيات لا تختلف كثيرا عن عبارة العودة إلى الأديان التي تطلقها الحركات الدينية السياسية المسيحية والإسلامية واليهودية والبوذية والهندوكية.. الكل يستخدم نفس العبارات ويقولون أن الحضارة الغربية هي حضارة مادية ولهذا أدت إلى تعاسة الإنسان، لكن العودة إلى الله أو الدين هي التي سوف تنقذ الإنسان وتملأ قلبه بالإيمان والسلام والسعادة.. كلمات بلا معنى وقد تخفي تحتها ما ينتهك السلام الحقيقي والقائم على العدل". والحقيقة أننا إذا راقبنا طريقة كتابة نوال السعداوي وتحليلها للقضايا الآنية بنوع من العقلانية والموضوعية نجدها مختلفة عندما جاءت مرتبطة بفترة عملها النشط في منظمة التضامن النسوى واحتكاكها بالكثير من المفكرين والنشطاء مما أتاح لها فرصة حقيقية في التغييروفي النزول من البرج العاجي للمبدعين والمفكرين والإقتراب أكثر من الناس. هي نفسها تغيرت وتغيرت طريقة تعبيرها من الهجوم الخاص إلى العام من مجرد التركيز على هيمنة الذكر

على الأنثى وتدني مكانة المرأة إلى قضايا فكرية أكبر وأعم وتخص المجتمع كله. حتى الهجوم عليها تحول من هجوم أشخاص إلى هجوم حكومات وجماعات، خاصة من دول الخليج وعلى رأسها السعودية[٢٩٨].

والحقيقة التاريخية التي نود أن نشير إليها أن الدعوة إلى التخلي عن الحجاب في مصر انطلقت منذ عهد محمد علىّ باشا وتحديداً منذ عام ١٨٢٦، مع بداية إرسال البعثات المصرية للتعليم في فرنسا. ولكن لم تلق دعوة محمد علىّ قبولاً أو استحساناً من قبل رجال الدين ولا من بين المثقفين المصريين. وبعد الإحتلال البريطاني لمصر تجددت فكرة مهاجمة الحجاب وقام مرقص فهمي المحامي الذي يُقال أنه كان صديق اللورد كرومر بتأليف كتاب بعنوان: " المرأة في الشرق". وقد نادى في هذا الكتاب بضرورة القضاء على الحجاب. وفي عام ١٨٩٤ صدر كتاب آخر لمناهضة الحجاب كان من تأليف كاتب فرنسي يدعى "الكونت داركور". وقد هاجم في كتابه المثقفين المصريين لقبولهم الحجاب وصمتهم عليه. وفي عام ١٨٩٩ ظهر كتاب "تحرير المرأة" لقاسم أمين الذي دعا فيه إلى السفور وخلع "البرقع" لأنه ليس من الإسلام. وقد حظي هذا الكتاب بتأييد أحمد لطفي السيد والزعيم المصري سعد زغلول، وكان من بين المعارضين له الزعيم الوطني مصطفى كامل الذي وصف الكتاب بأنه مهين للمرأة ويروج لأفكار البريطانيين. وقد أصدر الاقتصادي المصري الشهير طلعت حرب كتاباً بعنوان: "تربية المرأة والحجاب" قال فيه أن رفع الحجاب وإباحة السفور كلاهما أمنية تتمناها القوى الإستعمارية على مر العصور. مما اضطر قاسم أمين لإصدار كتابه الثاني بعنوان: "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠ الذي ضمنه آراءً حديثة لبعض العلماء الغربيين عن ضرورة سفور المرأة وتحريرها.

ومع اندلاع ثورة ١٩١٩ ومشاركة النساء فيها بشكل قوي وفعال بجانب الرجل بدأت الدعوة تتجدد عن رفع الحجاب إلى أن قامت هدى شعراوي بخلع الحجاب ورميه على الأرض. وفي عهد ثورة ١٩٥٢ لم تشهد مصر صعوداً في أعداد المحجبات فقد كانت الثورة ترفع الشعارات الإشتراكية حتى جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧ التي صورها البعض على أنها "عقاب إلهي" بسبب

---

[298] من حوار السعداوي لقناة الجزيرة في يونيو ٢٠٠٦، ص١٠، El Saadawi: The reader. P 39- 40، El Saadawi: Hidden Face. 196.

، نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ٩٢- ٩٣، السعداوي: أدب أم قلة أدب، ص ١٠٣.

عدم الإلتزام بالتعاليم الإسلامية ومهد هذا الطريق إلى إنتشار التعاليم الإسلامية السلفية التي تبناها " الشيخ الشعراوي" الذي كان أحد المتشددين في رجوع المرأة إلى حجابها[٢٩٩]. وقد اختلفت نوال السعداوي مع الشيخ الشعراوي وطاله منها العديد من الإنتقادات التي منها قولها أنه كان لا يتعدى اللفظ. وهي ترى أن النص القرآني يتعدى اللفظ ويدافع عن الجوهر. وكانت دائماً ما تتهمه بانه صنيعة السياسة والإعلام، وتقول أن الحكومة تريده أن يتكلم مع الناس لأنها تريد فرض حجاب العقل، حيث أشارت كثيراً إلى العلاقة القوية بين السياسة والدين في الترويج للحجاب للسيطرة على عقول الناس[٣٠٠]. وأيضاً كتبت: " أصبحت الطاعة مفروضة على المرأة بقوة القانون والدين ومن هنا فرض عليها الحجاب حتى لا يراها رجل غير زوجها وفي بعض الأحيان يفرض على المرأة عدم الخروج من البيت حتى لا يراها أحد، وهي محاولة السلطة للتحكم في أجساد النساء أو سلوكهن الجنسي بحيث يتاكد الرجل من أبوته للأطفال أو على الأقل تقل شكوكه وتخوفه أن يرث أمواله أطفال رجل آخر........ أما أخطر السلطات فهي السلطة داخل الأسرة في البيت حين يصبح من حق الرجل أن يمنع المرأة من الخروج أو العمل ويفرض عليها الحجاب. لقد انتشرت ظاهرة تحجيب النساء في السنين الأخيرة وهي دليل على ترابط السلطة السياسية مع السلطة الدينية، تدعمها السلطة التعليمية والإعلامية وأصبح من المألوف أن نرى على شاشة التليفزيون الرسمي والمملوك للحكومة هذا الشيخ الإسلامي الوقور الذي يشجع النساء على التحجب درءا للفتنة وحفاظا على الأخلاق تعقبه على الفور راقصة شبه عارية يتلوى جسدها بحركة إغراء جنسية، إعلانا عن بضاعة أمريكية جديدة أو سلعة مستحدثة من منتجات الشركات متعددة الجنسيات.... "وإذا كان الرجال هم السادة في المجتمع دعوا النساء إلى الإلتزام بقيم الشرف والعفة ليضمنوا خضوعهن على حين ينطلق الرجال مبيحين لأنفسهم الإستمتاع بكل ما حرموه على النساء.... ومن هنا ندرك أن للمجتمع مقياسين للحكم على الشرف وأنه فرض العفة على النساء وحدهن ونتج عن ذلك تلك الظاهرة الاجتماعية الغريبة، وهي أن المرأة تتحاشى الرجل لتحافظ على شرفها، لكن الرجل يطارد

---

[299] نشوى الحوفي: نفس المرجع السابق، ص ٥-٦.

[300] من حوار مع نوال السعداوي مع سامي كليب: نوال السعداوي.. سيرة متمردة، ٢٠٠٦/٦/١٧.

http://www.aljazeera.net

المرأة لأنه يريدها ولأن مطاردتها والاتصال بها لا يعيبه في شيئ ويظل الرجل يطارد الفتاة مستخدما في ذلك شتى الحيّل، مرة الحب الجارف، ومرة الوعود بالزواج ومرة التفاني في الإخلاص... ويقول بعض الناس أن شرف الرجل في غير حاجة إلى دليل. فهل معنى ذلك أن كل الرجال في حكم المجتمع شرفاء؟ ويرد البعض قائلين إن شرف الرجل يختلف عن شرف المرأة، "الرجل لا يعيبه إلا جيبه" مثل شعبي من الأمثلة الشائعة في مجتمعنا. ومعنى ذلك أن الرجل شريف طالما هو يعمل ويكسب مالاً بصرف النظر عن علاقاته الجنسية بالنساء، بل إن الرجل في مجتمعنا يفخر بتعدد علاقاته مع النساء ويعتبر ذلك نوعا من الانتصار والفوز"[٣٠١].

وفي تسعينيات القرن العشرين ومع تعاظم دور الدعاة الجدد من أمثال الدكتورعمرعبد الكافي والشيخ عمرو خالد والشيخ خالد الجندي والذين طال دورهم أبناء الطبقة الراقية والتي عرفت بهذا بسبب المستوى المالي الذي تحقق من الإستثمارات الحرة أو العمل في دول الخليج وما إلى ذلك من أنماط الإقتصاد الحر بفضل سياسة الإنفتاح الإقتصادي التي بدأها الرئيس السادات وأكمل مسيرتها محمد حسني مبارك والذي في عهده انتشرت الفضائيات وتنامى "البيزنس"- أي الإستثمار الحر وأقبلت كثيرات من النساء الثريات على الحجاب الحديث الذي أصبح له "بيزنس" خاص. أي انتشار محال لبيع العبايات والقطع المكملة للزي الإسلامي. وانشاء مصانع صغيرة لتصنيع أغطية الرأس وشرائط الكاسيت التي تتحدث عن الحجاب وضرورته للمرأة المسلمة. وانتشرت الدعاوي المكملة لهذا الفكر حتى وصلت إلى المناداة إلى انشاء نوادٍ خاصة للملتزمين دينياً. وقد أعلنت الكثيرات من الفنانات المصريات اعتزالهن الفن وارتداء الحجاب، واعلان توبتهن عما مضى[٣٠٢].

وعن المستفيدين من العمل في مجال مناصرة المرأة كتبت السعداوي: "بعض الأقلام في مصر من الرجال بدأت تتبنى الأفكار الداعية لتحرير النساء المصريات من القهر الواقع عليهن من جراء القوانين خاصة قانون الأحوال الشخصية ومن جراء عودة الأفكار البالية ومنها عزل النساء عن الحياة العامة وايداعهن البيوت، ولكن الظاهرة السلبية هو تراجع المرأة عن تحرير

---

[301] السعداوي: توأم السلطة والجنس. ص ١٢، ص ١٥، ص ٣٦، نوال السعداوي: المرأة والجنس. ص ٤٠، ص ٤٦،
El Saadawi: Walking Through Fire. P69

[302] نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب. ص ٦-٧.

نفسها وتقليدها النساء الأمريكيات حتى في العودة إلى البيت تحت اسم مشاعر الأمومة... وسألت أحد الرجال في مصر الذي بدأ يكتب مقالات نارية عن تحرير المرأة المصرية من القهر الواقع عليها عن مدى إيمانه فعلا بما يكتب وضحك الأديب الصحفي وقال منعوني من الكتابة قلت أكتب في قضية المرأة بعيداً عن السياسة." وتضيف نوال: أدركت لماذا يحظ هذا الصحفي بمساحة كبيرة في الصحف والمجلات وأصبح بطلا من أبطال تحرير المرأة.......... وسألت إحدى الكاتبات المشهورات لماذا لا تشمل المرأة ضمن الموضوعات السياسية التي تكتبها. قالت بذعر: "عاوزاهم يعملوا فيّ اللي عملوه فيكي"[٣٠٣]. وفي موضع آخر كتبت: "... نحن في دولة نامية يحكمها رجل واحد مثل الإله الواحد عند الموحدين. إذا أطعته فسوف تصلين إلى القمة، أما إذا تمردت وأعلنت العصيان فسوف تدفنين في أسفل السافلين.. عرفت من يتكلم من صوته. كان أحد زملائي من الكتاب الرجال. سألته: كيف تقول شيئاً وتكتب شيئاً آخراً؟ فرد عليّ وهو يضحك ألا تؤمنين بالديمقراطية؟"[٣٠٤].

وعن الديمقراطية كتبت: "الآن وبعد أن سافرت إلى معظم دول العالم اكتشفت حقيقة هذا الشيئ الذي يطلقون عليه "الديمقراطية" إنها كلمة بلا معنى- لا شيئ هي حجاب وقناع مثلها في ذلك مثل كلمات كثيرة: "الله"-"الدين"-"السلام"-"العدالة". كلمات ُتستغل في فرض القوة والهيمنة ولتبرير القتل والقمع والقوامة".... إن الحجاب المضروب على العقل أخطر من ذلك الحجاب المصنوع من قماش... من خبرتي في التعامل مع علماء وأساتذة من أوروبا ومن أمريكا الشمالية عرفت ما هي أسباب حرب الخليج والحرب في الصومال وفي البوسنة والحرب ضد الفلسطينيين وغيرها من الحروب في كل مكان.. إنه ذلك النوع من غسيل العقول الذي تقوم به وسائل الإعلام في كل مكان. إذا كانت وسائل الإعلام استطاعت تغيير آراء الأساتذة والمتعلمين وتوجههم ضد العدالة فما بالنا بالبسطاء من الناس!!!"[٣٠٥].

هذه هي نوال السعداوي وكتاباتها هي عقلها الذي أخذت القارئ معي في رحلة طويلة في كتبها وفي عراك وصدام معها ومع آرائها وأفكارها. وحاولت جاهدة أن أشرك القارئ في الكثير

---

[303] نوال السعداوي: توأم السلطة والجنس، ص ٢١٣-٢١٤.

[304] El Saadawi: Memoirs from the women's prison. P 118.

[305] El Saadawi: Memoirs from the women's prison. P 200.

من المواجهات مع هذه الكاتبة ، وطالبته مخيراً أن يتحاور مع عقل هذه الكاتبة وغيرها من العقول التي يمسك أصحابها بأقلام ليكتبوا خبراتهم لعلنا نستفيد منها. أحلم بيوم طرح الأفكار الحرة، وأن تكون مسالة الإختلاف أو الإتفاق ليست الغالبة في مناقشاتنا لهذه الأفكار. المهم هو الأفكار وطرحها يكون حراً ومناقشاتنا لها تكون حرة، نستمع للرأي والرأي الآخر باندهاش المعرفة حتى وإن لم نتفق معها. هل يتحقق الحلم؟

# خاتمة

إن هدفي من هذا الكتاب ليس إعادة الكتابة في موضوع المرأة وتاريخ نضالها في بلادنا العربية فحسب. فقد كتب فيه الكثيرون وبحثوا ورصدوا، ولكنني أردت أن أكتب عن المرأة العربية رهينة السلطتين السياسية والدينية. فانا لا أريد ازعاج القارئ في عالمه المألوف بادعاء تقديمي للحقيقة التي لا يعرفها عن العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع المصري بوجه خاص والعلاقة بين الرجل والمرأة في أماكن متفرقة من العالم العربي بوجه عام. أو حتى لا أريد الادعاء بأنني ساضيف الجديد عن تاريخ المرأة العربية في علاقتها بمجتمعها أينما كانت. فالحقيقة هي أنني أريد أن أفتح الأبواب وأترك ملكية الحقيقة لأصحابها من الباحثين والباحثات الذين قد يجدون في ثغرات بحثي فرصة إلى البحث في إجلاء المزيد من الغموض. أو أن أترك للذين يجدون رأياً مصيباً أو مكتملاً في بحثي أن يكملوا المسيرة، وأتمنى أن لا يتوقفوا عن "النبش" في موضوع المرأة العربية لأنها وبغض النظر عن تمثيلها لأكثر من ٥٠٪ من العدد الإجمالي للسكان، فإنها فعلاً تعاني من الكثير من الإنتقاص في حقوقها المدنية والسياسية والإقتصادية. وإذا كنت قد قدمت النقصان في الحقوق المدنية عن النقصان في الحقوق السياسية والتي يرى الكثيرون أنها حقوقاً مرفهة أو يجب أن تحصل عليها المرأة بالإجتهاد والتعب لا أن تمنح حقوقاً سياسية لا تعرف مسئولية الدفاع عنها. وبرغم من هذه الأقاويل المؤيدة لعدم منح المرأة حقوقها السياسية كاملة، فإن الواقع أمرّ من مجرد المناقشة والتحاورحول الحقوق السياسية، فالمرأة العربية تعاني من انتقاص كبير في حقوقها المدنية والتي من المفترض أنها متاحة ومحققة على أرض الواقع.

وأعتقد أننا وعلى الرغم من التقدم الذي يحيط بنا شئنا أم أبينا وعلى الرغم من السرعة في انتشار مقومات التقدم في العالم كله، إلا أننا سوف نتقدم أكثر وسنعيش بشكل أفضل بغض النظر عن السرعة إذا تخلينا عن فكرة البحث في المألوف والمعتاد. وتبنينا مبدأ "النبش والتشكيك". ليس التشكيك في الذمم والضمائر ونشر التخوين بين الناس وهي عادة رجال السلطة ورجال الدين الذين يرهبون العامة والبسطاء من الخوف من الله ومن عقابه في الآخرة للحد من انطلاقاتهم الفكرية التي إن عادت قد تعيد إلينا إنسانيتنا المسلوبة والتي

يعيقها التخويف والترهيب. نريد "النبش والتشكيك" في كل ما لدينا من ثوابت وحقائق في السياسة وفي الدين على وجه التحديد. هذان العنصران اللذان تغيرت لهما كتب ومناهج تعليمية في المدارس شوهت التاريخ وطمست بعض الحقائق وأضافت العديد من المعلومات المغلوطة لتشكيل وعي الناس وبرمجة عقولهم بطريقة تسهل معها القيادة وفرض الرأي.

لم يعد يصلح في رأيي خلط المعلومات وتأجيل وصولها إلى مستحقيها كاملة بلا تشويه أو بتر. لم يعد صالح تقديم مجرد الصور المثالية بل المطلوب الصور والحقائق الفعلية كما هي بلا تزييف أو تجميل، وإلا سنضيع وستضيع هوياتنا وشخصياتنا ونصبح مجرد شعوب تأكل وتشرب وتنتظر نهايتها. نكون شعوباً لم ولن تسهم أبداً في بناء المستقبل الذي لن يكون بالإنتاج الإقتصادي فقط بل بالإنتاج الفكري والثقافي القوي. فالغلبة في المستقبل للثقافات القوية لا الثقافات الهشة التي يستطيع الضعيف من أمواج البحور محوها فما بالنا بالأعاصير القوية!! ولكن الأعاصير مهماً بلغت قوتها فلن تقوى على الثقافات القوية المشاركة في بناء المستقبل لا الثقافات التي تنعزل وتضعف وتسحب الناس إلى الوراء.

إن الحرب الكونية الآنية ومعاني السيطرة والهيمنة تتركز في قوة المعلومات ومن يملك الوصول إليها. هذا في الوقت الذي مازالت تنشغل فيه أنظمتنا العربية بكيفية إخفاء مصادر المعلومات وغلقها. مازالت رؤية الساسة في بلادنا عاجزة عن فهم أن حظر المعلومات أو تأجيلها هو أمر مستحيل الآن. فمصادر المعلومات كثيرة والوصول إليها يسير ومن يبحث ويطلع لن يكون مثل الذي يجلس أمام الكمبيوتر ليلعب ويتسلى ويلهو. اللعب والتسلية واللهو وسائل تم اختراعها لإلهاء الشعوب الضعيفة عن متابعة التطورات العالمية ليكون هناك عالم أول وعالم ثاني وعالم أقل من الأرقام المعروفة علمياً. وشعوب هذه العوالم المتأخرة لن يكون لها نصيب في المشاركة في النظام العالمي الجديد وستظل على الهامش حتى تتآكل من نفسها وتنتهي، لتفسح مكاناً لغيرها من الشعوب القوية.

وعلى العالم العربي أن يدرك أنه لن تكون له فرصة المشاركة في حرب المعلومات إلا إذا سمح بتعلم المرأة. وأن يفسح لها مساحة في المشاركة في كل شيئ بدءً من صنع القرار وانتهاءً بالدور التقليدي الذي توارثته جيلاً بعد جيل. إن المجتمع القوي والذي يحكمه حاكم قوي هو قوي في كل شيئ ولا اقصاء فيه لأحد، خاصة المرأة التي هي وراء كل شيئ وشريكة في الخلق، كأم

وكزوجة وكأخت وكقلب ينبض بالحب ويشع الجمال في كل شيئ. كيف يكون المجتمع من غير المرأة متواجدة وفاعلة ومنتجة؟

وإذا كنت لا أستطيع أن أنكر أن خروج المرأة العربية إلى ميدان العمل في عصرنا الراهن ما كان من ورائه إلا المزيد من المعاناة بل ومحاولة حرمان المرأة من سيادتها على قراراتها، ولكن ما لا يمكن أن ينكره أحد أو يتجاهله أن المرأة العربية قد إستطاعت فعليا الخروج و الوصول إلى كفاءات علمية عالية أهلتها إلى أن يكون لها نصيبها من المشاركة في العمل الإنتاجي خارج المنزل، ولها إسهاماتها في ممارسة المهن الحرة والفنون، وإذا كانت معاناة المرأة واقعاً ملموساً وظاهرة للعيان، إلا أن مشاركتها الكاملة في صنع القرار قادمة لا محالة وليس بقرار فوقي بل بفعل التطور الذي يفرضه واقع تطور وعي النساء بقضايا مجتمعاتهن عامة وبخصوصية قضاياهن الذاتية بشكل خاص، لأنه وببساطة التاريخ لا يرجع للوراء بل يسير للأمام، وربما تقف العديد من العقبات في طريق الناشطات العربيات اللائي ينشدن التغيير وتبطئ من حركتهن وتصيب البعض منهن بالإحباط إلا أنه ومرة أخرى الزمن لا يقف ولا يرجع إلى الوراء.

في هذا الكتاب أردت أن أربط بين العام وبين الخاص. أردت أن أربط بين تطور تاريخ الحركة النسائية المصرية في علاقتها بالمحيط العربي والعالمي المزامن لنشأتها وانعكاس هذا التطور على نشاط النساء المبدعات والمفكرات في بداية القرن العشرين وكيف أن الإنقلابات السياسية التي مرت بها مصر والمنطقة العربية قد أثرت سلباً على تراجع الحركة النسائية إلى الوراء بتجميدها في إطار ضيق بعد قيام ثورة ١٩٥٢. وأردت أن أربط بين التزاوج بين السلطة والدين وكيف أثر ذلك أيضاً بالسلب ليس فقط على الحقوق الممنوحة للنساء بل وهذا هو الأهم التأثير السلبي على وعي الجماهير العريضة وانعكاس هذا على إحساس النساء بعدم الأمان ومطالبتهن بالحجاب . إن قضية الحجاب هي إحدى القضايا الشائكة بين معاني الأسلمة وإدعاء التخلف ولكنني أقول من خلال البحث أن المرأة تبحث عن الأمان المفقود في الحجاب كزي وكعقيدة قيل أنها من أساسيات الإسلام والحقيقة الدينية والتاريخية تخالف هذا، ولكن تزاوج السلطة السياسية والسلطة الدينية فرضت هذا الفكر الذي صار مهيمناً على العقول. صار الحجاب علامة على التمسك بالإسلام في حين أن الرجال المسلمين لا يحتاجون إلى علامة تشير إلى إسلامهم الصحيح. إن الدعوة إلى الحجاب وما وراءها من مقاصد عديدة خفية وظاهرة مقصود بها النساء

على وجه التحديد، لأنه وببساطة إذا أردت أن تسيطر على مجتمع ما فيجب أن تسيطر على نسائه وتحد من حركتهن وحريتهن وزرع أفكار التخلف والدونية وقبول المرأة نفسها بأن تكون في مرتبة متدنية عن الرجل. بل وتقبل أن تكون الزوجة الثانية أو مهيضة؟ الجناح لأنها تؤمن وتصدق بأن الشريعة الإسلامية تنادي بهذا وبأن الرجال قوامون على النساء. وأنه على الرجال حكم الانفاق واعالة النساء، وعلى النساء حكم الطاعة. وينسى الجميع رجالاً ونساءً في زحمة المشاكل التي يعاني منها المجتمع أن الله عادل ساوى بين البشر وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وليس صحيح أن الشريعة تحكم بتدني المرأة عن الرجل ولكن المسالة تحتاج إلى نضال وصبر حتى يُستخلص أفضل ما في الشريعة من قوانين عادلة تنشر الحب والسلام بين الناس ولا تنصر أحداً على أحد أو تنتقص من حقوق أحد لأن الله هو العدل.

وأخيراً أضيف أنني بدأت هذه السلسلة بتحليل أعمال وكتابات د. نوال السعداوي لأنها خير نموذج على "النبش" وعلى البحث وعلى المطالبة بتحرير العقل. لا أتفق تماما معها وأيضاً لا أختلف تماما معها. فهذا الكتاب ليس للتأييد أو التفنيد والرفض. إن هذا الكتاب ثمرة جهد وتعب للتثوير وإعادة قراءة النصوص من جديد. أي نصوص؟ قد يسالني سائل أي نصوص تقصدين أن يعاد قراءتها، وأرد وببساطة كل النصوص: دينية، وتاريخية، وسياسية وفي كل المجالات. فلا يصح في عصر ثورة المعلومات وتوفرها بين يدي كل إنسان في كل بقعة من بقاع العالم، وما زال البعض منا يتداول معلومات خاطئة ومغلوطة لأن المؤرخ الفلاني والشيخ العلاني والسياسي المحنك قالوا لنا هذا. إن العلم ليس حكر على أحد والمعلومات ليست حكراً على ناس دون ناس. كل المعلومات متاحة ولكن أمامنا حرب ضروس لنشر تقبل البحث عن الحقيقة وتصحيح الأخطاء فقد ظهر في مجتمعاتنا العربية طبقات من الناس ترتزق من التشكيك.

تشكيك الناس في تقبل الجديد. تشكيك الناس في تقبل حقيقة أن بعض ما يعتنقونه من حقائق مغلوط ويجب أن يعيدوا تصحيح مسارهم.

إن عملية إصلاح المسار هي مفتاح ثورة المعلومات ومن يملك هذا المفتاح ويقاتل نفسه أولاً قبل أن يقاتل الآخرين سوف يملك قراره. لأنه وببساطة سيكون صاحب قرار مفتوح العينين على الحقيقة غير مختبئ وراء حجاب عقلي يعيقه عن الوصول إلى شمس المعرفة.

وأخيراً أيها القارئ العزيز أتمنى أن أكون أسهمت ولو بقدر قليل في فتح العيون والأذهان على نوافذ كانت مختبئة خلف حواجز الإنعزال وغيوم التخلف فقط لأننا لا نشعر بالأمان الذي سرق منا حريتنا وجعلنا نقبل بنصف الحقيقة وأحيانا لا نعرف عنها شيئاً .

# المصادر والمراجع

## الدوريات العربية

*ابراهيم عوض : المرأة والدين والأخلاق بين نوال السعداوي وبين هبة رؤوف.

http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=6860, 5/19/2009

*أحمد أبو زيد : أخبار التحرك التنصيري في بلاد المسلمين، التنصير في بلد الأزهر ومخطط الإساءة للإسلام وازدرائه.

http://fadaknews.shiaunion.com/Preaching%20Salibi/2008/Salibi0065.htm

*أحمد عادل هاشم: حتى في الأمومة والطفولة.. وتنظيم الأسرة الرجال يقودون الحركة النسائية في مصر، مركز الأخبار أمان،

http://www.amanjordan.org/arabic_news/wmview.php?ArtID=1424 , 5/8/2009

*أزمة الحركة النسوية العربية في ظل التحولات الدولية. الفضائية- الأرشيف/٢٠٠٩/٥/٨

* اسماعيل أحمد : الأسرة المسلمة : أسرار الحركة النسائية في مصر،

http://www.egyig.com/public/articles/family/11/21299659.shtml, 5/8/2009

*إسلام أون لاين : حواء وآدم،

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2005/11/article02.shtml,9/7/2009

*اسلام أون لاين- حواء وآدم- نساء العالم في المعركة الغلط.

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&pagename=Zone-Arabic-Ada 11/17/2009

*اسلام اون لاين. نت- حواء وآدم- المرأة العربية في عيدها.

http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1173695328363&pagena, 5/19/2009

*أمل الجمل : نوال السعداوي في "الرواية". شخصيات تبحث عن الحب والحرية وأشياء أخرى.

http://www.arabworldbooks.com/Readers2005/articles/novel.htm, 5/7/2009

*بمعزل عن العدالة : حرمان المرأة من المساواة في حق الطلاق في مصر.

http://www.hrw.org/ar/node/11889/section/3, 5/8/2009

*تقرير حقوق الإنسان الدولي لعام ٢٠٠٧ : أصدره مكتب الديمقراطية وحقوق الإنسان والعمل. سفارة الولايات.

*تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان. القسم الرابع نوال السعداوي وجمال البنا.
http://www.eohr.org/ar/report/2004/re1021-4.htm

*تقرير مسجل : واقع الحركة النسوية العربية. تاريخ الحلقة ٢٠٠٤/٤/١٩

*تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان : دفاعاً عن حرية الفكر والابداع : الضبطية القضائية للأزهر مطرقة على حرية الفكر.

*التمكين السياسي للمرأة المصرية : هل الكوتا هي الحل.

http://www.maatpeace.org/Arabic/DetailsPage.aspx?PageID=118

*جمهورية مصر العربية- مصر الآن- الأسرة والطفل- المرأة المصرية- مدونة على الإنترنت.

*حازم خيري : المرأة في الفكر الأنسني، رابطة أدباء الشام،

http://odabasha.ipower.com/show.php?sid=20772

*الحركة النسائية في مصر تهرب من الشارع إلى الإنترنت- مركز الأخبار والدراسات- أمان، فبراير ٢٠٠٩

*الحركة النسائية في مصر،

http://www.forumtiersmonde.net/arabic/Social_Action_in
_Arab_Countries/feminist_move, 5/8/2009

*الحملة الدولية : توقفوا عن قتل ورجم النساء.

: http;//www.stop-stoning.org/node/51, 8/10/2009 ،
stop

*حوار مع نوال السعداوي : نوال السعداوي سيرة متمردة.

http://www.aljazeera.net/NR/exrexs/3FE6d7FF-9C36-
46B5A2-65EBFCC93D7.htm

*حوار مع نوال السعداوي. نوال السعداوي والاعلام- منتدى الناقد الاعلامي.

http://naqed.info/forums/index.php?s=c0e2cea3c0b4d64905
f0c64f8f814e0e&showtopics=7561, 5/19/2009. P 3

*حوار مع نوال السعداوي : نقطة نظام : مع نوال السعداوي (كاتبة مصرية) - مركز الدراسات أمان.

http://www.amanjordan.org/aman_studies/vmview.php?ArtI
, 5/19/2009D=1265

*حول قضايا المرأة والمجتمع والتنمية في منطقتي المشرق والمغرب :

http://old.crtda.org/macmag/www/Arabic/newsletter_rasse
d_may01.htm, 5/7/2009

*خالد قطب وآخرون : الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الإسلامية، المجتمع المصري نموذجا.

*خليل العناني : انتفاضة نسائية أم حركة نسوية مصرية؟

http://arabmag.blogspot.com/2007_09_01archive.html,5/7/2
009

*دفاعاً عن حرية الفكر والابداع. الضبطية القضائية للأزهر. تقرير المنظمة المصرية لحقوق الانسان

http://www.eohr.org/ar/report/2004/re1021-4.htm, 5/19/2009

*رأفت صلاح الدين: الليبرالية والمرأة.

http://www.alqlm.com/index.cfm?method=home.con&contentid=920, 9/9/2009

*سعد الدين ابراهيم: المرأة في مصر والعراق، الأخوات المسلمات وانتخابات ٢٠٠٥، مركز بن خلدون للدراسات الإنمائية،

http://www.eicds.org/Arabic/publicationsAR/reports/series5/_5

*سعد الدين ابراهيم: ماذا حدث لحفيدات هدى شعراوي؟ السافرات.. الكسولات الخائفات. ديسمبر ٢٠٠٥ مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية

*سماح عادل: في ظل تاريخ متشابك للحركة الشيوعية يضلل أكثر مما يكشف محاولة للوقوف عند اشكالية تاريخية البداية،

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=51174

*سماح عادل: الحركة النسائية العالمية.. محاولة للاستيلاب وتفريغ المضمون السياسي والنضالي لصالح حيادية الجندر،

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=59565

*سناء المصري: خلف الحجاب: بلا حدود. واشنطن، سبتمبر ٢٠٠٦

http://www.unlimitedworld.org/index.php?option=com_content&task=view&id=2256&Ite5/8/2009

*شخصيات في مسيرة الحركة النسائية العربية.

http://forum.hawahome.com/t11696.html, 9/7/2009

*شريف حتاتة: اليسار في مصر إلى أين،

http://www.nawalsaadawi.net/oldsite/aeticlessherif/07/yasar-jordan.htm

*عالم واحد تتقدم ورقة موقف للمرأة المصرية في عيدها بعنوان: تاريخ حافل- وواقع مؤلم،
http://www.anhri.net/egypt/oneworld/2009/pr0317.shtml,9/7/2009

*عزت أندراوس: تقرير الحريات الدينية لعام ٢٠٠٧م والكنيسة القبطية: انسكلوبيديا، موسوعة تاريخ أقباط مصر،

http://www.coptichistory.org/new_page_4451.htm

*عزة عبد المحسن خليل: الحركة النسوية في مصر ما بين الهوية الوطنية والهوية النسوية.

*عزة عبد المحسن خليل: الحركات الاجتماعية في العالم العربي.

*عمرو حمزاوي: جريدة الشروق. مصر بعد ٢٥ يناير. الأحد ١ مايو عام ٢٠١١. من مقالات وأعمدة.

*فاروق جويدة: وزير الثقافة قضى على المثقفين لصالح النظام،

http://arabmag.blogspot.com/2007_09_archive.html, 5/7/2009

*فاطمة ناعوم: مختارات: الشعر النسائي في مصر ألا يستحق جهداً نقدياً،

http://darlhayat.com/culture/04-2007/Item-20070414-f11c39fe-c0a8-10ed-015f-5add5/8/2009

*فريدة النقاش: من ندوة دور المرأة في الحركة اليسارية المصرية والعمل العام.

http://www.c-we.org/ar/show.art.asp?aid=24040, 9/7/2009

*فصل من تاريخ المرأة المصرية،

http://lasto-blogspot.com/2009/03/blog-spot_7324.html, 5/8/2009

*الفضائية- الأرشيف قناة الجزيرة ٨/٥/٢٠٠٩.

*كمال الرياحي:

http://www.arabwashingtonian.org/arabic/article.php?issue=27&articleID=629, 9/6/2009

*ماريز تادروس: الناشطات النسائيات من دون حرك ArabReformBulletin

http://carnegieendowment.org/arb/?fa=show&article=20687&lang=ar

*المتحدة الأمريكية بالقاهرة.

http://www.usembassy.egnet.net/pa/ar_hrr08.htm

*محمد الطواب: البروتوكولات الجديدة، الجزء الخامس: الختان والجدل القانوني.

http://www.alkalema.net/khetan/khetan5.htm

*محمد حسن عبد الحافظك أفق المرأة المصرية، مركز الدراسات أمان،

http://www.amanjordan.org/aman_studies/wmview.php?ArtID=982,9/7/2009

*محمد حسن عبد الحافظ: نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية الملامح والحصاد.

*محمد عبيد الله: المراة العربية في الأزمنة الكلاسيكية، محاولة في تفكيك الصورة النمطية. السبت ١٩ ابريل ٢٠٠٨. حضرموت الثقافية،

http://saeedaljariri.jeeran.com/archive/2008/4/540442.html, 5//19/2009

*المرأة المصرية في واقع متغير: جمهورية مصر العربية- مصر الآن_ الأسرة والطفل_ المرأة المصرية. مدونة على الانترنت

*المصري: تمثيل المرأة ونظام الحصة،

http://egyption1-egyption1.blogspot.com/2009/07/blog-post_30.html,9/7/2009

*مصطفى عاشور: النهضة النسائية. بواكير ورائدات،

http://www.islamonline.net/Arabic/history/woman/article01.shtml,5/8/2009

*منتديات الحلم: أول مصرية مسلمة رفعت الحجاب في قصة تمتلئ النفوس منها حسرة وأسى.

*منى أبو الفضل: خطاب المرأة في عصر النهضة: قراءة بديلة.

*النساء في ظل قوانين المسلمين, Women living under muslim laws

http://www.wluml.org/arabic/8/10/2009

*نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب

http://www.tabeback.com/veil.htm,9/7/2009,

*نضالات المرأة المصرية عشية انطلاق حديث التغيير: مائة عام من الارتباط بالقضية الوطنية"الملامح والحصاد"٢٠٠٩/٧/٩.

*النقد النسائي للدب القصصي.

http://www.alssiyasi.com/?browser=view&EgyxpID=24599,9/7/2009

*نوال السعداوي والاعلام- منتدى الناقد الإعلامي،

naqed.info/forums/index.php?s=c0e2cea3c0b4d64905f0c64f8f814e0e&showtopic=7561, 5/19/2009

*هالة مصطفى: سياسة من أجل النهوض بالديمقراطية الليبرالية في مصر(الناشر مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية- واشنطن، مايو ٢٠٠٦ ترجمة مجدي خليل).

*هشام الناصر: الدين بين احزاب اليسار واليمين. مرجع سابق ص ٢، نشوى الحوفي: القاهرة والحجاب.

http://www.tabeback.com/veil.htm

*هند مصطفى: خطاب المرأة في عصر النهضة: قراءة بديلة، القاهرةن أكتوبر ٢٠٠١.

*هند مصطفى: الرمز الديني في نماذج من الرواية النسائية المعاصرة. ص 54،

http://muslimwomenstudies.com/session4-adab.htm, 5/6/2009

*الهيثم زعفان : الحركة النسوية وخلخلة المجتمعات الاسلامية في مصر.

*يسري الأيوبي : مشاركة المرأة في اتخاذ القرار. دراسات في أدب المرأة في العالم العربي.

http://www.syrianstory.com/comment13-6.htm7,Nawal:The reader

*يسري الأيوبي : دراسات في أدب المراة العربية.

*يسري الأيوبي : بمعزل عن العدالة : حرمان المراة من المساواة في حق الطلاق في مصر. ٢٠٠٩/٥/٨.

# الدوريات الأجنبية

* Al Nakhlah, the Fletcher school on line journal on southwest Asia and Islamic Civilization, Spring 2009 Cybele Cochran: Women and the Law in Islamic Societies: Legal Responses to Domestic Violence in Saudi Arabia and Morocco, 38

* Gila svirsky: A Personal Website Feminist solidarity in Women's Anti-War Activism.

http://www.gilasvirsky.com/femsolidarity.html. 9/30/2009, P 8,

* Islam House, http://www.islamhouse.com/tp/40898

http://www.islamonline.net/arabic/adam/2005/11/article02.shtml ,9/7/2009

* Leila Ahmed: Veil of Ignorance. Foreign Policy Magazine. April, 27, 2011

* Mona Eltahawy: Muslim Women Caught Between. Would be-Liberators and Would- Be Saviours, November 23, 2008,

http://www.monaeltahawy.com/blog/?P=86

* Nawal al Saadawi& sheriff Hatata,

http://www.nawalalsaadawi.net/oldsites/articles/wlum.htm

http://muslimwomenstudies.com/session4-arab.htm, 5/6/2009

http://forum.hawahome.com.t11696.html

* Sirinity Yong(ed) Encyclopedia of Women and World Religion (New York: Macmillan, 1999).

# الكتب العربية

* عزة كرم: نساء في مواجهة نساء: النساء والحركات الإسلامية والدولة. ترجمة د. شهرت العالم، تقديم د. محمد نور فرحات، ماكميلان بريس ١٩٩٨.

* نوال السعداوي: أدب أم قلة أدب؟ دار المستقبل، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

* نوال السعداوي: إمرأة عند نقطة الصفر.

* نوال السعداوي: الأنثى هي الأصل، مطابع المستقبل، الطبعة الرابعة ١٩٩٠.

* نوال السعداوي: الحب في زمن النفط. مكتبة مدبولي. الطبعة الأولى ١٩٩٣.

* نوال السعداوي: سقوط الامام. دار المستقبل العربي. الطبعة الأولى ١٩٨٧.

# الكتب الأجنبية

Cynthia Nelson: Doria Shafik, Egyptian Feminist.Third printing, 2004

Elizabeth Warnock Fernea: In search of Islamic Feminism: One Woman's Global Journey. NY. Doubleday, January 1998

Fawzia Afzal- Khan, Forward by Nawal El Saadawi: Shattering the Stereotypes: Muslim Women speak Out. 2005. P. x

Kristina Nordwall: Egyptian Feminism: The effect of the State, Popular Trends and Islamism on the Women's Movement in Egypt, The search for Islamic order, Block 1-2

Laila abou Lahoud: New Discourses: Discourse of the Veil

Leila Ahmed: New Discourse

Lisa Suhair Majaj: Gender, Nation, and Community in Arab Women's Novels, first edition, 2002

Margot Badran: Egyptian Fiminism in a nationalist Century

Margot Badran: Islam's other and media a limited 2011

Margot Badran and Miriam Cooke: Openning the Gate,1990

Naomi Sakr: Women and Media in the Middle East.Power through Self- Expression.London 2004

Nawal El Saadawi: A Daughter of Isis, 1999

Nawal El Saadawi: God Dies by the Nile.Zed Book 2007.

Nawal El Saadawi: Memories from the Women's prison, 1982

Nawal El Saadawi: The Hidden Face of Eve. 1980

Nawal El Saadawi: The Reader,Zed books,1997

Nawal El Saadawi: Walking Through Fire, Zed Book, 2002

Nawar Al- Hassan Golley: Reading Arab Women's

Autobiographie, Shahrazad tells her story, TX 2003

Salwa Ismail: Rethinking Islamist Politics. Culture, the State and Islamism.NY 1988

منطقتنا العربية هي موطن الأديان السماوية، أديان شرعها الله، وأرسل أنبيائه لرفاهية وأمن وسلامة الناس، لكن في المنطقة العربية تستغل الأديان للسيطرة على الفقراء وللحد من انطلاقات المرأة. يقود هذا الاستغلال مجموعة من رجال الدين يرون أن مفاتيح الجنة والنار في أياديهم، يتحالفون مع السلطة الحاكمة ورأس المال ويحاولون مسح عقول الناس، ويتم تقييد حقوق المرأة وتهميش الفقراء بحجة أنها شريعة الله وحكمه. هذا الكتاب رصد لتاريخ المرأة المصرية ورصد لحقوقها الدينية والسياسية منذ بدايات القرن العشرين وحتى الآن وكيف أن الحقوق تتراجع ولا تتقدم، ليس على المراة فقط بل ايضا على الأغلبية الصامتة من الفقراء والمهمشين.

## الكاتبة

د. ثناء منير صادق أستاذة جامعية كاتبة وباحثة، لها اهتمامات خاصة بآداب اللغة العربية وجمالياتها، وتهتم بموضوعات المرأة المصرية والعربية سواء من الناحية التاريخية أو الحقوقية. وبين التاريخ والفن والأدب والتدريس خرجت فكرة هذا الكتاب عن المرأة المصرية بين الدين والسياسة. تخرجت من قسم التاريخ بجامعة عين شمس في عام ١٩٨٣، ثم حصلت علي الماجستير في عام ١٩٩٤، ثم الدكتوراة في عام ١٩٩٨. درّست وحاضرت في العديد من الجامعات الأمريكية وشاركت أكث[illegible] أبحاث وإدارة الحوارات حول (المرأة [illegible]ية) في مناقشات المائدة المستديرة بأ[illegible]ترا. لها العديد من المقالات كما عملت [illegible]جلة المسرح المصرية (١٩٨٩-[illegible]٩ [illegible]تاذ مساعد اللغة العربية وآدابها ب[illegible]رية الأمريكية، مدينة أنابوليس بو[illegible] عام ٢٠٠٦ حتى الآن.




9 789775 023056




Bibliotheca Alexandrina
1194988
32
27